الْمَثْنَوِيّ الْمَعْنَوِيّ

تأليف

جلال الدّين الرُّوميّ

ترجمة

د. علي عبَّاس زليخة

الكتاب الثَّاني

نسخة رينولد نيكلسون

مُقَدَّمَةُ المُؤَلِّف

بسم الله الرحمن الرحيم

بيانُ بَعْضِ حِكْمَةِ تأخيرِ هذا المُجَلَّدِ الثَّاني، أنَّهُ لَو كانَتْ جُمْلَةُ الحِكْمَةِ الإلٰهيَّةِ في فوائدِ ذلِكَ العَمَل مَعْلومَةً لِلعَبْدِ، تَوَقَّفَ العَبْدُ عَنْ مُتابَعةِ هذا العَمَل، فَقَدْ جَعَلَتْ حِكْمَةُ الحَقِّ اللّامُتناهِيَةُ إدراكَهُ خراباً فَلَمْ يَجِدِ السَّدادَ في العَمَل، ثُمَّ إنَّ الحَقَّ تَعالى جَعَلَ مِنْ شُمَّةٍ مِنْ تِلْكَ الحِكْمَةِ اللّامُتناهِيَة، خِطاماً لأنْفِهِ وَشَدَّهُ إلى هذا العَمَلِ شَدّاً، ولو أنَّهُ لَمْ يُعْطِهِ أيَّ خَبَرٍ عَنْ تِلْكَ الفائدَةِ، لَمْ يكُنْ مِنْهُ أيُّ حراكٍ لأنَّ المُحَرّكَ يكونُ مِنْ منافِعِ البَشَرِ، وَعَمَلُنا مِنْ أجْلِ تِلْكَ المَصْلَحَة، ولو أنَّ حِكْمَةَ ذلِكَ صُبَّتْ عَلَيهِ صَبّاً ما استطاعَ الحراكَ أيضاً، كمِثْلِ الجَمَلِ ما لَمْ يكُنِ الخِطامُ في أنْفِهِ لا يَسير، كما أنَّ الخِطامَ لو كانَ ضَخْماً أبْرَكَ الجَمَل، *وإنْ مِنْ شَيْءٍ إلّا عَنْدنا خزائنُهُ وما نُنَزِّلُهُ إلّا بِقَدَرٍ مَعلوم*، ومِنْ دونِ ماءٍ لا يتحوَّلُ التُّرابُ إلى طينٍ، ولو زادَ الماءُ كثيراً لم يصِرْ التُّرابَ طيناً كذلِك، *والسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ الميزان*، أعطى كُلَّ شَيْءٍ بِمِيزانٍ، لا بلا حِسابٍ ولا ميزانٍ، إلّا لِأَشْخاصٍ صاروا مِنْ عالَمِ الخَلْقِ مُبَدَّلين، وصاروا *ويرزُقُ مَنْ يشاءُ بِغَيْرِ حِساب*، و*مَنْ لَمْ يَذُقْ لَمْ يَدْرِ*.

سائلٌ قالَ ما هُوَ العِشْقُ قُلْتُ لَهُ كُنْ مِثْلَنا تَدْرِ

العِشْقُ هُوَ مَحَبَّةٌ بلا حِساب، قالوا عَنْهُ أنَّهُ صِفَةُ الحقِّ بالحقيقة، ونِسْبَتُهُ إلى العَبْدِ مَجاز، *يُحِبُّهُم* مِنْ غَيْرِ نُقْصان، أيْنَ الَّذينَ *يُحِبُّونَهُ*.

بسم اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

تأخيرُ هذا المَثْنويِّ مُدَّةً كانَ، مُهْلَةً واجِبَةً لِلدَّمِ ليصيرَ لَبَناً؛
ما لَمْ يَلِدْ بَخْتُكَ الجَديدُ وَلَداً جَديداً، لَنْ يصيرَ الدَّمُ لَبَناً لَذيذاً فاسْتَمِعْ حَسَناً؛
عِنْدَما ضياءُ الحَقِّ حُسامُ الدِّينِ، لوى العِنانَ راجِعاً مِنْ أَوْجِ السَّماء؛
إذْ كانَ ذَهَبَ في مِعْراجِ الحَقائق، فَلَمْ تَتَفَتَّحْ مِنْ دونِ ربيعِهِ البراعِم؛
وَلَمَّا عادَ مِنَ البَحْرِ صَوْبَ السَّاحِل، قيثارَةُ شِعْرِ المَثنوي عادَتْ لِلعَزْف؛
للمَثْنَوِيِّ الَّذي كانَ صَيْقَلاً للأرواح، كانَتْ عَوْدَتُهُ يَوْمَ الاسْتِفتاح؛
مَطْلَعُ تاريخِ هذِهِ المُعامَلَةِ والمَنْفَعَة، كانَ سَنَةَ سِتِّ مِئَةٍ واثنتَينِ وَسِتِّين؛
بُلْبُلٌ راحَ مِنْ هُنا وَعادَ، عادَ مِنْ أَجْلِ صَيْدِ هذِهِ المَعاني؛
كانَ ساعِدُ الشَّاهِ مَسْكَناً لِهذا الباز، لا بَرِحَ هذا البابُ للخَلْقِ مُفتوحاً لِلأبَد؛
الآفَةُ هذِهِ في الهوى والشَّهْوَة، وإلَّا فَهُنا الشُّرْبَةُ في الشُّرْبَة؛
كَيْ ترى عِياناً ضَعْ الرِّباطَ على الفَم، الرِّباطُ على عَيْنِ العالَمِ الحَلْقُ والفَمّ؛
أيْ فَمُ أنْتَ نَفْسُكَ فَمُ جَهَنَّم، أيْ دُنيا أنْتِ على مِثالِ البَرْزَخ؛
النُّورُ الباقي في جِوارِ الدُّنيا الدَّنيئة، اللَّبَنُ الصَّافي في جِوارِ جَداوِلِ الدَّم؛
حِيْنَ تَنْقُلُ القَدَمَ فيها بلا اِحتياط، لَبَنُكَ يَصيرُ دَماً مِنَ الاِخْتِلاط؛
فَقَدْ خَطا آدَمُ خُطْوَةً في ذَوْقِ النَّفس، فَصارَ فِراقُ صَدْرِ الجَنَّةِ طَوْقَ النَّفْس؛
صارَ يَهْرَبُ المَلَكُ مِنْهُ كالشَّيْطان، لِأجْلِ خُبْزَةٍ كَمْ سَكَبَ مِنَ العَيْنِ مِنْ دَمْع؛
رَغْمَ أنَّ الذَّنْبَ الَّذي أتاهُ كانَ شَعْرَةً، إلَّا أنَّ تِلْكَ الشَّعْرَةَ نَبَتَتْ في كِلْتا عَينَيه؛
فَقَدْ كانَ لآدَمَ نَظَرُ النُّورِ القَديم، فكانَتِ الشَّعْرَةُ في عَيْنِهِ كالجَبَلِ العَظيم؛
ولو كانَ قامَ تِلْكَ اللَّحْظَةَ بالمَشْوَرَة، ما اضْطُرَّ في خَجَلٍ لِقَوْلِ المَعْذِرة؛
فإنَّ صاحِبَ العَقْلِ مِثْلَ العَقْلِ شَفيع، مانِعٌ مِنْ سوءِ القَوْلِ والفِعْلِ مَنيع؛

النَّفْسُ إذا صارَتْ لِنَفْسٍ أُخرى رَفيقَةً، العَقْلُ الجُزئيُّ يصيرُ عاطِلاً بلا عَمَل؛
أنتَ حينَ تَصيرُ يائساً مِنَ الوَحْدَة، تَصيرُ شَمْساً تَحْتَ ظِلِّ المَحبوب؛
فاذْهَبْ وابْحَثْ سَريعاً عَنْ رَفيقٍ إلٰهيٍّ، فَإنَّكَ إنْ فَعَلْتَ ذلِكَ كانَ اللهُ لَكَ رفيقاً؛
ذاكَ الَّذي هُوَ في الخَلْوَةِ مَخيطُ النَّظَر، إنَّما تَعَلَّمَ ذاكَ أيضاً مِنْ رَفيق؛
الخَلوَةُ تَجِبُ عَنِ الأغيارِ لا عَنْ الرَّفيق، الفِراءُ جاءَ لِأجْلِ الشِّتاءِ لا للرَّبيع؛
العَقْلُ مَعَ عَقْلٍ آخَرَ صارَ مَشْفوعاً، صارَ النُّورُ زائداً وصارَ الطَّريقُ واضِحاً؛
النَّفْسُ مَعَ نَفْسٍ أُخْرى تَصيرُ ضاحِكَةً، الظُّلْمَةُ تَصيرُ زائدَةً والطَّريقُ خافِيَةً؛
الرَّفيقُ عينٌ لَكَ أي رَجُلَ الصَّيْد، احْفَظْهُ سالِماً مِنَ القَذى والأذى؛
لا تَجْعَلِ الغُبارَ يَعْلو بِمِكْنَسَةِ اللِّسان، لا تَجْلُبِ القَذى إلى العَيْنِ مِنَ الطَّريق؛
وبِما أنَّ المؤمِنَ للمؤمِن مِرآةٌ، فليُحافِظْ على وَجْهِهِ آمِناً مِنَ الاِتِّساخ؛
والرَّفيقُ هُوَ مِرْآةُ الرُّوحِ في الحَزَن، في وَجْهِ مِرآة الرُّوحِ لا تُطْلِقِ النَّفَس؛
وحَتَّى لا تُغَطِّيَ وَجْهَكَ مِنْ نَفَسِك، يَجِبُ عَلَيْكَ أنْ تَكْتُمَ النَّفَسَ كُلَّ حين؛
أَأَقَلُّ مِنَ ترابٍ، لَمَّا وَجَدَ عَوناً مِنَ الرَّبيعِ، وَجَدَ مِئاتِ آلافِ الأنوارِ التُّراب؛
تِلْكَ الشَّجَرَةُ الَّتي جاءَها مَدَدُ لُطْفِ الهَواءِ ، تَفَتَّحَتْ مِنْهُ مِنَ الرَّأسِ إلى القَدَم؛
في الخَريفِ رَأَتِ الرَّفيقَ على الخِلاف، فخَبَّأَتِ الوَجْهَ والرَّأْسَ تَحْتَ اللِّحاف؛
قالَتْ إنَّ رَفيقَ السُّوءِ يَنْشُرُ البلاء، فإذا هُوَ ما جاء فطريقي النَّومُ؛
عِنْدَما نِمْتُ صِرْتُ مِنْ أصْحابِ الكَهْف، إنَّ خَيْراً مِنْ دقيانوسَ نَوْمُ الكَهْف؛
يَقْظَتُهُمْ كانَتْ مَصْروفَةً على دِقيانوس، ونَوْمُهُم كانَ رَأْسَمالٍ للنَّاموس؛
النَّومُ إذا كانَ مَعَ العِلْمِ يَقَظَةٌ، الوَيْلُ لِيَقْظانَ جالِسٍ مَعَ جاهل؛
عِنْدَما نَصَبَتِ الغِربانُ الخَيْمَةَ في بَهْمَن، البلابِلُ اختَفَتْ وانْسَحَبَتْ؛
ذلِكَ لأنَّ البُلْبُلَ بلا رَوْضِ الوَرْدِ صامِتٌ، غَيْبَةُ الشَّمْسِ قاتِلَةُ اليَقْظَة؛
أيْ شَمْسُ تَقومينَ بِتَرْكِ رَوضِ الوَرْد، إلامَ تُنيرينَ الوجودَ تَحْتَ الأرض؛

شَمْسُ المَعْرِفَةِ ليسَ لَها نَقْل، مَشْرِقُها لَيْسَ غَيْرَ الرُّوحِ والعَقْل؛
خاصَّةً شَمْسُ كَمالِ تِلْكَ الجِهَة، اللَّيْلَ والنَّهارَ شُغْلُها الإنارَة؛
إذا كُنْتَ اِسْكَنْدَراً تَعالَ إلى مَطْلَعِ الشَّمْسِ، بَعْدها كُلُّ مكانٍ وَجْهٌ حَسَنٌ جَميل؛
مِنْ بَعْدِ ذلِكَ كُلُّ مكانٍ لَهُ وَجْهُ مَشْرِقٍ، المَشارِقُ لِمَغْرِبِكَ تَصيرُ عاشِقَةً؛
حِسُّ خَفَّاشِكَ إلى جِهَةِ المَغْرِب جارٍ، حِسُّكَ ناثِرُ الدُّرِّ إلى جِهَةِ المَشْرِق جارٍ؛
طَريقُ الحِسِّ طَريقُ الحَميرِ أي فارِس، يا أيُّها المُزاحِمُ الحَميرَ اِخْجَلْ؛
خَمْسُ الحَواسِّ غَيْرُ هذِهِ الحواسِّ الخَمْس، تِلْكَ كالذَّهَبِ الأحْمَرِ هذِهِ كالنُّحاس؛
أولئكَ الماهِرونَ في ذلِكَ البازار، مَتى يشترونَ حِسَّ النُّحاسِ كحِسِّ الذَّهَب؛
حِسُّ الأبدانِ الظُّلْمَةُ قُوتُهُ، حِسُّ الرُّوحِ الشَّمْسُ مَرعاهُ؛
أيْ مَنْ حَمَلْتَ مَتاعَ الحواسِّ جِهَةَ الغَيْب، أَخْرِجِ اليَدَ مِثْلَ موسى مِنَ الجَيْب؛
أيْ مَنْ صِفاتُكَ شَمْسُ مَعْرِفَةٍ، وشَمْسُ الْفَلَكِ عَبْدُ صِفَةٍ واحِدَةٍ؛
حيناً تَصيرُ الشَّمْسَ وحيناً البَحْر، حِيناً تَصيرُ جَبَلَ قافْ وحيناً العَنقاء؛
أنْتَ في ذاتِ النَّفْسِ لَسْتَ هذِهِ ولا تِلْكَ، زِدْتَ عن الأوهامِ وعنِ الكثيرِ كثيراً؛
الرُّوحُ رَفيقَةُ العِلْمِ ورفيقَةُ العَقْل، الرُّوحُ ما شُغْلُها مَع العَرَبِيِّ والتُّرْكيّ؛
مِنْكَ أيْ بلا صُورَةٍ وذا صُوَرٍ كَثيرَةٍ، أيضاً المُشَبِّهُ وأيضاً المُوَحِّدُ أحْمَقٌ؛
الصُّوَرُ حيناً تَجْعَلُ المَشَبِّهَ موحِّداً، وحيناً تَقْطَعُ الطَّريقَ على المُوَحِّد؛
تَدْعُوكَ سُكْراً تارَةً أي با الحَسَن   يا صَغِيْرَ السِّنِّ يا رَطْبَ البَدَن
حيناً تَجْعَلُ نَقْشَ النَّفْس خَراباً، سَعْياً وراءَ تَنْزيهِ الحبيب؛
عَيْنُ الحِسِّ هذِهِ مَذْهَبُ الاِعْتِزال، عَيْنُ العَقْلِ السُّنِّيُّ في الوِصال؛
مُسَخَّرُ الْحِسِّ مِنْ أهْلِ الاِعْتِزال، يُظْهِرُ النَّفْسَ سُنِّيّاً مِنْ ضلال؛
كُلُّ مَنْ ظَلَّ في الحِسِّ مُعْتَزِلِيّ، وإنْ قالَ مِنَ الجَهْلِ أنا سُنِّيٌّ؛
كُلُّ مَنْ صارَ خارِجَ الحِسِّ هُوَ سُنِّيّ، أَهْلُ نَظَرٍ بِعَيْنِ العَقْلِ حَسَنُ السَّيْر؛

لَو كانَ حِسُّ الحَيَوانِ يرى المَلِكَ، رَأَتِ البَقَرَةُ والحِمارُ اللهَ؛
فإذا لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ مِنْ حِسٍ آخَرَ، غَيْرَ حِسِ الحَيَوانِ مِنْ خارِجِ الهَواء؛
مَتى كُنْتَ إذَنْ اِبْنَ آدمَ مُكَرَّماً، وَمَتى صِرْتَ بالحِسِّ المُشْتَرِكِ مَحْرَماً؛
قَولُكَ مُصَوَّرٌ أو غَيْرُ مُصَوَّرٍ، باطِلٌ ونَجاتُكَ مِنْ دونِ صُورَة؛
غَيْرُ المُصَوَّرِ أو المُصَوَّرُ أمامَهُ، فهُوَ جَميعاً لُبٌّ وخارِجٌ عَنِ القِشْر؛
إنْ كُنْتَ أعْمىً ما عَلى الأعْمى حَرَجْ إنْ لمْ تَكُنْ فالصَّبْرُ مِفتاحُ الفَرَجْ
حُجُبُ العَيْنِ لَها دواءً الصَّبْر، مِنْهُ حَرْقٌ ومِنْهُ شَرْحٌ للصَّدْر؛
مِرآةُ قَلْبِكَ حينَ تَصيرُ صافِيَةً وَطاهِرَةً، ترى النُّقوشَ خارِجَ الماءِ والتُّراب؛
النَّقْشَ ترى وترى أيْضاً النَّقَّاش، فُرُشَ الدَّولَةِ تَرى وأيضاً الفَرَّاش؛
مِثْلَ الخَليلِ جاءَ خيالُ مَعشوقي، صُورَتُهُ صَنَمُ المَعْنى وهُوَ مُحَطِّمُ الأصنام؛
الشُّكْرُ للهِ أنَّهُ حينَ صارَ ظاهِراً، رَأَتِ الرُّوحُ خيالَ ذاتِها في خَيالِهِ ظاهِراً؛
تُرابُ أعتابِكَ قائمٌ بِخِداعِ قلبي، عَلَيهِ التُّرابُ لِصَبْرِهِ عَنْ تُرابِك؛
قُلْتُ إنْ كُنْتُ جَميلاً قَبِلْتُ هذا مِنْهُ، وإنْ لَمْ أكُنْ ضَحِكَ عَلَيَّ أنا قَبيحِ الوَجْه؛
فالحِيْلَةُ تَكونُ بِأنْ أنْظُرَ إلى النَّفْس، وإلَّا سَخِرَ مِنِّي قائلاً مَتى أشْتَريك؛
إنَّهُ جَميلٌ وَمُحِبٌّ للجَمال، الشَّابُ الصَّغيرُ مَتى يستَحْسِنُ الشَّيْخَ الكَبير؛
الجَميلُ يَجْذُبُ الْجَميلَ. اِعْلَمْ هذا، اِقْرَأْ عَلَيْهِ الطَّيِّباتِ والطَّيِّبين؛
في العالَمِ كُلُّ شَيْءٍ جاذِبٌ إلَيْهِ شَيئاً، الحارُّ يَجْذُبُ الحارَّ والبارِدُ البارِد؛
قِسْمُ الباطِلِ يَجْذُبُ أهْلَ الباطِلِ، والباقونَ مَعَ الباقِيْنَ سُعَداء؛
والنَّارِيُّونَ لِلنَّارِيّينَ جاذِبون، والنُّورِيُّونَ لِلنُّورِيّينَ طالِبون؛
عِنْدَما أغْلَقْتَ العَيْنَ تَمَلَّكَكَ الهَمُّ، نُورُ العَيْنِ مَتى تَفَتَّحَ مِنْ نورِ النَّافِذَة؛
هَمُّكَ جَذْبٌ لِنورِ العَيْنِ مِنْك، حتَّى يَجْعَلَهُ مُتَّصِلاً بِنورِ النَّهارِ سريعاً؛
إذا أمْسَكَ بِكَ الهَمُّ وعَينُكَ مَفْتوحَةٌ، فاعْلَمْ أنَّكَ قَدْ أغْلَقْتَ عَيْنَ القَلْبِ فافتَحْها؛

ذاكَ مَطْلَبُ عَيْنَي قَلْبِكَ العارِف، الباحِثِ دوماً عَنْ ضياءٍ بلا قياس؛
بِما أنَّ فِراقَ ذَيْنِكَ النُّورَيْنِ غَيْرِ الباقِيَيْنِ، جاءَكَ بالهَمِّ فافتَحْ عَيْنَيْك؛
فَإنَّ فِراقَ ذَينِكَ النُّورَيْنِ الباقِيَين، يَجْلُبُ الهَمَّ فَكُنْ مُراقِباً ذاكَ؛
إذا هُوَ دعاني تَأَمَّلْتُ في نَفْسي، أَأنا لائقٌ بالجَذْبِ أمْ أنا تِمْثالٌ رديءٌ؛
فإنَّ لَطيفاً لَوْ دَعى إلَيْهِ قبيحاً، كانَ ذلِكَ لِأَجْلِ أنْ يَسْخَرَ مِنْه؛
متى أَقْدِرُ أنْ أرى وَجْهَ نَفْسيَ أي عَجَب، لأرى ما لَونيَ، كالنَّهارِ أمْ كاللَّيْل؛
نَقْشَ روحِ نَفْسي كم بَحَثْتُ عَنْهُ، فما وَجَدْتُ شَخْصاً أَظْهَرَ لي نَقْشَ نَفسي؛
قُلْتُ آخِراً المِرْآةُ لِأجْلِ ماذا تكون، لِيَعْرِفَ كُلُّ شَخْصٍ ما يكونُ ومَنْ يكون؛
مِرآةُ الحديدِ مِنْ أجْلِ الجُلودِ الظَّاهِرَة، مِرآةُ سَيماءِ الرُّوحِ غالِيَةُ الثَّمَن؛
مِرآةُ الرُّوحِ لَيْسَتْ إلَّا وَجْهَ الحبيب، وَجْهَ ذاكَ الحبيبِ الكائنِ مِنْ تِلْكَ الدِّيار؛
قُلْتُ أيْ قَلْبُ ابْحَثْ عَنْ مِرآةٍ كُلِّيَّةٍ، اِتَّجِهْ إلى البَحْرِ لَنْ يُفْلِحَ أمرُكَ مِنْ ساقِية؛
مِنْ هذا الطَّلَبِ وَصَلَ العَبْدُ إلى دِيارِكَ، الألَمُ جاءَ بِمَرْيَمَ إلى جِذْعِ النَّخْلَة؛
عَيْنُكَ لَمَّا صارَتْ عَيناً لِقَلْبي، هذا القَلْبُ اللَّامَرئيُّ صارَ غَريقَ النَّظَر؛
رأيْتُكَ المِرْآةَ الكُلِّيَّةَ للأبَد، رأيتُ في عَيْنِكَ نَقْشَ نَفْسي أنا؛
قُلْتُ أخيراً وَجَدْتُ نَفسيَ في عَيْنَيْهِ، آخِراً وَجَدْتُ الطَّريقَ المُضيء؛
قالَ وَهْمي حَذارِ ذاكَ الخَيالُ هُوَ أنْت، مَيِّزْ ذاتَ نَفْسِكَ عَنْ خيالِ نَفْسِك؛
صُورَتي مِنْ عَيْنِكَ أرْسَلَتْ لي بالنِّداء، أنْ أنا أنْتَ وأنْتَ أنا في اتِّحاد؛
ففي هذِهِ العَيْنِ المُنيرَةِ بلا زوال، مِنَ الحقائِقِ متى يَجِدُ الطَّريقَ الخيال؛
في عَينَي غَيري إذا رأيتَ صُورَةَ النَّفْس، اِعْرِفْ ذلِكَ خيالاً ومردوداً؛
ذلِكَ لِأنَّهُ يكتَحِلُ بِكُحْلِ العَدَم، ويَتَذَوَّقُ الخَمْرَ مِنْ تَصويرِ الشَّيطان؛
عُيونُهُم مَنْزِلٌ للخرابِ والعَدَم، رأوا المَعْدوماتِ موجودَةً لا جَرَم؛
عَيني الَّتي رَأَتِ الكُحْلَ مِنْ ذي الجلال، مَنْزِلٌ للوجودِ لا مَنْزِلٌ لِلْخيال؛

ما دامَتْ شَعْرَةٌ واحِدَةٌ مِنْكَ أمامَ العَيْن، الجَوْهَرُ في خَيالِكَ يكونُ كاليَشْم؛
لَقَدْ مَيَّزْتَ في النِّهايَةِ *اليَشْمَ* مِنَ الجَوْهَرِ، لأنَّكَ عَبَرْتَ مِنْ خيالِ النَّفْسِ كُلِّيَّةً؛
اِسْمَعْ حِكايَةً واحِدَةً أيْ عارِفَ الجَوْهَر ، حَتَّى تَعْرِفَ العِيانَ مِنَ القياس؛

ظَنُّ ذلِكَ الشَّخْصِ الخيالَ هِلالاً في عَهْدِ عُمَرَ(رض)

استِقبالاً لِشَهْرِ الصَّومِ في عَهْدِ عُمَر، جرى إلى رَأسِ الجَبَلِ أولئكَ النَّفَر؛
حَتَّى يَتَحَرَّوا هِلالَ اليَومِ، قالَ واحِدٌ أيْ عُمَرُ هاكَ الهِلالَ هُناك؛
لَمَّا عُمَرُ لَمْ يَرَ الهِلالَ في السَّماء، قالَ إنَّ هذا الهِلالَ مِنْ خيالِكَ طالِع؛
وإلَّا وأنا أبْصَرُ مِنْكَ للأفلاك، كيفَ لا أُبْصِرُ الهِلالَ الظَّاهِر؛
قالَ رَطِّبْ يَدَكَ وامْسَحْ بِها حاجِبَك، وذلِكَ الحِينَ انْظُرْ صَوبَ الهِلال؛
عِنْدَما رَطَّبَ الحاجِبَ لَمْ يَعُدْ يرى الهِلال، قالَ أيْ شاهُ ما مِنْ هِلالٍ، اختفى؛
قالَ نَعَمْ شَعْرَةٌ مِنْ حاجِبِكَ صارَتْ قوساً، رَمَتْ نَحْوَكَ مِنَ الخَيالِ سَهْماً؛
شَعْرَةٌ واحِدَةٌ اعوَجَّتْ قَطَعَتْ لَهُ الطَّريق، فأطْلَقَ الدَّعوى جُزافاً بِرؤيَةِ القَمَر؛
شَعْرَةٌ عَوجاءُ كانَتْ حِجاباً على الفَلَك، إذا كُلُّ أجزائكَ كانَتْ عَوجاءَ ما يكون؛
اِجْعَلْ أجزاءَكَ مُستقيمَةً مِنَ المُستَقيمين، أيْ مُستَقيمُ عَنْ ذاكَ الجَنابِ لا تَمِلْ؛
فإنَّ الميزانَ هُوَ الَّذي أصْلَحَ الميزان، وإنَّ الميزانَ هُوَ الَّذي أنْقَصَ الميزان؛
وكُلُّ مَنْ صارَ مَعَ المُلتَوينَ وَزْناً بِوَزْن، وَقَعَ في النَّقْصِ وَصارَ أبلَهَ العَقْل؛
فَسِرْ سَيْرَ *أشِدَّاءَ على الكُفَّار*، هِلِ التُّرابَ على مَحَبَّةِ الأغيار؛
على رَأْسِ الأغيارِ كُنْ كأنَّكَ السَّيْف، ها ولا تَكُنْ بِحيلَةِ ثَعْلَبٍ وَكُنْ أسَداً؛
حتَّى لا يَنْفَصِلَ عَنْكَ مِنَ الغَيْرَةِ الأحباب، لأنَّ تِلْكَ الأشواكَ عَدُوَّةُ هذا الوَرْد؛
فأشْعِلِ النَّارَ بِتِلْكَ الذِّئابِ كالحَرْمَل، ذاكَ لأنَّ الذِّئابَ عَدُوَّةُ يُوسُف؛
روحَ أبيكَ قالَ لَكَ إبليسُ فاحْذَرْ، الشَّيطانُ اللَّعينُ يُريدُ أنْ يُغْوِيَكَ بِخِداعِه؛

لَقَدْ قامَ بِمِثْلِ هذا التَّلبيسِ مَعَ أبيك، وذلِكَ الأسْوَدُ الوَجْهِ قامَ بإغواءِ آدَم؛
هذا الغُرابُ سَريعٌ في حَلْبَةِ الشَّطْرَنْجِ، لا تَقُمْ أنْتَ باللَّعِبِ بِعَيْنٍ ناعِسَة؛
ذاكَ لأنَّهُ يَعْرِفُ الكَثيرَ مِنْ حِيَلِ الوَزير، تأخُذُ بِكَ في الحَلْقِ كأنَّها الشَّوك؛
ويبقى شَوكُهُ في الحَلْقِ مِنْكَ سِنين، ما ذلِكَ الشَّوكُ، إنَّهُ حُبُّ الجاهِ والمال؛
المالُ شَوكٌ لأنَّهُ أيْ عَديمَ الثَّبات، في حَلْقِكَ مانِعٌ لِماءِ الحياة؛
لو أخَذَ مالَكَ عَدُوٌّ ذو احتيال، فقاطِعُ طَريقٍ سَلَبَ قاطِعَ طريق؛

سَرِقَةُ صائدِ حَيَّاتٍ حَيَّةً مِنْ صائدِ حَيَّاتٍ آخَر

سارِقٌ سَرَقَ حَيَّةً مِنْ صائدِ حيَّاتٍ، مِنَ البلاهَةِ عَدَّ تِلْكَ غَنيمَةً؛
نَجا مِنْ لَدْغَةِ الحَيَّةِ صائدُ الحَيَّات، وَقَتَلَتِ الحَيَّةُ سارِقَها ذاكَ في ألَم؛
رآهُ صائدُ الحَيَّاتِ وَقَدْ عَرِفَهُ، قالَ لَقَدْ خَلَّصَتْهُ حَيَّتي مِنَ الرُّوح؛
كانَتْ روحي في الدُّعاءِ تَطلُبُ مِنْهُ، أنْ أجِدَ الحَيَّةَ وأنْ أستَرِدَّها مِنْه؛
الشُّكْرُ للهِ أنَّ ذلِكَ الدُّعاءَ كانَ مَردوداً، كُنْتُ أحْسَبُها خَسارَةً وكانَتْ رِبْحاً؛
كم مِنْ دُعاءٍ كانَ خَسارَةً وهلاكاً، والإلٰهُ الطَّاهِرُ مِنَ الكَرَمِ لَمْ يَسْمَعْه؛

التِماسُ رَفيقٍ لِعيسى عَلَيهِ السَّلامُ مِنْهُ إحياءَ العِظام

رافَقَ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ أبْلَهُ، فرأى في حُفْرَةٍ عَميقَةٍ عِظاماً؛
قالَ أيْ رَفيقُ، ذلِكَ الاِسْمُ السَّنِيّ، الَّذي بِهِ قُمْتَ بإحياءِ الموتى؛
عَلِّمنيهِ حَتَّى أقومَ بالإحسان، أُعيدَ لِتِلْكَ العِظامِ الرُّوحَ بِذلِكَ الاِسْم؛
قالَ اصْمُتْ فإنَّ ذلِكَ الشُّغْلَ لَيْسَ لَك، وليسَ لائقاً بِكلامِكَ وأنفاسِك؛
ذاكَ يَطْلُبُ نَفَساً أطْهَرَ مِنَ المَطَر، وأكْثَرَ إدراكاً في المَسْلَكِ مِنَ المَلَك؛
تَجِبُ أعْمارٌ ليصيرَ الشَّخْصُ طاهِرَ نَفَسٍ، ويصيرَ أميناً على مَخْزَنِ الأفلاك؛

أمْسَكْتَ هذِهِ العَصا باليَدِ اليُمنى لكِنْ، مِنْ أيْنَ لِيَدِكَ حِيلَةُ يَدِ موسى؛
قالَ إنْ لَمْ أكُنْ أنا قارِئاً للأسرار، فاقْرَأْ أنْتَ أيضاً الإسْمَ على العِظام؛
قالَ عيسى يا رَبِّ ما هذِهِ الأسرارُ، ما مَيْلُ هذا الأبْلَهِ لِهذا العَمَلِ بلا جَدوى؛
كيفَ لا يَحْمِلُ هذا المَريضُ غَمَّ نَفْسِهِ، كَيْفَ لا يَحْمِلُ هذا المَيِّتُ غَمَّ الرُّوح؛
هذا قامَ بتَرْكِ مَيِّتِهِ، وراحَ يَطْلُبُ رَفْوَ مَيْتٍ غَريب؛
قالَ الحَقُّ أنَّ المُدْبِرَ طالِبَ الإدبار، تَنْمو جَزاءً لِزَرْعِهِ الأشواك؛
زارِعُ بِذْرَةِ الشَّوكِ في العالَمِ، لا تَكُنْ باحِثاً عَنْهُ في البُستان؛
إذا حَمَلَ الوَرْدَ بالكَفِّ صارَ شَوكاً، وإذا راحَ إلى الصَّديقِ صارَ حَيَّةً؛
كيمياءُ السُّمِّ والأفْعى الشَّقِي   على خِلافِ كيمياءِ المُتَّقي

تَوصِيَةُ الصُّوفِيِّ للخادِمِ بالاِعتِناءِ بِدابَّتِه، وقَولُ الخادِمِ *لا حَول*

كانَ صُوفِيٌّ سائحَ أُفُقٍ بَعيدٍ، حَتّى نَزَلَ لَيْلَةً ضَيْفاً في نُزُلِ الدَّراويش؛
كانَتْ لَهُ مَطِيَّةٌ رَبَطَها في الاصْطَبْل، وَجَلَسَ في صَدْرِ الصُّفَّةِ مَعَ الأصْدِقاء؛
صارَ مُراقِباً مَعَ أصْدِقاءِ نَفْسِه، إنَّ حُضُورَ الصَّديقِ دَفْتَرٌ زائدٌ؛
دَفْتَرُ الصُّوفِيِّ لَيْسَ فِيْهِ سوادُ حَرْفٍ، ليسَ فيهِ غَيْرُ قَلْبٍ أبيَضَ كأنَّهُ الثَّلْج؛
زادُ العالِمِ آثارُ القَلَم، زادُ الصُّوفِيِّ آثارُ القَدَم؛
مِثْلَ صَيَّادٍ قاصِدٍ صَيْداً، رأى آثارَ أقْدامِ الغَزالِ فَسارَ في الآثار؛
آثارُ أقْدامِ الغَزالِ ناسَبَتْهُ أوقاتاً، بَعْدَ ذلِكَ صارَتْ نافِجَةُ الغَزالِ مُرْشِداً لَهُ؛
لأنَّهُ كانَ شاكِرَ القَدَمِ وسَلَكَ الطَّريق، لا جَرَمَ أنْ وَصَلَ بِتِلْكَ القَدَمِ إلى المُراد؛
قَطْعُ مَنْزِلٍ واحِدٍ على عَبيرِ النَّافِجَة، أفْضَلُ مِنْ مِئةِ مَنزِلٍ بالخُطى والطَّواف؛
ذلِكَ القَلْبُ الَّذي هُوَ مَنْزِلُ أنوارِ الأقمار، هُوَ لِلْعارِفِ *فُتِّحَتْ أبوابُها*؛
إنَّهُ لَكَ جِدارٌ ولَهُمْ بابٌ، إنَّهُ لَكَ حَجَرٌ وللأعِزَّةِ جَوْهَرٌ؛

وكُلُّ ما تَراهُ في المِرآةِ عِياناً، رآهُ الشَّيْخُ في آجُرَّةٍ قَبْلَ ذاك؛
الشُّيوخُ كانوا قَبْلَ أنْ يكونَ هذا العالَمُ، روحُهُمْ كانَتْ في بَحْرِ الجود؛
مِنْ قَبْلِ هذا الجَسَدِ قَضَوا أعماراً، مِنْ قَبْلِ الزَّرْعِ جَنَوا ثِماراً؛
مِنْ قَبْلِ التَّصويرِ قَبِلوا الرُّوح، مِنْ قَبْلِ البَحْرِ نَظَموا الدُّرَر؛
المَشْوَرَةُ كانَتْ تَجْري في إيجادِ الخَلْق، وأرواحُهُم في بَحْرِ القُدْرَةِ إلى الحَلْق؛
حينَ صارَ الملائكُ مانِعَ ذلِكَ، على الملائكِ خُفيَةً كانوا يَضْحكون؛
مُطَّلِعينَ على نَقْشِ كُلِّ موجود، مِنْ قَبْلِ أنْ تَصيرَ هذِهِ النَّفْسُ الكُلِّيَّةُ في القَيْد؛
مِنْ قَبْلِ الأفلاكِ رأوا كيوان، مِنْ قَبْلِ الحُبوبِ رأوا الخُبْز؛
كانوا مليئينَ بالفِكْرِ بلا دِماغٍ وَقَلْب، أقْبَلوا للنُّصْرَةِ بلا جَيْشٍ وَحَرْب؛
ذاكَ العِيانُ بالنِّسْبَةِ لَهُم فِكْرَة، وإلّا فَهُوَ نِسْبَةً للبعيدينَ رؤيَة؛
الفِكْرَةُ كانِتْ مِنْ مُسْتَقْبَلٍ وماضٍ، بالنَّجاةِ مِنْ هذينِ الإثْنَيْنِ حُلَّ المُشْكِل؛
الخَمْرُ مَنَ العِنَبِ مَرْئِيٌّ للرُّوح، الشَّيءُ مِنَ المَعْدومِ مَرْئِيٌّ للرُّوح؛
النَّظَرُ إذْ كانَ بِلا كَيْفٍ رأى كُلَّ ذي كَيْف، قَبْلَ المَنْجَمِ مِنْ صَحيحٍ وَمِنْ زَيْف؛
ومِنْ قَبْلِ أنْ تُخْلَقَ الأعنابُ، شَرِبوا الخُمورَ وأظْهَروا الاِضطِراب؛
في تَمُّوزَ الحارِّ يَرَونَ دَيْ، في شُعاعِ الشَّمْسِ يَرَونَ الفَيْ؛
في قَلْبِ العِنَبِ رأوا الخَمْرَ، في الفَناءِ المَحْضِ رأوا الشَّيء؛
السَّماءُ مِنْ حَولِهِم تَجْرَعُ الشَّراب، الشَّمْسُ مِنْ جودِهِم تَلْبَسُ الذَّهَب؛
عِنْدَما يَجْتَمِعُ مِنْهُم رفيقان، يكونانِ واحِداً وَسِتَّمائةِ ألْفٍ يكونان؛
على مِثالِ الأمواجِ أعدادُهُم، جَعَلَتْهُمُ الرِّيْحُ أعْداداً؛
صارَتْ مُفْتَرِقَةً شَمْسُ الأرواحِ، في داخِلِ نوافِذِ أبدانِنا؛
عِنْدما تكونُ ناظِراً القُرْصَ هُوَ واحِدٌ، ذلِكَ الَّذي هُوَ مَحْجوبُ البَدَنِ في شَكّ؛
التَّفْرِقَةُ كانَتْ بالرُّوحِ الحَيَوانِيّ، النَّفْسُ الواحِدَةُ هِيَ الرُّوحُ الإنسانيّ؛

مَعَ أنَّ الحَقَّ رَشَّ نُورَهُ عَلَيْهِمْ، نُورُهُ لَمْ يَصِرْ مُفْتَرِقاً أبَداً؛
فَدَعْني زَماناً أيْ رَفيقَ الملال، لِأقومَ بِوَصْفِ خالٍ مِنْ ذلِكَ الجَمال؛
فإنَّهُ لا يجيءُ في البيانِ جَمالُ حالِهِ، بِما أنَّ العَالَمَينِ صُورَةُ خالِه؛
عِنْدما أكونُ في الحَديثِ عَنْ خالِهِ الجَميل، النُّطْقُ يُريدُ مِنْ بَدَني أنْ يَتَشَطَّر؛
أنا سَعيدٌ كَنَمْلَةٍ بِهذا البيدَر، حَتَّى أحْمِلَ حِمْلاً يَزيدُ عَنْ وَزني؛

انغِلاق تقرير معنى الحكاية بسبب مَيل المُستَمِع لاستِماع ظاهِر صورة الحكاية

متى يبتعِدُ ذلِكَ الحاسِدُ للضِّياء، لأقولَ ذاكَ الَّذي هُوَ فَرْضٌ ومَقال؛
البَحْرُ مَدَّ الزَّبَدَ وأقامَ سَدّاً، عَمِلَ جَزْراً وَمِنْ بَعْدِ الجَزْرِ مَدّاً؛
هذا الزَّمانَ اسمَعْ فلا مانِعَ إلَّا أنْ يكونَ، قَلْبُ المُسْتَمِعِ ذَهَبَ إلى مَكانٍ آخَر؛
خاطِرُهُ ذَهَبَ نَحْوَ الصُّوفِيّ الضَّيْف، في تِلْكَ المُعامَلَةِ غاصَ إلى العُنُق؛
صارَ لازِماً العَودَةُ مِنْ هذا المَقال، نَحْوَ تِلْكَ الحِكايَةِ لِوَصْفِ الحال؛
لا تَظُنَّ تِلْكَ القِصَّةَ للصُّوفِيّ أيْ عَزيز، إلامَ تَظَلُّ كالأطفالِ بالزَّبيب والجَوز؛
جِسْمُنا الجَوزُ والزَّبيبُ أي وَلَد، إنْ كُنْتَ رَجُلاً فاتْرُكْ هذينِ الشَّيئين؛
وإنْ أنْتَ لَمْ تَتْرُكْهُما إكراماً لِلْحَقّ، يَجْعَلونَكَ تَترُكُهُما مِنْ تِسْعَةِ أطباق؛
اِسْتَمِعْ الآنَ إلى صُورَةِ الحِكايَةِ لَكِنْ، انْتَبِهْ خَلِّصِ الحَبَّ مِنَ التِّبْن؛
حَلْقَةُ أولئكَ الصُّوفِيّينَ المُسْتَفيدين، عِنْدَما وَصَلَتْ إلى آخِرِ الوَجْدِ والطَّرَب؛
وجاؤوا بالخَوانِ مِنْ أجْلِ الضَّيْف، تَذَكَّرَ الدَّابَةَ ذلِكَ الحِيْن؛
قالَ لِلخادِمِ اذْهَبْ إلى الإصْطَبْل، أعِدَّ للدَّابَّةِ التِّبْنَ والشَّعير؛
قالَ *لا حَولَ* ما هذِهِ الزِّيادَةُ في الكلام، مِنَ القِدَمِ هذِهِ الأشغالُ شُغْلي؛
قالَ طَرِّ لَهُ الشَّعيرَ أوَّلاً، فذلِكَ الحِمارُ هَرِمٌ وأسنانُهُ ضَعيفَة؛

قالَ *لا حَولَ* ماذا تقولُ أي عَظيم، مِنّي تَعَلَّموا هذِهِ التَّراتيب؛

قالَ ارفَعِ السَّرْجَ عَنْهُ مِنْ أمامٍ بِرِفْقٍ، وَضَعْ دَواءَ الجُرْح على ظَهْرِهِ الجَريح؛

قالَ *لا حَولَ* آخِراً أيْ ذا الحِكَم، مِنْ جِنْسِكَ جاءني ضَيْفاً مِئَةُ ألْف؛

والكُلُّ ذَهَبوا راضينَ مِنْ عِنْدِنا، فالضَّيْفُ عِنْدَنا عَزيزُنا وأهْلُنا؛

قالَ أعْطِهِ الماءَ دافِئاً مِنَ الصَّنبور، قالَ *لا حَولَ* نابَني الخَجَلُ مِنْك؛

قالَ ضِمْنَ الشَّعيرِ أقِلَّ التِّبْن، قالَ *لا حَولَ* أقْصِرْ هذا الحَديث؛

قالَ اِكْنِسْ محَلَّهُ مِنَ الحَصى والبَعْر، وإنْ كانَ رَطْباً فَرُشَّ عَلَيْهِ تُراباً جافّاً؛

قالَ *لا حَولَ* أيْ أبُ كُنْ *لا حَول*، مَعَ الرَّسولِ الأهْلِ اجْعَلِ الحَديثَ مُخْتَصَراً؛

قالَ خُذِ المِشْطَ وَحُكَّ ظَهْرَ الحِمار، قالَ *لا حَولَ* أيْ أبُ لِتَخْجَلْ؛

قالَ الخادِمُ هذا وَتَحَزَّمَ في عَجَلٍ، قالَ أنا ذاهِبٌ لِأُحْضِرَ التِّبْنَ والشَّعيرَ أوَّلاً؛

ومضى ولَمْ يَخْطُرْ ببالِهِ الإِصْطَبْل، وذلِكَ الصُّوفِيُّ أخَذَهُ نَومُ أرْنَب؛

ذَهَبَ الخادِمُ إلى جمْعٍ مِنَ الأوباش، ساخِراً مِنْ وَصِيَّةِ الصُّوفِيّ؛

طالَ قُعودُ الصُّوفِيّ عَنِ الطَّريق، وكانَ يرى أحلاماً بِعَيْنِهِ المُغْمَضَة؛

أنَّ حِمارَهُ ذاكَ واقِعٌ بِقَبْضَةِ ذِئبٍ، ينتَزِعُ أجزاءَ مِنْ ظَهْرِهِ وَفَخِذِه؛

قالَ لا حَولَ ما هذِهِ السَّوداء، أي عَجَباً ذلِكَ الخادِمُ المُشْفِقُ أينَ هُوَ؛

وعادَ ورأى حِمارَهُ ذاكَ يسيرُ في الطَّريق، تارَةً يقَعُ في بئرٍ وتارَةً في حُفْرَة؛

ويرى ألوانَ ألوانٍ لا تَسُرُّ مِنْ كُلِّ واقِعَة، فانبرى يَقْرَأُ الفاتِحَةَ والقارِعَة؛

قالَ ما الحِيلَةُ، الرِّفاقُ تَفَرَّقوا، ذَهَبوا وجميعَ الأبوابِ أغْلَقوا؛

وعادَ وقالَ عَجَباً ذلِكَ الخادِمُ الصَّغير، ألَمْ يكُنْ مُشارِكاً لنا في الخُبْزِ والمِلْح؛

لَمْ يَصْدُرْ مِنّي بِحَقِّهِ إلّا اللُّطْفُ واللّين، لِماذا عامَلَنا بالضَّغينَةِ مُقابِلَ ذلِك؛

وكُلُّ عداوَةٍ وَجَبَ أنْ يكونَ لها سَنَدٌ، وإلّا فإنَّ الجِنْسِيَّةَ تُلَقِّنُ الوفاء؛

وعادَ وقالَ آدَمُ مَعَ لُطْفِ الوجود، متى كانَ جرى مِنْهُ على إبليسَ جَور؛

وماذا فَعَلَ الآدَمِيُّ للحَيَّةِ والعَقْرَب، وكُلٌّ مِنْهُما يَطْلُبُ لَهُ المَوتَ والألَم؛
الذِّئبُ لَهُ خاصِّيَّةُ التَّمزيقِ في النَّفس، هذا الحَسَدُ في الخَلْقِ أخيراً ظاهِرٌ؛
وعادَ وقالَ إنَّ هذا الظَّنَّ كانَ خَطَأً، في حَقِّ أخٍ ما هذا الظَّنُّ ولِمَ؛
وعادَ وقالَ سوءُ ظَنِّكَ حَزْمٌ، كُلُّ مَنْ هُوَ بلا سوءِ ظَنٍّ كَيْفَ يَظَلُّ سالِماً؛
الصُّوفِيُّ في الوَسْوَسَةِ والحِمارُ بِحالٍ، مِثْلَ تِلْكَ الحالِ فَلْتَكُنْ جزاءَ الأعداء؛
الحِمارُ المِسكينُ ذاكَ بينَ حِجارَةٍ وتُرابٍ، مائلُ السَّرْجِ ومُمَزَّقُ الزِّمام؛
مُنْهَكٌ مِنَ الطَّريقِ، جُمْلَةُ اللَّيْلِ بلا عَلَف، حيناً بِنَزْعِ روحٍ وحيناً في التَّلَف؛
الحِمارُ طِوالَ اللَّيْلِ بالذِّكْرِ أيْ إلٰهي، تنازَلْتُ عَنِ الشَّعيرِ أأقَلُّ مِنْ حِفْنَةِ تِبْن؛
بِلِسانِ الحالِ كانَ يقولُ أيْ شُيوخ، رَحْمَةً احْتَرَقْتُ مِنْ هذا السَّاذَجِ المُستَهْزِئ؛
ذاكَ الَّذي رآهُ ذاكَ الحِمارُ مِنْ أَلَمٍ وَعَذابٍ، رآهُ الطَّائرُ الضَّائعُ في سَيْلِ الماء؛
ذاكَ الحِمارُ المِسْكينُ في جوعِ البَقَر، نامَ على الجَنْبِ تِلْكَ اللَّيلَةَ إلى السَّحَر؛
أتى النَّهارُ وأقْبَلَ الخادِمُ مَعَ الفَجْر، وَضَعَ السَّرْجَ عَدْلاً على ظَهْرِهِ سَريعاً؛
قامَ بِوَخْزِهِ وَخْزَتَينِ ثلاثاً على الكَتِف، فَعَلَ بالحِمارِ ما هُوَ جزاءُ ذلِكَ الكَلْب؛
صارَ الحِمارُ يلبِطُ مِنْ شِدَّةِ الوَخْزِ، مِنْ أينَ للحِمارِ اللِّسانُ ليقومَ بِشَرْحِ الحال؛

ظَنُّ أهلِ القافِلَةِ أنَّ دابَّةَ الصُّوفِيِّ مريضَةٌ

حينَ رَكِبَ الصُّوفيُّ وصارَ في الطَّريقِ، راحَتِ الدَّابَّةُ تَسْقُطُ في السَّيرِ كُلَّ حينٍ؛
وكُلَّ حينٍ يقومُ بِرَفْعِها الخَلْق، والجَميعُ يَظُنُّونَها مريضَةً؛
واحِدٌ راحَ يَشُدُّ أُذُنَها بِقُوَّةٍ، وذاكَ آخَرُ يَفْحَصُ فَكَّها وَتَحْتَ لِجامِها؛
وذاكَ آخَرُ يَبْحَثُ في نَعْلِها عَنْ حَصاةٍ، وذاكَ آخَرُ يَبْحَثُ في عَيْنِها عَنْ عِلَّة؛
ثُمَّ قالوا أي شَيْخُ ما سَبَبُ هذا، أَلَمْ تَكُنْ قُلْتَ بالأمْسِ، شُكْراً هذا الحِمارُ قويّ؛
قالَ ذاكَ الحِمارُ الَّذي أكَلَ في اللَّيْلِ *لا حَوْل*، بِغَيْرِ هذا النَّهْجِ لا يَعْرِفُ السَّيْر؛

الحِمارُ الَّذي كانَ قُوْتُهُ في اللَّيْلِ *لا حَوْل*، ليلُهُ في تَسبيحٍ ونَهارُهُ في سُجود؛
أغْلَبُ النَّاسِ آكِلونَ للآدَميّ، مِنَ *السَّلامُ عَلَيْكَ* مِنْهُمْ لا تَكُنْ في أمان؛
قُلوبُهُمْ جَميعاً مَنازِلُ الشَّيطان، فَأَقِلَّ مِنْ قَبولِ حِيَلِ شَيطانِ الإنْس؛
مِنْ نَفَسِ إبليسَ كُلُّ مَنْ أكَلَ *لا حَوْل*، يَقَعُ على الرَّأسِ في السَّعْيِ مِثْلَ الحِمار؛
كُلُّ مَنْ أكَلَ في الدُّنيا تَلْبيسَ إبليس، ومِنْ عَدُوٍّ بِوَجْهِ الصَّديقِ التَّعْظيمَ والمَكْر؛
في دَرْبِ الإسلامِ وعلى جِسْرِ الصِّراط، يَقَعُ على الرَّأسِ كالحِمارِ مِنَ الخُباط؛
اِحْذَرْ لا تَشْرَبْ خِداعَ صَديقِ السُّوءِ، لِتَرَ الشِّباكَ ولا تَسِرْ آمِناً على الأرْض؛
وأُنْظُرْ مِئةَ ألْفِ إبليسَ يقولونَ *لا حَوْل*، أي آدَمُ انْظُرْ في الحَيَّةِ إلى إبليس؛
إنَّهُ يُغْويكَ لِيَنْزَعَ عَنْكَ الغِطاء، ويلٌ لِذاكَ الَّذي شَرِبَ أفيونَ الأعْداء؛
يَجْعَلُ رَأسَكَ مَوْضِعَ القَدَمِ كالقَصّاب، يُعطِيْكَ مَكْراً لِيُريقَ دَمَكَ في أَلَمٍ وعذاب؛
صِدْ صَيْدَ نَفْسِكَ بِنَفْسِكَ فِعْلَ الأسَد، واتْرُكْ خِداعَ الغَريبِ والقَريب؛
اِعْرِفْ مُراعاةَ الأخِسَّاءِ مِثْلَ ذاكَ الخادِم، الوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ خِداعِ اللِّئام؛
لا تَجْعَلْ مَنْزِلَكَ في أرْضِ النَّاسِ، وقُمْ بِشُغْلِكَ وَدَعْ شُغْلَ الغَريب؛
وَمَنْ هُوَ الغَريبُ، جَسَدُكَ التُّرابِيُّ، الَّذي مِنْ أجْلِهِ أنْتَ هكذا مَغْموم؛
ما دُمْتَ تُعطي البَدَنَ الدَّسَمَ واللَّذيذ، جَوْهَرَ الذَّاتِ مِنْكَ لَنْ تَرى كَثيراً؛
وَلَوْ جَعَلْتَ البَدَنَ مِنْكَ في وَسَطِ المِسْك، يصيرُ نَتَنُهُ ظاهِراً يَوْمَ المَوت؛
لا تَضَعِ المِسْكَ على البَدَنِ وامْسَحْ بِهِ القَلْب، المِسْكُ الإسْمُ الطَّاهِرُ لِذي الجلال؛
ذاكَ المُنافِقُ يَضَعُ المِسْكَ على البَدَنِ، وَيَضَعُ الرُّوحَ مِنْهُ في قَعْرِ الأَتون؛
اِسْمُ الحَقِّ على اللِّسانِ مِنْهُ وفي الرُّوحِ، نَتَنٌ مِنَ الفِكْرِ مِنْهُ مِنْ دونِ إيمان؛
ذِكْرُهُ كأنَّهُ خُضْرَةُ الدِّمَنِ، وَرْدٌ وَسَوسَنٌ على مَزْبَلَةٍ؛
ذاكَ النَّباتُ هُناكَ يقيناً عارِيَةٌ، مكانُ ذلِكَ الوَرْدِ المَجْلِسُ والعِشْرَة؛
جاءتِ الطَّيّباتُ للطَّيِّبين، اِنْتَبِهْ والخَبيثاتُ للخَبيثين؛

لا تَحْقِدْ فأولئكَ الَّذينَ ضَلُّوا مِنَ الحِقْدِ، جَعَلوا قُبورَهُمْ في جِوارِ أَهْلِ الحِقْدِ؛
أَصْلُ الحِقْدِ النَّارُ وَحِقْدُكَ، جُزْءُ ذاكَ الكُلِّ وَخَصْمُ دينِك؛
وما دُمْتَ جُزءاً مِنَ النَّارِ فانْتَبِهْ إذَن، الجُزْءُ في جِهَةِ الكُلِّ أخيراً لهُ قرار؛
السَّيِّئُ يُلْحَقُ بالسَّيِّئينَ يقيناً، متى كانَ الباطِلُ للحَقِّ لَحْظَةً قريناً؛
أيْ أخي أنتَ ما أنتَ مِنْ فِكْرٍ، وما بقِيَ عِظامٌ وَعُروق؛
إذا كانَ فِكْرُكَ وَرْداً فأنْتَ رَوْضٌ، وإنْ كانَ شَوكاً فأنتَ حَصَبُ المَوقِد؛
إنْ تَكُنْ ماءَ وَرْدٍ أنْتَ على الرَّأسِ وفي الجَيْب،وإنْ تَكُنْ كالبَولِ تُطْرَدْ خارِجاً؛
أُنْظُرْ قواريرَ العِطْرِ عِنْدَ العَطَّارين، مُرَتَّبَةً كُلُّ جِنْسٍ لِجِنْسِهِ قرينٌ؛
الأجناسُ مُزِجَتْ مَعَ الأجناسِ، مِنْ هذا التَّجانُسِ وُلِدَتْ زِينَةٌ؛
إذا مَزَجوا لَهُ العُودَ والسُّكَّر، مَيَّزَ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما عَنِ الآخَر؛
آنِيَةُ العُطورِ انكَسَرَتْ والأرواحُ امتَزَجَتْ، الأرواحُ الطَّيِّبَةُ والسَّيِّئَةُ اختَلَطَتْ؛
الحَقُّ أرْسَلَ الأنبياءَ مَعَهُمُ الوَرَق، حتَّى ينتقوا هذِهِ الحُبوبَ في طَبَق؛
مِنْ قَبْلِهِمْ كُنَّا جَميعاً واحِداً، لا شَخْصَ كانَ يُمَيِّزُ الأخيارَ مِنَ الأشرار؛
الزَّيفُ والصَّحيحُ كانا يجريانِ في العالَمِ، كانَ اللَّيْلُ عامَّاً وكُنَّا كَسُراةِ اللَّيْل؛
حتَّى إذا طَلَعَتْ شَمْسُ الأنبياء، قالَتْ أيْ غِشُّ ابتَعِدْ أي صافي تَعال؛
العَيْنُ تَعْرِفُ تَمييزَ الألوانِ، العَيْنُ تُمَيِّزُ اللَّعْلَ مِنَ الحَجَر؛
العَيْنُ تَعْرِفُ الجَوْهَرَ مِنَ التِّبْنِ، العَيْنُ مِنْ ذلِكَ تَخِذُها الأشواك؛
أعْداءُ النَّهارِ هؤلاءِ المُزَيِّفون، عُشَّاقُ النَّهارِ ذَهَبُ المناجِم؛
ذاكَ لِأَنَّ النَّهارَ مِرْآةُ تَعْريفِهِ، لِيَحصَلَ الذَّهَبُ الأشْرَفِيُّ على تَشْريفِهِ؛
الحَقُّ أعطى القيامَةَ مِنْ ذلِكَ لَقَبَ يَوم، اليَومُ يُبْدي جَمالَ الأحْمرِ والأَصْفَر؛
فاليَومُ حَقيقَتُهُ سِرُّ الأولياء، اليَومُ عِنْدَ أقمارِهِمْ كالظِّلال؛
اعرِفوا اليَومَ صُورَةَ سِرِّ رَجُلِ الحَقّ، وصُورَةُ سَتَّارِيَّتِهِ اللَّيْلُ مُغْلِقُ العُيون؛

أقْسَمَ الحَقُّ بِهِ في *والضُّحى*   والضُّحى نورُ ضميرِ المُصْطفى

القَولُ الآخَرُ الضُّحى طَلَبَ الحبيب، ذاكَ أيضاً مِنْ أجْلِ أنَّ هذا انعِكاسُه؛

وإلَّا فالقَسَمُ بالفاني خَطَأٌ، الفَناءُ كيفَ يكونُ لائقاً بِكلامِ اللهِ؛

لا أُحِبُّ الآفلينَ قالَ ذاكَ الخَليل، متى يطلُبُ الفَناءَ مِنْ هذا الرَّبِّ الجليل؛

ثُمَّ واللَّيْلِ، واللَّيْلُ ستَّارِيَّتُهُ، وذاكَ التُّرابيُّ الزَّنجاريُّ بَدَنُهُ؛

عِنْدَما شَمْسُهُ طَلَعَتْ مِنْ ذلِكَ الفَلَك، قالَتْ لِلَيْلِ بَدَنِهِ *ما وَدَّعَك*؛

صارَ الوَصْلُ ظاهِراً مِنْ عَيْنِ البلا، مِنْ تِلْكَ الحلاوَةِ كانَتْ عِبارَةُ *ما قلى*؛

وكُلُّ عِبارَةٍ بِذاتِها إشارَةُ حالٍ، الحالُ كأنَّها اليَدُ والعِبارَةُ آلَةٌ؛

آلَةُ الصِّناعيّ في يَدِ الحَذّاءِ، مِثْلَ حَبَّةٍ زُرِعَتْ في الرِّمال؛

وآلَةُ الإسكافيّ عِنْدَ الزَّرَّاعِ، كالعُشْبِ عِنْدَ الكَلْبِ والعَظْمِ عِنْدَ الحِمار؛

أنا الحَقُّ مِنْ شِفاهِ مَنْصورَ نُوْر، *أنا اللهُ* مِنْ شِفاهِ فِرْعَونَ زُوْر؛

شاهِداً كانَتِ العَصا لَدى كَفِّ موسى، في كَفِّ ساحِرٍ كانَتِ العصا هَبا؛

عيسى لِذلِكَ السَّبَبِ ما قامَ، بِتَعْليمِ ذلِكَ الإسْمِ الصَّمَد لِذاكَ الرَّفيق؛

هُوَ غَيْرُ عالِمٍ ويَنْسُبُ النَّقْصَ للآلَة، مِنْ ضَرْبِ الحَجَرِ بالطِّينِ لا تَشْتَعِلُ النَّار؛

اليَدُ والآلَةُ مِثْلَ الصَّخْرِ والحديد، واجِبانِ زَوجَين، الاِزدواجُ شَرْطُ الوِلادَة؛

الَّذي هُوَ بلا قَرينٍ ولا آلَةٍ واحِدٌ، في العَدَدِ شَكٌّ وذاكَ الواحِدُ لا شَكَّ فيه؛

الَّذينَ قالوا باثْنَيْنِ وثلاثَةٍ وأكْثَرَ مِنْ هذا، هُمْ مُتَّفِقونَ على الواحِدِ يقينا؛

مَتى دُفِعَ الأحْوَلُ صاروا سواءً، القائلونَ باثنَينِ وثلاثَةٍ قائلونَ بِالواحِدِ أيْضاً؛

إذا كُنْتَ كُرَةً واحِدَةً بِمَيْدانِهِ، يَرْتَفِعُ الغُبارُ مِنْكَ مِنْ صَولَجانِهِ؛

الكُرَةُ الَّتي تكونُ صحيحَةً بلا نُقْصان، تِلْكَ مِنْ ضَرْبَةِ يَدِ الشَّاهِ في رَقَصان؛

فاسْعَ أيْ أحْوَلُ وَعِ الأشياء، وامْسَحْ دواءَ العَيْنِ مِنْ طريقِ السَّمْع؛

فالكلامُ الطَّاهِرُ في القُلوبِ العَمياءِ، لا يَسْتَقِرُّ وَيَذْهَبُ إلى أصْلِ النُّور؛

مَكْرُ ذاكَ الشَّيطانِ في القُلوبِ العَوجاء، يمضي كحِذاءٍ أعْوَجٍ بِقَدَمٍ عَوجاء؛
حتَّى وَلَوْ حَصَلْتَ على الحِكْمَةِ بالتِّكْرار، ما دُمْتَ لَسْتَ مِنْ أهْلِها تَبْرَأُ مِنْك؛
حتَّى لَو قُمْتَ بالخَطِّ بالإشارَةِ إلَيْها، حتَّى وَلَو جِئْتَ باللَّغْوِ بِبَيانِها؛
هِيَ تُخْفي وَجْهَها عَنْكَ أيْ شَديدَ الخِصام، إنَّها تَقْطَعُ القُيودَ وَتَفِرُّ مِنْك؛
لَو كُنْتَ غَيْرَ قارِئٍ ورأى مِنْكَ اِحْتِراقاً، العِلْمُ يصيرُ طائراً مُعَلَّماً على يَدِك؛
هُوَ لا يستَقِرُّ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَكُنْ حاذِقاً، مِثْلَ ذلِكَ الطَّاووس في مَنْزِلِ القَرَويَّة؛

عُثورُ المَلِكِ على البازِ في مَنْزِلِ امرَأَةٍ عَجوز

الدِّينُ ليسَ ذاكَ البازَ الَّذي فَرَّ مِنَ الشَّاه، إلى تِلْكَ العَجوزِ الَّتي تُنَخِّلُ السُّمَّاق؛
كانَتْ تُعِدُّ السُّمَّاقَ لِتَطْبِخَ لأولادِها الحِساءَ، وَرأَتْ ذلِكَ البازَ الجَميلَ الأصيل؛
فَرَبَطَتْ قَدَمَهُ وَقَصَّرَتْ ريشَهُ، وقَصَّتْ أظافِرَهُ وَجَعَلَتْ قُوتَهُ القَشَّ؛
قالَتِ الأخِسَّاءُ لَمْ يُقَدِّموا لَكَ الرِّعايَةَ، فَزادَ ريشُكَ عَنِ الحَدِّ وطالَتْ أظافِرُك؛
يَدُ كُلِّ خَسيسٍ قَدْ أمْرَضَتْكَ، تَعالَ إلى الأُمِّ كَي تَقومَ بِرِعايَتِك؛
مَحَبَّةَ الجاهِلِ اعْرِفْ هكذا أيْ رَفيق، الجاهِلُ يسيرُ أعْوَجَ دائماً في الطَّريق؛
تأخَّرَ الشَّاهُ يوماً في البَحْثِ عَنْهُ، فمالَ إلى تِلْكَ العَجوزِ في تِلْكَ الخَيْمَة؛
رأى البازَ عَرَضاً في الغُبارِ والتُّراب، فبكى الشَّاهُ عَلَيْهِ حُرْقَةً وَناحَ؛
قالَ مَهْما يَكُنْ هذا جَزاءُ فِعْلِك، لأنَّكَ لَمْ تَكُنْ صادِقاً في الوفاءِ لنا؛
كيفَ قُمْتَ بالفِرارِ مِنَ الخُلْدِ إلى النَّار، غافِلاً عَنْ *لا يستوي أصحابُ النَّار*؛
هذا جزاءُ ذاكَ الَّذي مِنَ الشَّاهِ الخَبير، يفِرُّ عَبَثاً إلى مَنزلِ امْرَأَةٍ عَجوز؛
راحَ البازُ يَمْسَحُ الجَناحَ بِيَدِ الشَّاه، بلا لِسانٍ يقولُ قَدْ عَمِلْتُ ذَنْباً؛
أينَ يبكي وأينَ يَشْكو اللَّئيمُ، إنْ كُنْتَ لا تَقْبَلُ إلَّا الحَسَنَ أيْ كريمُ؛
لُطْفُ الشَّاهِ يَجْعَلُ الرُّوحَ تَبْحَثُ عَنِ الجِنايَةِ، لأنَّ الشَّاهَ يُبَدِّلُ كُلَّ قبيحٍ حَسَناً؛

اِمْضِ ولا تَفْعَلِ القبيحَ فَحَسَناتُنا، جاءَتْ قبيحَةً عِنْدَ مَعْشوقِنا الجميل؛
خِدْمَتَكَ لائقَةً ظَنَنْتَ، لِواءَ الجُرْمِ مِنْ ذلِكَ رَفَعْتَ؛
حينَ صارَتْ لَكَ إجازَةُ الذِّكْرِ والدُّعاء، صارَ قَلْبُكَ مَغْروراً مِنْ ذلِكَ الدُّعاء؛
رَأَيْتَ نَفْسَكَ في حَديثٍ مَعَ الله، كثيرونَ أُلْقِيَ بِهِمْ بَعيداً مِنْ هذا الظَّنّ؛
مَعَ أنَّ الشَّاهَ لَمْ يَجْلِسْ مَعَكَ على الأرْضِ، اِعْرِفْ نَفْسَكَ واجْلِسْ جُلوساً أجْمَل؛
قالَ البازُ أيْ شاهُ أنا نادِمٌ، تُبْتُ وَصِرْتُ مُسْلِماً مِنْ جديد؛
ذاكَ الَّذي جَعَلْتَ سَكْرانَ وصائدَ أُسودٍ، إذا سارَ يميلُ مِنَ السُّكْرِ فاقْبَلْ عُذْرَه؛
ما دُمْتَ لي رَغْمَ فَقْدِ أظْفاري، أنا أقْتَلِعُ ضَفيرَةَ الشَّمْس؛
إنْ كانَ ريشي ذَهَبَ إذا لاطَفْتَني، في لَعِبي يَتَوَقَّفُ الفَلَكُ عَنِ اللَّعِب؛
إذا أعْطَيتَني الكَمَرَ أهْدِمُ الجَبَل، وإنْ أعْطَيْتَني القَلَمَ أكْسِرُ الأعلام؛
آخِراً جَسَدي لَيْسَ أقَلَّ مِنْ بَعوضَةٍ، لِأضرِبَ مُلْكَ نَمْرودَ بالجَناحِ وأهْدِمَه؛
اِعْتَبِرْني في الضَّعْفِ مِثْلَ الأبابيل، وكُلَّ واحِدٍ مِنْ خُصومي اعْتَبِرْ كالفيل؛
أُلقي حِجَارَةً قَدْرَ بُنْدُقَةٍ فتكونَ بُنْدُقَ حَريق، بُنْدُقي في الفِعْلِ مِثْلَ مِئةِ مَنْجَنيق؛
جاءَ موسى إلى الوغى بِعَصاً واحِدَةٍ، ضَرَبَ بِها فِرْعَونَ ذاكَ وسُيوفَه؛
كُلُّ رَسولٍ قَرَعَ ذاكَ البابَ بِمُفْرَدِه، قابَلَ وَحْدَهُ مُفْرَداً جَميعَ الآفاق؛
ونوحُ عِنْدَما طَلَبَ السَّيْفَ مِنْهُ، صارَ مَوجُ الطُّوفانِ مِنْهُ في طَبْعِ السَّيْف؛
أمامَ أحْمَدَ ما جُيوشُ الأرْض، اُنْظُرْ إلى القَمَرِ في السَّماءِ وَشُقَّ مِنْهُ الجبين؛
لِيَعْلَمَ السَّعْدُ والنَّحْسُ الغافِلانِ، أنَّ هذا الدَّوْرَ دَورُكَ لا دَورُ القَمَر؛
دَوْرُكَ حتَّى أنَّ موسى الكليم، تَمَنَّى أنَّهُ في دَورِكَ هذا مُقيم؛
حينَ موسى رأى رَوْنَقَ زَمَنِكَ، يُشْرِقُ مِنْهُ صُبْحُ التَّجَلِّي؛
قالَ يا رَبِّ ما زَمَنُ الرَّحْمَةِ ذاك، إنَّها فاقَتِ الرَّحْمَةَ إنَّها رؤيَةٌ هُناك؛
يا موسى أغْرِقِ النَّفْسَ في البِحار، واخْرُجْ مِنْها وَسَطَ دَوْرَةِ أحْمَد؛

قالَ يا موسى ذاكَ أظْهَرْتُ لَك، طَريقَ تِلْكَ الخَلْوَةِ اِعْلَمْ فَتَحْتُ لَك؛
أنتَ مِنْ ذلِكَ الدَّورِ في هذا الدَّور، أيْ كليمُ مُدَّ الرِّجْلَ فالبِساطُ طويل؛
أنا الكريمُ أُظْهِرُ الخُبْزَ لِلْعَبْد، كَيْ يَبكِيَ طَمَعاً ذلِكَ الحَيُّ؛
كما تَمْسَحُ الأُمُّ أنْفَ طِفْلِها، كَيْ يَصْحُوَ وَيَطْلُبَ الطَّعام؛
فَقَدْ كانَ نامَ جائعاً جاهِلاً، وذانِكَ الثَّديانِ بِهِما الوَخْزُ مِنْهُ طَلَبَ الإدرار؛
كُنْتُ كَنْزاً رَحْمَةً مَخْفِيَّةً، فابْتُعِثْتُ أُمَّةً مَهْدِيَّةً؛
كُلَّ كرامَةٍ تَطْلُبُها بالرُّوحِ، هُوَ أظْهَرَها لَكَ لِتَطْمَعَ في ذلِك؛
كمْ صَنَماً كَسَرَ أحْمَدُ في العالَم، كَيْ تَصيرَ الأُمَمُ تَقولُ يا ربّ؛
وَلَولا سَعْيُ أحْمَدَ لَكُنْتَ أنْتَ، تَعْبُدُ الصَّنَمَ مِثْلَ أجْدادِك أيضاً؛
لَقَدْ أنْجى رَأسَكَ مِنَ السُّجودِ للصَّنَم، حتَّى تَعْرِفَ حَقَّهُ على الأُمَم؛
إذا تَحَدَّثْتَ فَقُلْ بِشُكْرِ هذا الخلاص، لِيُخَلِّصَكَ بِكُلِّكَ مِن صَنَمِ الباطِن؛
كما خَلَّصَ رَأسَكَ مِنَ السُّجودِ للأصنام، بِتِلْكَ القُوَّةِ يُحَرِّرُ قَلْبَكَ أيضاً؛
فإنَّكَ أدَرْتَ بالرَّأْسِ عَنْ شُكْرِ الدِّين، لأنَّكَ وَجَدْتَ مِنَ الأبِ ميراثاً بلا ثَمَنٍ؛
الرَّجُلُ الوارِثُ لا يَعْرِفُ قَدْرَ المال، *رُسْتَمُ* دَفَعَ الرُّوحَ وأخَذَ مجَّاناً المُلْكَ *زال*؛
عِنْدَما بَكَيْتَ لي جاشَتْ رَحْمَتي، ذلِكَ الصَّارِخُ لي شَرِبَ نِعْمَتي؛
لَوْ لَمْ أرِدْ عَطاءَه لَمْ أُظْهِرْ لَهُ النَّفْس، أظْهَرْتُ نَفْسي لَهُ لأفتَحَ قَلْبَهُ المُغْلَق؛
رَحْمَتي مَوقوفَةٌ على ذلِكَ البُكاءِ الجَميل، حينَ بكى ارْتَفَعَ مَوْجُ الرَّحْمَة؛

شِراءُ الشَّيْخ أحْمَدْ خِضْرُويه قَدَّسَ اللهُ
سِرَّهُ العَزيز الحَلوى لِلْغُرَماءِ بِإلهامِ الحَقّ

كانَ هُناكَ شَيْخٌ دائماً مَدِيناً، مِنَ الجُودِ الَّذي كانَ مَشْهُوراً بِه؛
استَدانَ عَشْرَةَ آلافٍ مِنَ الوُجَهاء، وأنْفَقَها كُلَّها على الفُقَراء؛

كما بنى بالقَرْضِ خانِقاه، وَبَذَلَ النَّفْسَ والمالَ والخانِقاه؛
كانَ الحَقُّ يَقْضي دَيْنَهُ حَيْثُ كانَ، الحَقُّ جَعَلَ مِنَ الرَّمْلِ لِلْخَليلِ طَحيناً؛
قالَ الرَّسولُ إنَّ في الأسواقِ، مَلَكَيْنِ يَدْعُوانِ هذا الدُّعاء؛
اللَّهُمَّ أعْطِ المُنْفِقينَ خَلَفاً، اللَّهُمَّ أعْطِ المُمْسِكينَ تَلَفاً؛
خاصَّةً ذلِكَ المُنْفِقَ الَّذي أنْفَقَ الرُّوحَ، جَعَلَ الحَلْقَ قُرباناً لِلْخَلَّاق؛
قَدَّمَ الحَلْقَ مِثْلَ إسماعيلَ، السِّكِّيْنُ لَمْ يَكُنْ لها فِعْلٌ على حَلْقِه؛
ثُمَّ الشُّهَداءُ مِنْ هذا الوَجْهِ أحياءُ وَسُعَداءُ، لا تَنْظُرْ لِهذا البَدَنِ نَظَرَ مَجوسِيّ؛
أُعْطيَتْ لَهُمْ خَلَفاً روحُ البَقاءِ، روحاً آمِنَةً مِنَ الغَمِّ والعَذابِ والشَّقاء؛
الشَّيْخُ المُقْتَرِضُ ظَلَّ يَعْمَلُ هذا العَمَل سِنينَ، يأخُذُ ويُعطي مِثْلَ رُجُلٍ مُعينٍ؛
ظَلَّ يَزْرَعُ البُذورَ إلى يَومِ الأجَل، لِيَكونَ يَومُ الأَجَلِ أميرَ الأَجَل؛
عِنْدَما وَصَلَ عُمْرُ الشَّيْخِ إلى آخِرِه، ورأى في وُجودِ نَفْسِهِ أمارَةَ المَوت؛
اجْتَمَعَ حَولَهُ مِنَ الدَّائنينَ جَمْع، والشَّيْخُ ذائبُ النَّفْسِ في سُرورٍ كأنَّهُ الشَّمْع؛
الدَّائنونَ كانوا قانِطينَ عابِسين، صارَ وَجَعُ القَلْبِ مِنْهُمْ مُعاضِداً لِوَجَعِ الرِّئة؛
قالَ الشَّيْخُ أُنْظُرْ هؤلاءِ الظَّانِّينَ السُّوء، أَلَيْسَ عِنْدَ الحَقِّ أرْبَعُمئةِ دينارِ ذَهَب؛
وَصاحَ وَلَدٌ صَغيرٌ مِنَ الخارِجِ حَلْوى، يُنادي على حَلْواهُ بِأَمَلِ دانِقٍ؛
الشَّيْخُ أشارَ لِلْخادِمِ بالسِّرِّ، أنِ اذْهَبْ واشْتَرِ جُمْلَةَ الحَلوى؛
حتَّى يَأكُلَ الغُرَماءُ الحَلْوى، وَيَتَوَقَّفوا لَحْظَةً عَنِ النَّظَرِ إلَيَّ بِمرارَةٍ؛
وفي الوَقْتِ خَرَجَ الخادِمُ مِنَ الباب، كَيْ يَشْتَرِيَ الحَلْوى جُمْلَةً مِنْ ذلِكَ الوَلَد؛
قالَ لَهُ بِكَمْ جُمْلَةُ الحَلْوى، قالَ الوَلَدُ الصَّغيرُ بِنِصْفِ دينارٍ وَنَذْرٍ؛
قالَ لا تَطْلُبْ زِيادَةً مِنَ الصُّوفِيِّين، أُعْطيكَ نِصْفَ دينارٍ ولا تَزِدْ كلِمَةً؛
قَدَّمَ الطَّبَقَ قُدَّامَ الشَّيْخ، أُنْظُرْ إلى أسرارِ سِرِّ فِكْرِ الشَّيْخ؛
قامَ بالإشارَةِ لِلْغُرَماءِ أنْ هذا النَّوال، تَبَرُّكٌ جَميلٌ فكُلوا هذا حلال؛

حينَ صارَ الطَّبَقُ خالِياً وَقَفَ الوَلَد، قالَ أعْطِني ديناري أيُّها العاقِل؛
قالَ الشَّيْخُ مِنْ أيْنَ أحْصَلُ على دِرْهَم، وأنا مَدينٌ وذاهِبٌ إلى جِهَةِ العَدَم؛
الوَلَدُ مِنَ الغَمِّ ألقى الطَّبَقَ على الأرْض، وراحَ في البُكاءِ والنُّواحِ والحنين؛
الوَلَدُ الصَّغيرُ يبكي ويصرُخُ مِنَ الغَبْنِ، قَدَمايَ كِلتاهُما كُسِرَتا؛
أيْ لَيتَني كُنْتُ دائراً حَوْلَ الأتون، أيْ لَيْتَني لَمْ أمُرَّ بِبابِ هذِهِ الخانِقاه؛
الصُّوفِيُّونَ آكِلو حَرامٍ وَجَشِعون، لَهُمْ قُلوبُ الكِلابِ وَوُجوهُ القِطَط؛
مِنْ صُراخِ الوَلَدِ للخَيْرِ والشَّرّ، اجْتَمَعَ حَوْلَ الوَلَدِ جَمْعٌ كالحَشْر؛
تَقَدَّمَ إلى الشَّيْخِ وقالَ أيُّها الشَّيْخُ غَيْرُ المُستَقيم، أنتَ تَعْلَمُ يَقيناً المُعَلِّمُ يَقْتُلُني؛
إذا ما ذَهَبْتُ إلَيْهِ فارِغَ اليَدِ، سَوفَ يَقتُلُني أعِنْدَكَ إجازَةٌ لِهذا؛
وأولئكَ الغُرَماءُ بالإنكارِ والجُحُودِ أيْضاً، تَوَجَّهوا إلى الشَّيخِ ما هُناكَ أيضاً؛
أكَلْتَ مالَنا وَتَحْمِلُ المَظالِمَ، ما هذا الظُّلْمُ الآخَرُ الَّذي تُضيفُ إلَيها؛
إلى وَقْتِ الصَّلاةِ الأُخرى والوَلَدُ يبكي، والشَّيْخُ مُغْمَضُ العَيْنِ ولمْ يَنْظُرْ إلَيه؛
الشَّيْخُ فارِغاً مِنَ الجَفاءِ وَمِنَ الخِلاف، سَحَبَ الوَجْهَ كالقَمَرِ تَحْتَ اللِّحاف؛
سَعيدٌ مَعَ الأزَلِ سَعيدٌ مَعَ الأجَلِ مُبْتَهِجٌ، فارِغٌ مِنْ تَشْنيعِ وَقَوْلِ خاصٍّ وعامّ؛
ذاكَ الَّذي تَضحَكُ الرُّوحُ بِوَجْهِهِ كأنَّها القَنْد، ما ألَمُهُ مِنْ عبوسِ وَجْهِ الخَلْق؛
ذاكَ الَّذي تُقَبِّلُ الرُّوحُ بينَ عَيْنَيْهِ، متى يَغْتَمُّ مِنَ الفَلَكِ وَمِنْ غَضَبِ الفَلَك؛
في اللَّيْلَةِ القَمْراءِ القَمَرُ في السَّماء، لا ينالُهُ الأذى مِنَ الكِلابِ والعُواء؛
الكَلْبُ يقومُ بِوَظيفَةِ نَفْسِهِ كما هِيَ، والقَمَرُ وَظيفَتُهُ أنْ يَنْشُرَ بِوَجْهِهِ النُّور؛
كُلُّ شَخْصٍ يقومُ بِأداءِ عَمَلِ نَفْسِه، الماءُ لا يَتْرُكُ الصَّفاءَ لأجْلِ كُلِّ خَسيس؛
القَشُّ الخَسيسُ يَمشي على سَطْحِ الماء، والماءُ يَجْري صافِياً دونَ اضطِراب؛
المُصْطَفى يَشُقُّ القَمَرَ مَوْهِناً، وأبو لَهَبٍ يلوكُ اللَّغْوَ حِقْداً؛
ذاكَ المَسيحُ أعادَ حَيَّاً المَيْتَ، وذاكَ اليَهودِيُّ مِنَ الغَضَبِ يَنْتَزِعُ الشَّارِب؛

نُباحُ الكَلْبِ لَنْ يَصِلَ أبَداً أُذُنَ القَمَرِ، خاصَّةً قَمَرٍ كانَ خاصَّةَ اللهِ؛
المَلِكُ في الشُّرْبِ على ضفَّةِ الجَدْوَلِ، غَيْرَ مُبالٍ بِسَماعِ أصواتِ الضَّفادِعِ؛
تَوزيعَ بَعْضِ الدَّوانيقِ على ذلِكَ الوَلَدِ، هِمَّةُ الشَّيْخِ قَيَّدَتْ ذلِكَ السَّخاء؛
لِئَلَّا يُعْطِيَ شَخْصٌ لِذلِكَ الوَلَدِ أيَّ شَيءٍ، قُوَّةُ الشُّيوخِ أكثَرُ مِنْ هذا بِكثير؛
انتَهَتِ الصَّلاةُ الأُخْرى وَجاءَ خادِم، بِطَبَقٍ على الكَفِّ مِنْ جوادٍ كحاتِمٍ؛
صاحِبِ مالٍ وحالٍ أرْسَلَ إلى الشَّيْخ، هدِيَّةً فَقَدْ كانَ بِهِ خَبيراً؛
وأرْبَعَمائةِ دينارٍ على طَرَفِ الطَّبَق، وَنِصْفَ دينارٍ آخَرَ ضِمْنَ وَرَق؛
تَقَدَّمَ الخادِمُ قَدَّمَ الإكرامَ للشَّيْخ، قَدَّمَ ذلِكَ الطَّبَقَ قُدَّامَ الشَّيْخ؛
عِنْدَما فَتَحَ الغِطاءَ وبانَ وَجْهُ الطَّبَقِ، ورأى الخَلْقُ تِلْكَ الكرامَةَ مِنْهُ؛
الآهُ والصَّيحاتُ عَلَتْ سريعاً مِنَ الكُلِّ، ما كانَ هذا يا رَأسَ المَشايخِ والمُلوك؛
مُجَدَّداً أيُّ سِرٍّ هذا وأيُّ سُلطانٍ هذا، أي مليكَ مُلوكِ السِّرِّ؛
نَحْنُ لَمْ نَكُنْ عارِفينَ فاعْفُ عَنَّا، قَدْ أكْثَرْنا الحَديثَ لَغْواً بِكُلِّ اتِّجاه؛
نَحْنُ الَّذينَ كُنَّا نَضْرِبُ بالعِصِيِّ كالعُميان، لا جَرَمَ أنْ كَسَرْنا القَناديل؛
نَحْنُ كالصُّمِّ ما سَمِعْنا الخِطاب، وَنَقولُ سُخْفاً مِنْ قياسِنا الجواب؛
نَحْنُ لَمْ نَأخُذِ النَّصيحَةَ مِنْ موسى، وَقَدْ صارَ أصْفَرَ اللَّونِ مِنْ إنكارِ الخِضْر؛
بِمِثْلِ تِلْكَ العَيْنِ الَّتي تَفَتَّحُ في العلاء، نُورُ عَيْنِهِ يَشُقُّ السَّماء؛
قاسَ عَيْنَهُ تَعَصُّباً بِعَيْنِكَ موسَيا، مَنْ لَهُ عَيْنٌ كَعَيْنِ فَأْرِ الطَّاحون؛
الشَّيْخُ قالَ مِنْ ذاكَ المَقالِ والقال، جَعَلْتُكُمْ في حِلٍّ، ذاكَ لَكُمْ حلال؛
هذا كانَ سِرَّ ذاكَ وَقَدْ طَلَبْتُ مِنَ الحَقّ، لا جَرَمَ أنْ أظْهَرَ لِيَ الطَّريقَ الحَقّ؛
قالَ ذاكَ الدِّينارُ رَغْمَ أنَّهُ قليل، كانَ مَوقوفَ بُكاءِ ذاكَ الوَلَدِ والعَويل؛
لَوْ لَمْ يَبْكِ ذلِكَ الوَلَدُ بائعُ الحَلوى، لَمْ يكُنْ بَحْرُ الرَّحْمَةِ لِيَجيءَ جَيَّاشاً؛

أيْ أخي طِفْلُ عَيْنِكَ هُوَ الطِّفْل، مُرادُهُ مَوقوفُ البُكاءِ والأنينِ، اعْلَمْ جَيِّداً؛
إذا كُنْتَ تُريدُ أنْ تَصِلَ إلَيكَ تِلْكَ الخِلْعَةُ ، أبْكِ طِفلَ العَيْنِ على الجَسَد؛

تَخويفُ شَخْصٍ لِزاهِدٍ أنْ
أقِلَّ البُكاءَ كي لا تَصيرَ أعْمى

قالَ لِزاهِدٍ رَفيقٌ في العَمَل، أقِلَّ البُكاءَ كَيْ لا يصيبَ عَيْنَكَ خَلَل؛
الزَّاهِدُ قالَ لَيْسَ خارِجَ اثْنَتَيْنِ الحال، أنْ تَرى أو لا تَرى العَيْنُ ذاكَ الجَمال؛
أيُّ غَمٍّ إذا رَأَتِ العَيْنُ نُورَ الحَقّ، ما أقَلَّ عَينَينِ في وِصالِ الحَقّ؛
إنْ لَمْ تُرِدْ رؤيَةَ الحَقَّ قُلْ لَها اذْهَبي، قُلْ لِمِثْلِ هذا النَّاظِرِ الشَّقِيِّ كُنْ أعْمى؛
لا تَأكُلْ غَمَّ النَّظَرِ فَعيسى ذاكَ لَك، لا تَمْشِ خَطَأً لِيَهَبَكَ عَينَينِ صحيحتين؛
عِيسى روحِكَ مَعَكَ حاضِر، أُطْلُبْ النُّصْرَةَ مِنْهُ فَهُوَ نِعْمَ النَّاصِر؛
لكِنْ لا تَضَعْ على قَلْبِ عِيسى كُلَّ لَحْظَةٍ، بَدَنَ التَّسخيرِ الَّذي مِلؤهُ العِظام؛
مِثْلَ ذلِكَ الأبْلَهِ الَّذي في القِصَّة، جِئنا بِذِكْرِهِ مِنْ أجْلِ الصَّادِقين؛
حياةَ البَدَنِ لا تَطْلُبْها مِنْ عيساك، لا تَطْلُبْ مُرادَ فِرعَونَ مِنْ موساك؛
أقِلَّ وَضْعَ هَمِّ المَعاشِ على القَلْب، عَيْشُكَ سَوفَ لَنْ يَقِلَّ كُنْ بالباب؛
هذا البَدَنُ جاءَ خَيْمَةً للرُّوح، أو كالسَّفينَةِ مِنْ أجْلِ نوح؛
مَنْ يَكُنْ تُركِيَّاً يَجِدِ الخيام، خاصَّةً إذا كانَ عزيزَ تِلْكَ الأعتاب؛

تَمامُ قِصَّةِ إحياءِ العِظامِ بِدُعاءِ عيسى عَلَيهِ السّلام

قَرَأَ عيسى اِسْمَ الحَقّ على العِظام، ذلِكَ مِنْ أجْلِ التِماسِ ذلِكَ الشَّابّ؛
حُكْمُ اللهِ في شَأْنِ ذلِكَ السَّاذَجِ، كانَ إحياءَ تِلْكَ العِظامِ صورَةً؛
وَمِنْ بينِها نَهَضَ أَسَدٌ أسْوَدُ اللَّون، أنْشَبَ بِهِ المَخالِبَ وَجَعَلَ رَسْمَهُ خَراباً؛

انْتَزَعَ رَأْسَهُ وأسالَ مُخَّهُ سَريعاً، مُخُّ الجَوزِ الَّذي كانَ فيهِ لَمْ يَكُنْ مُخّاً؛
لَوْ كانَ لَهُ مُخٌّ لَمْ يَكُنْ مِنْ كَسْرِهِ، ثَمَّةَ نَقْصٌ إلّا على بَدَنِه؛
قالَ عيسى لِماذا مَزَّقْتَهُ سَريعاً، قالَ مِنْ وَجْهِ أنَّهُ أصابَكَ مِنْهُ ضيق؛
قالَ عيسى لِماذا لَمْ تَشْرَبْ دَمَ الرَّجُل، قالَ لأنَّهُ في القِسْمَةِ لَمْ يَكُنْ لي رِزْقاً؛
أي كَمْ مِنْ شَخْصٍ كذاكَ الأسَدِ المُفْتَرِس، مَضى عَنِ العالَمِ لَمْ يَأْكُلْ صَيْدَه؛
حِرْصُهُ كالجَبَلِ ولا قِسْمَةَ لَهُ بِقَشَّةٍ، يَعْمَلُ الوجوهَ في تَحصيلِ المالِ ولَيْسَ لَه؛
أي مُيَسِّرَ الأعمالِ لَنا في الدُّنيا، خَلِّصْنا مِنْ تَسْخيرِنا ومَشَقَّةَ عَيْشِنا؛
أظْهَرْتَ لنا ذاكَ الطَّعامَ وكانَ طُعْماً، أظْهِرْ لنا ذاكَ كما هُوَ على الحَقيقَة؛
قالَ الأسَدُ أي مسيحا هذا الصَّيْدُ، كانَ خالِصاً مِنْ أجْلِ الاِعْتِبار؛
لو كانَ لي طَعاماً كانَ لي في الدُّنيا، ما يَنْفَعُني وَقَدْ صِرْتُ بينَ المَوتى؛
هذا جَزاءُ مَنْ حَظِيَ بِماءٍ صاف، فبالَ فيهِ كالحِمارِ جُزافاً؛
لو كانَ الحِمارُ عارِفاً بِقيمَةِ ذاكَ الجَدْوَل، كانَ وَضَعَ فيهِ الرَّأْسَ بَدَلَ القَدَم؛
ولَكانَ وَجَدَ مِنْ ذلِكَ رَسولاً، أميراً على الماءِ وَقَيّماً على الأحياء؛
حَيْثُ لا يموتُ أمامَهُ مِنْ أمْرِ كُنْ، أحْيِنا أيْ أميرَ الماء؛
ها، كَلْبَ نَفْسِكَ لا تَطْلُبْ لَهُ الحَياةَ، إنَّهُ عَدُوٌّ نَفْسِكَ مِنْ زمانٍ قديم؛
فليَكُنْ على رَأْسِ العَظْمِ التُّرابُ فذاكَ، مانِعٌ هذا الكَلْبَ مِنْ صَيْدِ الرُّوح؛
لَسْتَ كَلْباً فَكَيْفَ تَكونُ عاشِقاً لِلْعِظام، كَيْفَ تَكونُ عاشِقاً للدَّمِ كالعَلَقَة؛
أيَّةُ عَيْنٍ تِلْكَ الَّتي هِيَ بِغَيْرِ رؤيَةٍ، وليسَ لها مِنْ امتِحانِها غَيْرُ الفَضيحَة؛
والظُّنونُ تكونُ سَهْواً مِنْ حينٍ لِحين، ظَنُّ الأعمى عَنِ الطَّريقِ، أيُّ ظَنٍّ هذا؛
فَتَعالَ أيْ عَيْنُ أتَبكي على الغَيْر، اِجْلِسْ مُدَّةً وابْكِ على نَفْسِك؛
مِنْ بُكاءِ الغَيْمِ تَصيرُ الأغصانُ خَضْراء، مِنَ البُكاءِ يصيرُ الشَّمْعُ أكْثَرَ ضياءً؛
اِجْلِسْ هُناكَ حَيْثُ وَجَدْتَ نائحين، أولى لَكَ أنْ تَكونَ بالبُكاءِ والحَنين؛

ذاكَ لأَنَّهُمْ في الفِراقِ فانون، عَنْ لِعْلِ المَنْجَمِ الباقي غافِلون؛
ذاكَ لأنَّ نَقْشَ التَّقليدِ على القَلْبِ قَيْد، فامْضِ وَأَزِلِ القَيْدَ عَنْهُ بِماءِ العَيْن؛
ذاكَ لأنَّ التَّقْليدَ آفَةُ كُلِّ حُسْنٍ، التَّقْليدُ قَشَّةٌ وَلَو كانَ جَبَلاً قوِيّاً؛
وَلَو كانَ الضَّريرُ ضَخْماً وَحادَّ الغَضَب، اعْرِفْهُ قِطْعَةَ لَحْمٍ لِأَنَّهُ بلا عَيْن؛
فَلَو قالَ حديثاً أَدَقَّ مِنَ الشَّعْرَةِ، رَأسُهُ ذاكَ ما لَهُ عَنْ هذا الحَديثِ خَبَرٌ؛
عِنْدَهُ السُّكْرُ مِنْ حَديثِ نَفْسِهِ ولكِنْ، بينَ فاكِهَتِهِ وبينَ الخَمْرِ طَريقٌ طَويل؛
إنَّهُ كَجَدْوَلٍ لا يَشْرَبُ ماءَهُ، وَيَحْمِلُ ماءَهُ إلى شارِبي الماء؛
الماءُ في الجَدْوَلِ لا يَسْتَقِرُّ مِنْ ذاكَ، الجَدْوَلُ ليسَ ظامِئاً وليسَ شارِبَ ماء؛
وكَمِثْلِ النَّارِ يُثيرُ أنينُها البُكاء، لكِنَّها تَفْعَلُ ذلِكَ سِخْرَةً لِمُشْتَرِيها؛
النَّائحُ إذا كانَ مُقَلِّداً في الحَديث، غَيْرَ طَمَعٍ لا يكونُ مُرادُ ذاكَ الخَبيث؛
النَّائحُ الحَقُّ يقولُ الحديثَ في حُرْقَةٍ، أينَ حُرْقَةُ قَلْبِ هذا وتَمزيقُهُ الرِّداء؛
بَيْنَ المُحَقِّقِ والمُقَلِّدِ فُروقٌ، هذا كداوُودُ وذاكَ الآخَرُ صَدىً؛
مَنْبَعُ حَديثِ هذا الحَريق، وَذاكَ المُقَلِّدِ التَّعْليمُ القَديم؛
ها لا يَغُرَّنَّكَ ذاكَ المقالُ الحَزين، الحِمْلُ على الثَّوْرِ وعلى الدُّولابِ الحَنين؛
كما أنَّ المُقَلِّدَ ليسَ مَحرومَ الثَّواب، النَّائحُ يكونُ لَهُ أجْرٌ في الحِساب؛
الكافِرُ والمؤمِنُ يقولانِ اللهَ لكِنْ، فَرْقٌ بينَ الإِثْنَيْنِ فارِقٌ كَبير؛
ذاكَ شَحَّاذٌ قالَ يا اللهُ مِنْ أجْلِ الخُبْزِ، والمُتَّقي قالَ يا اللهُ مِنْ عَيْنِ الرُّوح؛
لو كانَ عالِماً بِمَقالِ نَفْسِهِ الشَّحَّاذ، لَمْ يَبْقَ أمامَ عَيْنَيْهِ قَليلٌ ولا كَثير؛
سِنينَ سائلُ الخُبْزِ ذاكَ يقولُ يا الله، يَحْمِلُ المَصْحَفَ كالحِمارِ مِنْ أجْلِ العَلَف؛
لو أنَّ مَقالَ شَفَتِهِ شَعَّ على قَلْبِهِ، لَصارَ ذَرَّةً بِذَرَّةٍ مُفَتَّتاً قالَبُه؛
اِسْمُ الشَّيطانِ فَتَحَ الطَّريقَ في السِّحْرِ، وأنْتَ باسْمِ اللهِ تأخُذُ الدِّرْهَم؛

حكُّ فَلّاحٍ في الظَّلامِ لِأسَدٍ ظَنّاً مِنْهُ أنَّهُ ثَوْرُه

رَبَطَ فلّاحٌ ثَوْرَهُ في الحَظيرَة، أكَلَ أسَدُ الثَّوْرَ وَجَلَس مَكانَه؛
ذهَبَ الفَلّاحُ في النِّهايَةِ إلى الحظيرَةِ، يبحَثُ عَنْ ثَوْرِهِ في اللَّيْلِ ذلِكَ الباحِث؛
راحَ يمسَحُ ظَهْرَ الأَسَدِ وَجَنْبَيْهِ، حِيناً لِأعلى وحيناً لِأسفَلَ بِيَدَيْه؛
قالَ الأسَدُ لَو زادَ الضَّوءُ أكْثَرَ، لَتَمَزَّقَتْ مَرارَتُهُ وَلَصارَ قَلْبُهُ دَماً؛
مِثْلُ هذا المُتَهَوِّرِ يُمِرُّ عليَّ يَدَهُ، هُوَ في هذا اللَّيْلِ يَظُنُّني ثَوراً؛
الحَقُّ يقولُ أنْ أيُّها المَغرورُ الأعمى، أَلَيْسَ مِنْ اِسْمي تَقَطَّعَ جَبَلُ الطُّور؛
أنْ لَوْ أنْزَلْنا كِتاباً لِلْجَبَلْ *لانْصَدَعْ ثُمَّ انْقَطَعْ ثُمَّ ارْتَحَلْ*
لَو كانَ جَبَلُ أُحُدٍ عالِماً بي، لَتَقَطَّعَ وَصارَ قَلْبُهُ مَملوءاً دَماً؛
سَمِعْتَ هذا مِنْ أبٍ وَمِنْ أُمٍّ، لا جَرَمَ أنْ أخَذْتَ هذا وأنْتَ غافِلٌ؛
لو كُنْتَ واقِفاً على هذا بلا تَقليد، بلا إشارَةٍ مِنَ اللُّطْفِ تكونُ كهاتِف؛
اِسْتَمِعْ لِهذِهِ القِصَّةِ بِقَصْدِ التَّهْديد، حتى تَعْلَمَ آفَةَ التَّقْليد؛

بَيْعُ الصُّوفِيّين بَهيمَةَ مُسافِرٍ لأجْلِ السَماع

صوفِيٌّ وَصَلَ إلى الخانِقاه مِنَ الطَّريق، أخَذَ مَرْكَبَهُ وَرَبَطَهُ في الإِصْطَبْل؛
سَقاهُ الماءَ وأعْطاهُ العَلَفَ بِيَدِه، لا كَمِثْلِ ذاكَ الصُّوفِيّ الَّذي قُلْنا عَنْهُ آنِفاً؛
أخَذَ احتِياطَهُ مِنَ السَّهْوِ والخُباط، إذا جاءَ القَضاءُ ما نَفْعُ الاِحتياط؛
الصُّوفِيُّونَ كُلٌّ في الجوعِ وفقير، *كادَ فَقْرٌ أنْ يَعِي كُفْراً يُبير*؛
أيُّها الغَنِيُّ الَّذي أنْتَ شَبْعانُ لا تَضْحَكْ، على سوءِ حالِ ذلِكَ الفَقيرِ المُعَذَّب؛
الصُّوفِيُّونَ أولئكَ مِنْ قَبيلِ التَّقْصيرِ والخَطَأ، قاموا بِبَيْعِ الحِمارِ كُلُّهُم؛
ما دامَتِ المَيْتَةُ مِنَ الضَّرورَةِ تُباح، فالفَسادُ مِنَ الضَّرورَةِ إذَنْ صلاح؛

باعوا ذاكَ الحِمارَ الصَّغيرَ وفي اللَّحْظَةِ، جَلَبوا الطَّعامَ الطَّيِّبَ وأشْعلوا الشَّمْع؛
وَوَقَعَتِ الوَلْوَلَةُ في الخانِقاه، أنِ اللَّيْلَةَ للنَّازِلينَ طَعامٌ وَمَحْفَلٌ وَغِناء؛
حتَّامَ هذا الصَّبْرُ وَصَوْمُ الثَّلاثَةِ أيَّامٍ، حتَّامَ هذِهِ السَّلَّةُ وهذا الإسْتِجْداء؛
نَحْنُ أيضاً مِنَ الخَلْقِ وأيْضاً لنا روح، الدَّولَةُ هذِهِ اللَّيْلَةَ ضَيْفٌ عِنْدَنا؛
كانوا مِنْ ذلِكَ يزرعونَ بِذْرَةَ الباطِل، وذاكَ الَّذي ليْسَ روحاً ظَنُّوهُ روحاً؛
وذاكَ المُسافِرُ أيضاً مِنَ الطَّريقِ الطَّويل، كانَ مُتْعَباً ورأى ذاكَ إقْبالاً وَلُطْفاً؛
الصُّوفِيُّونَ واحِداً واحِداً عَزَفوا لَهُ، والخدماتِ الجَميلَةَ هازلينَ قَدَّموا لَهُ؛
قالَ وَقَدْ رأى احْتِفاءَهُمْ بِه، إذا كُنْتُ لا أُريدُ أنْ أطْرَبَ اللَّيْلَةَ مَتى أَطْرَب؛
أكَلوا الطَّعامِ اللَّذيذَ وَبَدَؤوا بالغِناء، الخانِقاهُ امْتَلأتْ دُخاناً وغُباراً إلى السَّقْف؛
فَدُخانٌ مِنَ المَطْبَخِ وغُبارٌ مِنَ الرَّقْصِ، ومِنَ الإشْتياقِ والوَجْدِ هِياجُ الرُّوح؛
يُصَفِّقونَ بالأيدي ويَرقصون بالأقْدامِ تارَةً، ويكنِسون الصُّفَّةَ في سَجْدَةٍ تارَةً؛
قَديماً وَجَدَ الصُّوفِيُّ فاقَةً مِنَ الدَّهْر، مِنْ ذلِكَ السَّبَبِ كانَ الصُّوفِيُّ شَرِهاً؛
غَيْرَ أنَّ ذاكَ الصُّوفِيَّ الَّذي طَعِمَ فَشَبِعَ مِنْ نورِ الحَقِّ فارِغٌ مِنْ عارِ السُّؤال؛
بينَ الآلافِ القَليلُ مِنْ هؤلاءِ الصُّوفِيِّينَ، والباقونَ في دَولَةِ هؤلاءِ يَحْيَون؛
عِنْدما أشْرَفَ الغِناءُ على الإنتهاء، شَرَعَ المُطْرِبُ بِضَرْبٍ مِنَ الغِناءِ ثَقيل؛
بَدَأ يُغَنّي راحَ الحِمارُ راحَ الحِمار، وَمِنْ شِدَّةِ الحَرارَةِ ألْهَبَ الجَميعَ جُمْلَةً؛
راقِصينَ مِنْ هذِهِ الحَرارَةِ للسَّحَر، مُصَفِّقينَ راحَ الحِمارُ راحَ الحِمارُ أي وَلَدْ؛
مِنْ طريقِ التَّقليدِ ذاكَ الصُّوفيُّ أيْضاً، شَرَعَ يُغَنّي راحَ الحِمارُ في حَنين؛
حِينَ انتهى الحَفْلُ والطَّرَبُ وذاكَ السَّماع، وَطَلَعَ الصُّبْحُ والجَميعُ قالَ الوَداع؛
وَخَلَتِ الخانِقاهُ إلَّا مِنَ الصُّوفِيّ، وراحَ ينفضُ الغُبارَ عَنْ مَتاعِهِ ذلِكَ المُسافِر؛
أخْرَجَ المَتاعَ مِنَ الحُجْرَةِ لِلخارِج، ليَضَعَه على الحِمارِ ويَبْحَثَ عَنْ رَفيقٍ؛
كانَ مُسْتَعْجِلاً لِيَصِلَ إلى رِفاقِ الطَّريقِ، ذَهَبَ إلى الإصْطَبْلِ فَلَمْ يَجِدْ حِمارَه؛

قالَ ذاكَ الخادِمُ قَدْ أَخَذَهُ إلى الماء، الحِمارُ ليلَةَ الأَمْسِ شَرِبَ قليلاً مِنَ الماء؛
جاءَ الخادِمُ قالَ الصُّوفِيُّ أيْنَ الحِمار، قالَ الخادِمُ انْظُرْ لِحْيَتَكَ وَوَقَعَ النِّزاع؛
قالَ أنا سَلَّمْتُكَ الحِمار، أنا جَعَلْتُكَ مُوَكَّلاً على الحِمار؛
أنا أَطْلُبُ مِنْكَ ذاكَ الَّذي سَلَّمْتُك، أَعِدْ إلَيَّ ذاكَ الَّذي استودَعْتُك؛
اِجْعَلِ البَحْثَ ذا وَجْهٍ ولا تأتِ بالحُجَج، أَعِدْ إلَيَّ ذاكَ الَّذي استَودَعْتُكَ إيَّاه؛
قالَ النَّبِيُّ كُلَّ ما أَخَذَتْ يَدُكَ، عَلَيكَ في النِّهايَةِ أَنْ تَرُدَّهُ لِمالِكِه؛
إنْ كُنْتَ بِذا تَرْضى مِنَ العِنادِ حَسَناً، نَذْهَبُ أنتَ وأنا لِبَيْتِ قاضي الدِّين؛
قالَ أنا كُنْتُ مَغلوباً للصُّوفِيِّين، حَمَلوا عَلَيَّ وكُنْتُ خائفاً على الرُّوح؛
رَمَيْتَ قَلْباً وَكَبِداً بَيْنَ القِطَطِ، ثُمَّ تَبْحَثُ عَنْ أَثَرٍ مِنْهُما؛
أَكِلْيَةٌ بينَ مِئَةِ جائع، وقَطَّةٌ ضعيفَةٌ أمامَ مِئَةِ كَلْب؛
قالَ قَبِلْتُ أَنَّهُمْ أَخَذوهُ مِنْكَ ظُلْماً، وأَنَّهُمْ كانوا قاصِدينَ دَمي أنا المِسكين؛
أنتَ لَمْ تَأتِني ولَمْ تَقُلْ لي، إنَّهُم يَأْخُذونَ حِمارَكَ، أيْ عاجِز؛
فَلَكُنْتُ استَرْجَعْتُ الحِمارَ مِنْهُم، قَبْلَ أنْ يقوموا بِتَوزيعِ الحِمارِ بَيْنَهُم؛
مِئَةُ تدارُكٍ كانَ مُمْكِناً إذْ كانوا حاضِرين، والآنَ صارَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُم بِإقليم؛
أنا آخُذُ إلى القاضي ذلِكَ الَّذي أَمْسَكْتُ، مِنْكَ جاءَ على رَأسي هذا القَضاء؛
فأنتَ فلَمْ تَجِئني ولَمْ تَقُلْ أيْ غَريب، قَدْ وَقَعَ مِثْلُ هذا الظُّلْمِ المَهيب؛
قالَ واللهِ قَدْ جِئتُ مَرَّاتٍ، لأَجْعَلَكَ واقِفاً على هذِهِ الأَعْمال؛
وكُنْتَ تَقولُ الحِمارُ ذَهَبَ أيْ وَلَد، بِذَوقٍ أَطْرى مِنْ جَميعِ القائلين؛
فكُنْتُ أرْجِعُ أنْ هُوَ نَفْسُهُ واقِفٌ، الرَّجُلُ راضٍ بِهذا القَضاءِ وعارِفٌ؛
قالَ ذاكَ الجَميعُ كانوا يقولونَ، بِشَكْلٍ جميلٍ فجاءني أنا أيضاً ذَوقُ قولِه؛
أَسْلَمَني تَقليدُهُمْ إلى الرِّيح، مِئَةُ لَعْنَةٍ كانَتْ على ذلِكَ التَّقليد؛
خاصَّةً تَقليدِ مِثْلِ هؤلاءِ الَّذينَ هُمْ بلا حاصِلٍ، غَضَبَ إبراهيمَ على الآفِلين؛

ذَوْقُ تِلْكَ الجَماعَةِ كانَ يَنْعَكِسُ، عَكْسُ ذلِكَ الذَّوق وَقَعَ على قلبي؛
كَمْ يَجِبُ مِنْ عَكْسٍ مِنَ الأحِبَّةِ الأخيار، لِتَكونَ آخِذَ الماءِ مِنْ بَحْرٍ بلا عَكْس؛
العَكْسُ الواقِعُ أوّلاً اعْلَمْ أنَّهُ التَّقليد، حينَ صارَ متوالياً صارَ ذلِكَ التَّحقيق؛
لا تَقْطَعِ الأحِبَّةَ ما لَمْ يَكُنْ تَحقيق،لا تَكْسِرِ الصَّدَفَ قَبْلَ أنْ تَصيرَ قَطْرَةُ الدُّرِّ؛
أُطْلُبْ صَفاءَ العَينِ والعَقْلِ والسَّمَع، كُنْ مُمَزِّقاً حُجُبَ الطَّمَع؛
فَتَقليدُ الصُّوفِيِّ ذاكَ مِنْ طَمَعْ، أغْلَقَ عَقْلَهُ عَنِ النُّورِ واللُّمَع؛
طَمَعُ الطَّعامِ اللَّذيذِ وَطَمَعُ الذَّوقِ والسَّماع، صارَ مانِعَ عَقْلِهِ مِنَ الاِطِّلاع؛
لو أنَّ طَمَعاً قامَ مِنَ المِرآة، لَصارَتِ المِرآةُ في النِّفاقِ مِثْلَنا؛
لو كانَ للميزانِ طَمَعٌ بالمال، متى كانَ يَصْدُقُ الميزانُ في وَصْفِ الحال؛
كُلُّ نَبِيٍّ مِنَ الصَّفاءِ قالَ لِقَومِه، أنا لا أُريدُ مِنْكُمْ أجْرَ الرِّسالَة؛
أنا دَليلُ الحَقِّ أنا لَكُمْ مُشْتَرٍ، أنا دَلَّالُ عَطاءِ الحَقِّ لِكُلِّ مُشْتَرٍ؛
لِأنَّ أجْرَ عَمَلي رؤيَةُ الحَبيب، وَمَعَ أنَّ أبا بَكْرٍ أعطى أرْبَعينَ ألْفاً؛
أربَعونَ ألْفِهِ لَيْسَتْ لي أجْراً، مَتى كانَ شِبْهُ النُّحاسِ دُرَّ عَدَنٍ؛
أقولُ لَكَ حِكايَةً فاسْمَعْ بانتِباهٍ، لِتَعْلَمَ أنَّ الطَّمَعَ قِفْلٌ على الأُذُن؛
كُلُّ مَنْ عِنْدَهُ الطَّمَعُ ألكَنٌ، متى صارَ القَلْبُ والعَينُ بالطَّمَعِ مُضيئَين؛
خَيالُ الجاهِ والذَّهَبِ أمامَ عَيْنِهِ، هكذا كما لَو أنَّ في بَصَرِهِ شَعْرَةً؛
إلَّا أنْ يكونَ ذلِكَ السَّكرانَ المَملوءَ مِنَ الحَقّ، وَلَو أعطَيْتَهُ الكُنوزَ يَظَلُّ حُرّاً؛
كُلُّ مَنْ كانَ جَديراً وحَصَلَتْ لَهُ الرُّؤيَة، هذا العالَمُ صارَ في عَينِهِ مَيْتَة؛
ذاكَ الصُّوفيُّ كانَ بَعيداً عَنِ السُّكْرِ، لا جَرَمَ مِنَ الحِرْصِ كانَ أعْمىً في اللَّيْل؛
مِئةَ حِكايَةٍ سَمِعَ مَدهوشُ الحِرْص، مَعْنىً واحِدٌ لا يَدْخُلُ أُذُنَ الحِرْص؛

تَعريف مُنادي القاضي بِمُفْلِسِ المَدينَة

كانَ شَخْصٌ مُفْلِسٌ بلا بَيتٍ وأسباب، مُقيماً في السِّجْنِ والحَبْسِ بلا أمان؛
لُقْمَةَ السُّجَناءِ أكَلَ مِنَ الجُزاف، كانَ على قَلْبِ الخَلْقِ مِنَ الطَّمَعِ كَجَبَلِ قاف؛
لَمْ تَكُنْ لِشَخْصٍ جُرْأَةُ أكُلَ لُقْمَةِ خُبْزٍ، مَخافَةَ أنْ يَخْطَفَها مُخْتَطِفُ اللُّقَمِ ذاك؛
كُلُّ مَنْ كانَ بَعيداً عَنْ دَعْوَةِ الرَّحْمٰن، هُوَ شَحَّاذٌ بالعَيْنِ ولو أنَّهُ السُّلطان؛
ذاكَ وَضَعَ المُروءَةَ تَحْتَ القَدَم، صارَ السِّجْنُ جَهَنَّمَ مِنْ مُخْتَطِفِ الخُبْزِ ذاك؛
إذا كُنْتَ فارَّاً في طَلَبِ الرَّاحَة، مِنْ ذلِكَ الطَّريقِ أيضاً تَجيئُكَ الآفَة؛
لا رُكْنَ بلا وَحْشٍ مُفتَرِسٍ ومَصْيَدَةٍ، في غَيْرِ خَلْوَةِ الحَقِّ لا يُوْجَدُ مُطْمَئِنٌ؛
رُكْنُ سِجْنِ الدُّنيا الَّذي لا مَحيصَ عَنْهُ، ليسَ بلا أجْرِ القَدَمِ وبلا دَقِّ الحَصير؛
واللهِ لو كُنْتَ ذاهِباً في شِقِّ فَأرَة، لَصِرْتُ مُبْتَلىً بِمَخالِبِ قِطَّة؛
للآدَميِّ سِمَنٌ مِنَ الخَيال، لو أنَّ خيالاتِهِ كانَتْ ذاتَ جَمال؛
وإذا خَيالاتُهُ أظْهَرَتِ القُبْحَ، فإنَّهُ يَذوبُ كالشَّمْعِ مِنَ النَّار؛
لَو كُنْتَ بَيْنَ حَيَّةٍ وَعَقْرَبٍ وكانَ اللهُ، مُمِدَّكَ بالجَميلِ مِنَ الخيالات؛
الحَيَّةُ والعَقْرَبُ يَصيرانِ مؤنِسَيْنِ لَك، لأنّ خَيالَكَ كانَ الإكسيرَ العَظيم؛
الصَّبْرُ مِنَ الخَيالِ الجَميل صارَ عَذْباً، تِلْكَ الخَيالاتُ قَرَّبَتِ الفَرَج؛
الفَرَجُ ذاكَ جاءَ مِنَ الإيمانِ في الضَّمير، ضَعْفُ الإيمانِ فَقْدٌ لِلأمَلِ وَزَحير؛
الصَّبْرُ لِلإيمانِ مِثْلَ الرَّأْسِ لَه، *حَيْثُ لا صَبْرَ فلا إيمانَ لَه؛*
قالَ النَّبِيُّ كُلُّ منْ هُوَ بلا صَبْرٍ، فإنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِهِ الإيمان؛
ذاكَ واحِدٌ يكونُ في نَظَرِكَ كالأفْعى، وهُوَ نَفْسُهُ في نَظَرِ ذاكَ الآخَرِ مَعْشوق؛
ذاكَ لِأنَّ في نَظَرِكَ عَنْهُ خَيالَ الكُفر، وذاكَ خَيالُ مُؤمِنٍ في عَيْنِ الصَّديق؛
كِلا الفِعْلَيْنِ في الشَّخْصِ الواحِدِ موجودٌ،تارَةً يكونُ سَمَكَةً وتارَةً يكونُ سَنَّارَةً؛

نِصْفُهُ كانَ مؤمِناً ونِصْفٌ مَجوسِيَّاً، نِصْفُهُ جاءَ بالحِرْصِ وَنِصْفٌ بالصَّبْر؛
قالَ اللهُ *فَمِنْكُمْ مُؤمِنٌ*، ثُمَّ *ومِنْكُمْ كافِرٌ* عابِدٌ لِلنَّارِ عَتيقٌ؛
مِثْلَ ثَوْرٍ نِصْفُهُ الأيسَرُ أسْوَدٌ، وَنِصْفُهُ الآخَرُ أبْيَضُ كالقَمَر؛
كُلُّ مَنْ رأى هذا النِّصْفَ قامَ بالرَّدّ، كُلُّ مَنْ رأى ذاكَ النِّصْفَ قامَ بالكَدّ؛
يُوسُفُ في عَيْنِ الإخوانِ مِثْلَ دابَّةٍ، وهُوَ نَفْسُهُ في عَيْنِ يَعْقُوبَ مِثْلَ الحُور؛
عَيْنُ الفَرْعِ رَأَتْهُ مِنْ خَيالِ السُّوءِ قَبيحاً وعَيْنُ الأصْلِ اخْتَفَتْ؛
اِعْلَمْ أنَّ عَيْنَ الظَّاهِرِ ظِلُّ تِلْكَ العَيْن، فكُلَّ ما رَأَتْ تِلْكَ صارَ إلى هذِه؛
أنتَ مَكانُكَ الأصْلِيُّ في اللَّامكان، أغْلِقْ هذا الدُّكَّانَ وافْتَحْ ذاكَ الدُّكَّان؛
لا تَهْرَبْ لِستِّ جِهاتٍ لِأنَّ في الجِهات ، سِتَّةَ أبوابٍ والأبوابُ السِّتَّةُ مُقْفَلات؛

شِكايَةُ أهْلِ السِّجْنِ أمامَ وكيلِ القاضي مِنْ جَوْرِ ذلِكَ المُفْلِس

إلى وَكيلِ القاضي صاحِبِ الإدراك، جاءَ أهْلُ السِّجْنِ بالشِّكايَة؛
أنِ احْمِلْ سلامَنا للقاضي الآن، وانقُلْ لَهُ أذانا مِنْ هذا الرَّجُلِ الدُّون؛
فَهُوَ في هذا السِّجْنِ باقٍ مُسْتَمِرّ، بَذيءُ القَوْلِ أكولٌ نَهِمٌ مُضِرّ؛
إنَّهُ كالذُّبابِ حاضِرٌ على كُلِّ طَعام، مِنْ وَقاحَةٍ بلا دُعاءٍ ولا سلام؛
طَعامُ سِتّينَ شَخْصاً أمامَهُ لا شَيء، يَجْعَلُ نَفْسَهُ أصَمَّ إنْ قُلْتَ لَهُ كَفى؛
الرَّجُلُ السَّجينُ لا تَصِلُ إلَيْهِ لُقْمَةٌ، وإنْ بِمِئةِ حِيْلَةٍ حَصَلَ على طُعْمَة؛
ذو حَلْقِ جَهَنَّمَ ذاكَ يَحْضَرُ في اللَّحْظَةِ، حُجَّتُهُ هِيَ أنَّ اللهَ قالَ *كُلوا*؛
العَدْلَ العَدْلَ مِنْ قحْطِ ثلاثِ سِنينَ، دامَ ظِلُّ مولانا باقياً إلى الأبَد؛
إمَّا أنْ تُبْعِدَ هذا الجاموسَ مِنَ السِّجْنِ، أو اجْعَلْ لَهُ وَظِيفَةً طَعاماً مِنَ الوَقْف؛
أي مَنْ مِنْكَ يِسْعَدُ الذُّكورُ والإناث، حَقِّقِ العَدْلَ المُسْتَغاثَ المُستَغاث؛

ذَهَبَ الوَكيلُ المَليحُ إلى القاضي، ونَقَلَ لِلقاضي الشَّكاوى واحِدَةً واحِدَة؛
فاستَدْعاهُ القاضي إلَيْهِ مِنَ السِّجْنِ، ثُمَّ قامَ بالتَّفَحُّصِ عَنْهُ مِنَ الأعْيان؛
وصارَ ذاكَ كُلُّهُ ثابِتاً لَدى القاضي، كما عَرَضوهُ في الشِّكايَةِ بِرُمَّتِه؛
قالَ لَهُ القاضي قُمْ مِنْ هذا السِّجْنِ، اِذْهَبْ وَصِرْ إلى مَنْزِلِكَ المَوروث؛
قالَ بَيتي وأهلي إحسانُك، أنا كالكافِرِ جَنَّتي سِجْنُك؛
إذا طَرَدْتَني مِنَ السِّجْنِ طَرِدًا، فإنَّني أموتُ تَقْصيراً وَكَدًّا؛
كما قالَ إبليسُ *أي سلام، رَبِّ أَنْظِرْني إلى يَومِ القِيام*؛
فأنا في سِجْنِ الدُّنيا سَعيد، أَقْتُلُ عَدُوَّ كُلِّ مَولود؛
وكُلُّ مَنْ كانَ لَهُ قُوْتُ إيمان، وكانَ عِنْدَهُ الخُبْزُ لِزادِ الطَّريق؛
آخُذُهُ حِيناً بِمَكْرٍ وحيناً بِحِيْلَةٍ، إلى أنْ يَعْلُوَ مِنْهُ مِنَ الاِنْفِعالِ الصُّراخْ؛
حِيْناً أقومُ بالفَقْرِ بِتَهْديدِهِم، حيناً بالزُّلْفِ والخالِ أُغْلِقُ نَظَرَهُم؛
قُوتُ الإيمانِ قَليلٌ في هذا السِّجْنِ، وإنْ وُجِدَ فهذا الكَلْبُ مِنَ القَصْدِ في الخُمّ؛
مِنْ صلاةٍ وَصَومٍ وَمِئةِ مَسْكَنَةٍ، جاءَ قُوتُ الذَّوقِ فَسَلَبَهُ عامَّةً فَجْأَةً؛
أستَعيذُ اللهَ مِنْ شَيْطانِهِ، قَدْ هَلَكْنا آهِ مِنْ طُغيانِهِ؛
هُوَ كَلْبٌ واحِدٌ وَيَذْهَبُ في الآلاف، وكُلُّ مَنْ ذهَبَ فيهِ صارَ لَه؛
كُلُّ مَنْ أضْجَرَكَ اعْلَمْ أنَّهُ فيه، الشَّيطانُ صارَ مُتَخَفِّياً تَحْتَ الجِلْد؛
إذا لَمْ يَجِدْ صُورَةً جاءَ في الخَيال، حتَى يَجُرَّكَ ذاكَ الخَيالُ في الوبال؛
حيناً خَيالُ التَّنَزُّهِ وَحيناً الدُّكّان، حيناً خَيالُ العِلْمِ وحيناً البيتُ والأهْلُ والمال؛
هَيَّا وَقُلْ لا حَولَ في الحالِ الآن، لَيْسَ مِنَ اللِّسانِ وَحْدَهُ بَلْ مِنْ عَيْنِ الرُّوح؛

تَتِمَّةُ قِصَّةِ المُفْلِس

قالَ لَهُ القاضِي أينَ إفلاَسَك، قالَ دونَكَ أهْلُ السِّجْنِ فَهُم شُهُودٌ؛
قالَ هؤلاءِ لَكَ مُتَّهمونَ، وهُمْ مِنْكَ يَهْرَبونَ والدَّمَ يبكون؛
وهُمْ يُريدونَ أنْ يُطْلَقَ سَراحُك، مِنْ هذا الغَرَضِ تكونُ شَهادَتُهُمْ باطِلَة؛
جَميعُ أهْلِ المَحْكَمَةِ جُمْلَةً قالوا، نَحْنُ على إدبارِهِ وإفلاسِهِ كَذلِكَ شُهود؛
وكُلُّ مَنْ سَأَلَهُ القاضي عَنْ حالِهِ قال، مولانا اِغْسِلِ اليَدَ مِنْ هذا المُفْلِس؛
قالَ القاضي شَهِّروهُ في المَدينَةِ، قولوا هذا مُفْلِسٌ وهذا قَلَّاشٌ؛
نادوا بِهِ في المَدينَةِ في حَيٍّ حَيٍّ، اقْرَعوا طَبْلَ إفلاسِهِ عِياناً بِكُلِّ مكان؛
لا يَبِعْهُ شَخْصٌ أبَداً نَسيئَةً، لا يُعْطِهِ شَخْصٌ دانِقاً قَرْضاً؛
كُلُّ مَنْ يجيءُ مُدَّعِياً عَلَيْهِ بالاِحْتيال، فسوفَ لَنْ أقومَ بِحَبْسِهِ بَعْدَ الآن؛
فَقَدْ صارَ إفلاسُهُ ثابِتاً عِنْدي، فلا نَقْدَ لَهُ ولا مَتاعَ ولا يَملِكُ شيئاً؛
الآدَمِيُّ يَظَلُّ في سِجْنِ الدُّنيا إلى أنْ، يَصِيْرَ إفلاسُهُ مِنْ تِلْكَ ثابِتاً؛
إلٰهُنا قامَ بِإخْبارِنا ، بإفلاسِ الشَّيْطان في القُرآن؛
أنَّهُ دَغِلٌ ومُفْلِسٌ وَسَيِّئُ القَول، لا تَقُمْ مَعَهُ بِأيَّةِ شَراكَةٍ أو تِجارَة؛
وإنْ فَعَلْتَ أعطاكَ التَّذَرُّعَ، متى تنالُ النَّفْعَ مِنْهُ وهُوَ مُفْلِسٌ؛
حينَ اشْتَعَلَتِ الفِتْنَةُ أحْضَروا، بَعيراً لِكُرْدِيٍّ كانَ يبيعُ الحَطَب؛
الكُرْدِيُّ المِسْكينُ كَمْ قامَ بالصُّراخ، كما أنَّهُ أسْعَدَ المُوَكَّلَ بِدانِق؛
أخَذوا بَعيرَهُ مِنْ وَقْتِ الغَداة، إلى اللَّيْلِ وَلَمْ يُجْدِ صُراخُهُ نَفْعاً؛
أجْلَسوا ذاكَ القُحْطَ الثَّقيلَ على البَعير، وصاحِبُ البَعيرِ يَجري خَلْفَ البَعير؛
ناحِيَةً ناحِيَةً وَحَيّاً حَيّاً يَسوقُونَهُ مُسرِعين، حتَّى عَرِفَهُ عِياناً كُلُّ أهْلِ المَدينَة؛
أمامَ كُلِّ حَمَّامٍ وأمامَ كُلِّ بازارٍ، كانَ النَّاسُ جُمْلَةً يُلقونَ النَّظَرَ على شَكْلِه؛

وَعَشْرُ مُنادينَ مِنْ ذوي الأصواتِ العالِيَةِ، مِنْ كُرْدٍ وَتُرْكٍ وروم وعَرَبٍ؛
يُنادُونَ هذا مُفْلِسٌ ولا يَمْلِكُ أيَّ شَيْءٍ، لِئَلَّا يُعْطِيهِ شَخْصٌ قَرْضاً وَلَو فِلْساً؛
لا يَمْلِكُ مِنْ ظَاهِرٍ ولا مِنْ باطِنٍ حَبَّةً، إنَّهُ مُفْلِسٌ مُزَيّفٌ مُحتالٌ مُزَوِّرٌ؛
إيَّاكُم إيَّاكُمْ أنْ تُعامِلوه، اِجْعَلوا القَيْدَ مُحْكَماً لِكُلِّ ما ما أتاكُمْ بِه؛
فهُوَ حُلْوُ الكلامِ واسِعُ الحَلْقِ جِدّاً، بِشِعارٍ جَديدٍ وَدِثارٍ مُمَزَّقٍ مِزَقاً؛
فَقَدْ لَبِسَ الثَّوْبَ لِلْمَكْرِ وذاكَ اللِّباسُ، عارِيَةٌ عِنْدَهُ خَدَعَ بِهِ العامَّة؛
حَرْفُ الحِكْمَةِ على لِسانِ غَيْرِ الحَكيم، حُلَلٌ مُسْتَعارَةٌ اعْلَمْ أي سَليم؛
رَغْمَ أنَّ السَّارِقَ لابِسٌ حُلَّةً، حينَ تُمْسِكُ يَدُكَ بِهِ اقْطَعْ يَدَه؛
حينَ حَلَّ اللَّيْلُ وَنَزَلَ عَنِ النَّاقَةِ، قالَ لَهُ الكُرْدِيُّ بَيتي بَعيدٌ والوَقْتُ تَأخَّر؛
وَقَدْ رَكِبْتَ على ناقَتي مِنَ الفَجْر، تنازَلْتُ عَنِ الشَّعيرِ أَأَقَلُّ مِنْ إخراجِ التِّبْن؛
قالَ إلى الآنَ ماذا كُنَّا نَعْمَلُ إذَن، أينَ وَعْيُكَ، أَلَيْسَ في الدَّارِ دَيَّار؛
قَرْعُ طَبْلِ إفلاسي وَصَلَ إلى سابِعِ فَلَكٍ، وأنتَ لَمْ تَسْمَعْ بالواقِعَةِ السَّيِّئة؛
أُذُنُكَ كانَتْ مَملوءَةً بالطَّمَعِ الخام، فالطَّمَعُ يُصِمُّ ويُعْمي أي غُلام؛
حتَّى الصَّخْرُ والطِّيْنُ سَمِعا هذا البيان، أنَّ هذا المُحتالَ مُفْلِسٌ مُفْلِسٌ؛
إلى اللَّيْلِ الجِدالُ وفي صاحِبِ النَّاقَةِ، لَمْ يؤثِّرْ فَقَدْ كانَ بالطَّمَعِ مَملوءاً مَملوءاً؛
خَتْمُ الله على السَّمْعِ والبَصَرِ، كم مِنْ صُورَةٍ وَمِنْ صَوتٍ في الحُجُب؛
وكُلَّ ما أرادَ أوْصَلَ ذلِكَ إلى العَينِ، مِنَ الجَمالِ وَمِنَ الكَمالِ وَمِنَ الدَّلال؛
وكُلَّ ما أرادَ أوْصَلَ ذلِكَ إلى الأُذُن، مِنْ سَماعٍ وَمِنْ بِشارَةٍ وَمِنْ صَخَب؛
الكَونُ مليءٌ بالوَسائِلِ ولا وَسيلَةَ لَكَ، إلَّا أنْ يَفْتَحَ اللهُ لَكَ نافِذَةً؛
مَعَ أنَّكَ كُنْتَ لِلآنَ غافِلاً عَنْ ذاك، وَقْتَ الحاجَةِ يَجْعَلُ الحَقُّ ذاكَ لَكَ عِياناً؛
قالَ النَّبِيُّ أنَّ اللهَ المَجيد، خَلَقَ دواءً لِأجْلِ كُلِّ داءٍ؛
لكِنْ مِنْ ذلِكَ الدَّواءِ لا تَرى اللَّونَ والعَبير، مِنْ أجْلِ أَلَمِكَ مِنْ دونِ أمْرٍ مِنْه؛

اِجْعَلِ العَيْنَ أي باحِثاً عَنِ الوَسيلَةِ في اللَّامَكان، جِهَةَ الرُّوحِ مِثْلَ عَينِ القَتيل؛
هذا العالَمُ ظَهَرَ مِنَ اللَّاجِهَةِ، مِنَ اللَّامكانِ صارَ المَكانُ لِلْعالَم؛
اِرْجِعْ مِنَ الوُجودِ صَوبَ العَدَمِ، كُنْ طالِبَ الرَّبِّ وَرَبَّانِيَّاً؛
هذا العَدَمُ مَوْضِعُ دَخْلٍ لا تَخَفْ مِنْهُ، هذا الوُجودُ مَوْضِعُ خَرْجٍ قَليلُهُ وَكَثيرُه؛
بِما أنَّ العَدَمَ مَصْنَعُ صُنْعِ الحَقّ، ما هُوَ خارِجَ المَصْنَعِ لا قيمَةَ لَهُ إذَنْ؛
قُمْ بِتَذكيرِنا الحَديثَ الدَّقيق، ذاكَ يَحمِلُ لَكَ الرَّحْمَةَ أيْ رَفيق؛
فالدُّعاءُ مِنْكَ والإجابَةُ أيضاً مِنْك، والأمانُ مِنْكَ والمَهابَةُ أيضاً مِنْك؛
إذا قُلْنا الخَطَأَ قُمْ بِإصْلاحِهِ أنت، أنتَ مُصْلِحٌ وَسُلْطانُ الكلامِ أنْت؛
عِنْدَكَ الكيمياءُ قُمْ بِتَبْديلِه، رَغْمَ أنَّ الجَدْوَلَ مِنَ الدَّمِ اجْعَلْهُ نيلاً؛
صُنْعُ الزُّجاجِ والمرايا حِرْفَتُك، مِثْلُ هذا الإكسيرِ أسرارُك؛
مَزَجْت الماءَ والتُّرابَ مَعاً، صَوَّرْت بَدَنَ آدَم مِنَ الماءِ والطِّين؛
أعْطَيْتَهُ النَّسَبَ والزَّوْجَ والخالَ والعَمّ، مَعَ ألْفِ فِكْرٍ وسعادَةٍ وَغَمّ؛
ثُمَّ أعْطَيْتَ البَعْضَ مِنْهُم خلاصاً، قُمْتَ بِفَصْلِهِ عَنْ هذا السُّرورِ والغَمّ؛
أخَذْتَهُ مِنَ الأهْلِ والتَّعَلُّقِ والطَّبيعَةِ، جَعَلْتَ كُلَّ جَميلٍ في عَيْنِهِ قَبيحاً؛
يقومُ بِرَدِّ كُلِّ ما هُوَ مَحْسوسٌ، ويَجْعَلُ المَسْنَد ذلِكَ الخَفِيَّ؛
عِشْقُهُ ظاهِرٌ وَمَعْشوقُهُ خَفِيٌّ، الحَبيبُ في الخارِجِ وَفِتْنَتُهُ في العالَم؛
هذا فَدَعْ، دَعِ العِشْقَ الصُّوْرِيَّ، ليسَ على الصُّورَةِ والوَجْهِ اعتِماد؛
ذاكَ المَعْشوقُ لَيْسَتْ تِلْكَ صُورَتُهُ، سواءً عِشْقُ هذا العالَمِ أمْ ذاكَ العالَم؛
ذاكَ الَّذي صِرْتَ عاشِقاً لِصُورَتِه، لِماذا عِنْدَما ذَهَبَتِ الرُّوحُ مِنْهُ تَرَكْتَه؛
صُوْرَتُهُ في مَحَلِّها فَمِمَّ هذا التَّرْك، عاشِقا ابْحَثْ مُجَدَّداً مَنْ يكونُ مَعْشوقُك؛
ذلِكَ المَحْسوسُ لَو كانَ مَعْشوقاً، كُنْتَ عاشِقاً لِكُلِّ ما يُحَسّ؛
إذا كانَ الوَفاءُ يزيدُ في العِشْق، متى يَجْعَلُ الوَفاءُ الصُّورَةَ مُخْتَلِفَةً؛

ضياءُ الشَّمْسِ شَعَّ على الجِدار، فالضياء الَّذي وَجَدهُ الجِدارُ مِنْهُ عارِيَة؛
لِماذا تَرْبطُ القَلْبَ بالطِّينِ أي سَليم، عُدْ فاطْلُبِ الأصْلَ الَّذي نُورُهُ مُقيم؛
أيْ مَنْ تكونُ عاشِقَ العَقْلِ أيضاً، رَأَيْتَ نَفْسَكَ أزيَدَ مِنْ عُبَّادِ الشَّمْس؛
ضياءُ العَقْلِ ذاكَ الَّذي على حِسِّك، اعْرِفْهُ عارِيَةَ الذَهَبِ على نُحاسِك؛
الحُسْنُ في البَشَرِ مِثْلُ طِلاءِ الذَهَب، وإلَّا كَيْفَ صارَ جَميلُكَ حِماراً عَجوزاً؛
كانَ مِثْلَ الملاكِ وَصارَ مِثْلَ الشَّيطان، فتِلْكَ الملاحَةُ كانَتْ عِنْدَهُ عارِيَةً؛
قليلاً قليلاً يَأخُذونَ ذاكَ الجَمال، قليلاً قليلاً يصيرُ يابِساً الغُصْنُ؛
اِذْهَبْ واقْرَأْ *نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْه*، اُطْلُبِ القَلْبَ لا تَجْعَلِ القَلْبَ على العَظْم؛
فَجَمالُ القَلْبِ ذاكَ جَمالٌ باقٍ، دَوْلَتُهُ مِنْ ماءِ الحياةِ مِنْ ساقٍ؛
هُوَ نَفْسُهُ الماءُ والسَّاقي والمَخْمور، انكَسَرَ طَلْسَمُ *أنتَ* صارَ الثلاثةُ واحِداً؛
ذاكَ الواحِدَ أنتَ لا تَعْرِفُ مِنَ القِياس، قُمْ بالعُبوديَّةِ وأقِلَّ اللَّغْوَ أيُّها الجاهِل؛
مَعْنى أنتَ صُورَةٌ وعارِيَة، في تناسُبٍ معَ النَّغَمِ والقافِيَة؛
المعنى هُوَ ذاكَ الَّذي يَأخُذُكَ مِنك، يَجْعَلُكَ في غِنىً عَنِ الصُّورَة؛
المَعْنى لَيْسَ ذلِكَ الَّذي يُعْمي ويُصِمُّ، إنَّهُ يَجْعَلُ الرَّجُلَ أكْثَرَ عِشْقاً للصُّورَة؛
نَصيبُ الأعْمى خَيالٌ يَزيدُ في الغَمّ، حِصَّةُ العَينِ خيالاتُ الفَناءِ هذِه؛
حَرْفُ القُرآنِ مَعدَنٌ لِكُلِّ ضَريرٍ، لَمْ يَرَ الحِمارَ وتَعَلَّقَ بالسَّرْج؛
مادُمْتَ مُبْصِراً فامضِ خَلْفَ الحِمارِ، كم تَنْسُجُ السُّروجَ أي عابِدَ السُّروج؛
إذا وُجِدَ الحِمارُ يقيناً يجيءُ السَّرْج، لن يَنْقَطِعَ عَنْكَ الخُبْزُ مادامَتْ لَكَ الرُّوح؛
ظَهْرُ الحِمارِ دُكَّانٌ ومالٌ وَمَكْسَبٌ، دُرُّ قَلْبِكَ مادَّةٌ لِمائةِ قالَبٍ؛
ارْكَبْ على الحِمارِ العاري فُضوليٌّ، أَلَمْ يَرْكَبِ الرَّسولُ على الحِمارِ العاري؛
النَّبِيُّ قَدْ رَكِبَ مُعْرَورِيا والنَّبِيُّ قِيْلَ سافَرَ ماشِيا
الحِمارُ هُوَ نَفْسُكَ فارْبِطْها بالوَتَد، كم وكم هَرَبَتْ مِنَ العَمَلِ والحِمْل؛

حِمْلُها هُوَ حِمْلُ الصَّبْرِ وَحِمْلُ الشُّكْرِ، سواءً في مِئَةِ عامٍ أو ثلاثينَ وعِشْرين؛
أيُّ وازِرٍ لَنْ يَزِرَ وِزْرَ الغَيْر، أيُّ شَخْصٍ لَنْ يَحْصِدَ شَيْئاً إذا لَمْ يَكُنْ زَرَعَ؛
هذا طَمَعٌ غَيْرُ ناضِجٍ لا تأكُلْهُ أي وَلَد، أكلُ غيرِ النَّاضِجِ يَجْلُبُ العِلَّةَ للبَشَر؛
أنْ ذاكَ الفُلانُ وَجَدَ فَجْأَةً كَنْزاً، ذَاكَ أُريدُ لا أُريدُ العَمَلَ ولا الدُّكَّان؛
ذاكَ مِنْ فِعْلِ البَخْتِ وَذاكَ أيضاً نادِرٌ، فَيَنبَغي الكَسْبُ طالَما البَدَنُ قادِرٌ؛
متى كانَ هُناكَ مانِعٌ مِنْ كَسْبِ الكَنْز، لا تَسْحَبِ القَدَمَ مِنَ العَمَلِ فذاكَ طَلَبُه؛
حتَّى لا تَصيرَ أسيراً لِـ***لَو***، أنْ لَو كُنْتُ عَمِلْتُ هذا أو لَو كُنْتُ عَمِلْتُ ذاك؛
فَعَنْ *لَو* كانَ قالَ الرَّسولُ بالإتِّفاق، بالمَنْعِ وقالَ أنَّ ذاكَ مِنَ النِّفاق؛
فإنَّ ذاكَ المُنافِقَ الَّذي كانَ يقولُ **لَو** مات، ومِنْ قَوْلِهِ **لَوْ** لَمْ يَأخُذْ غَيْرَ حَسْرَةٍ؛

مَثَل

ذاكَ غَريبٌ كانَ يَبْحَثُ عَنْ مَنْزِلٍ عَجِلاً، أخَذَهُ صَديقٌ إلى مَنْزِلٍ خَراب؛
قالَ لَهُ لَوْ كانَ لِهذا سَقْفٌ، لكانَ لَكَ مَسْكَنٌ إلى جِواري؛
ولو كانَتْ لَكَ في هذا المَنْزِلِ حُجْرَةٌ أُخْرى، لكانَ عِيالُكَ كذلِكَ استراحوا؛
قالَ نَعَمْ جِوارُ الأصْدِقاءِ جَميلٌ، لكِنْ أي عَزيزُ في **لَوْ** لا يُمْكِنُ الجُلوس؛
أهْلُ العالَمِ جَميعاً طالِبو سَعادَةٍ، ومِنْ حلاوَةِ التَّزوير هُمْ في النَّار؛
الكُلُّ طُلَّابَ ذَهَبٍ مِنْ شَيْخٍ وخام، ولا تُمَيِّزُ الزَّيفَ مِنَ الذَّهَبِ عَيْنُ العوام؛
وَقَعَ الضِّياءُ على الزَّائفِ فانظُرِ الخالِصَ، لا تَخْتَرِ الذَّهَبَ بالظَّنِّ دونَ مَحَكٍّ؛
إنْ كُنْتَ تَمْلِكُ المَحَكَّ فاخْتَرْ أو فاذْهَبْ، إلى عِنْدِ عالِمٍ واجْعَلْ نَفْسَكَ رَهْناً؛
فالمَحَكُّ واجِبٌ وَسَطَ الرُّوح، إنْ كُنْتَ لا تَعْرِفُ الطَّريق لا تَمْضِ فيهِ وحيداً؛
فَنِداءُ الغيلانِ نِداءُ ذي عِلْمٍ، العِلْمِ الَّذي يشُدُّ نَحْوَ الفَناء؛
يَظَلُّ مُنادِياً أنْ ها أيُّها الرَّكْبُ، تَعالَوا إلَيَّ أنا ها هُنا الطَّريقُ والآثار؛

ويأتي الغُولُ بِإسْمِ كُلِّ واحِدٍ أي فُلان، حتَّى يَجْعَلَ ذلِكَ السَّيِّدَ مِنَ الآفِلين؛
لَمَّا وَصَلَ هُناكَ رأى الذِّئبَ والأسَد، عُمْرٌ ضائعٌ وطَريقٌ بَعيدٌ والنَّهارُ تَأَخَّر؛
ما كانَ نِداءُ الغُولِ ذاكَ قُلْ أخيراً: أُريدُ مالاً أُريدُ جاهاً وماءَ وَجْه؛
هذِهِ الأصواتُ مِنْ داخِلِ النَّفْسِ، قُمْ بِمَنْعِها كَيْ تَنْكَشِفَ لَكَ الأسرار؛
قُمْ بِذِكْرِ الحَقِّ أحْرِقْ صَوتَ الغيلان، أغْلِقْ نَرْجِسَ العَيْنِ عَنْ هذا النَّسْر؛
مَيِّزِ الصُّبْحَ الكاذِبَ مِنَ الصُّبْحِ الصَّادِق، مَيِّزْ لَوْنَ الخَمْرِ مِنْ لَوْنِ الكَأْس؛
حَتَّى مِنْ عُيونٍ ترى سَبْعَةَ ألوانٍ، تَظْهَرُ لَكَ عَيْنُ الصَّبْرِ والتَّوَقُّف؛
فترى ألواناً غَيْرَ هذِهِ الألوان، وترى الجَواهِرَ في مَحَلِّ الأحجار؛
الجَوْهَرُ ما يكونُ؟ بَلْ تَصيرُ بَحْراً، تَصيرُ شَمْساً تَمْسَحُ الفَلَك؛
العامِلُ مُخْتَفٍ في داخِلِ المَعْمَلِ، اِذْهَبْ إلى داخِلِ المَعْمَلِ لِتراهُ عِياناً؛
العَمَلُ إذْ يَنْسُجُ حَوْلَ العامِلِ الحِجاب، خارِجَ ذاكَ العَمَلِ لا تَقْدِرُ أنْ تراه؛
المَعْمَلُ بِما هُوَ مَكانُ العامِل، ذاكَ الَّذي في الخارِجِ عَنْهُ غافِل؛
فادْخُلْ إلى المَعْمَلِ يَعْني العَدَم، كي تَرى الصُّنْعَ والصَّانِعَ مَعاً؛
المَعْمَلُ بِما هُوَ مَحَلُّ ضياءِ الرُّؤيَةِ، إذَنْ خارِجَ المَعْمَلِ غِطاءٌ وحِجاب؛
فِرْعَونُ العَنودُ وَجَّهَ الوَجْهَ للوجود، لا جَرَمَ أنَّهُ كانَ عَنْ مَعْمَلِهِ أعْمى؛
والقَضاءُ كُلَّ لَحْظَةٍ كانَ، مِنْ تَحْتِ الشِّفاهِ، يَضْحَكُ على شارِبِ ذلِكَ المُحتال؛
مِئاتِ آلافِ الأطْفالِ قَتَلَ بِلا ذَنْبٍ، حتَّى يَرُدَّ حُكْمَ وَتَقْديرَ الإلٰه؛
حتَّى لا يَخْرُجَ موسى النَّبِيُّ للخارِجِ، جَعَلَ في رَقَبَتِهِ آلافَ المَظالِمِ والدِّماء؛
كُلَّ هذا الدَّمِ أراقَ وَوُلِدَ موسى، وَصارَ جاهِزاً لِأجْلِ قَهْرِه؛
لَو أنَّكَ رَأَيْتَ مَعْمَلَ *لا يَزال*، يَبِسَتْ يَدُكَ وَقَدَمُكَ عَنِ الاِحتيال؛
موسى ضِمْنَ مَنْزِلِهِ مُعافى، وهُوَ في الخارِجِ يَقْتُلُ الأطْفالَ جُزافا؛
مِثْلَ صاحِبِ نَفْسٍ يُرَبِّي البَدَنَ، ويَحْمِلُ ظَنَّ الحِقْدِ على شَخْصٍ آخَر؛

أنْ هذا عَدُوٌّ وَذاكَ حَسودٌ وَمُبْغِضٌ، وما حَسودُهُ وَعَدُوُّهُ غيرَ ذاكَ البَدَن؛
فَهُوَ مِثْلَ موسى وَبَدَنُهُ فِرْعَونُهُ، وهُوَ في الخارِجِ يَعْدُو يقولُ أيْنَ العَدُوّ؛
نَفْسُهُ في مَنْزِلِ البَدَنِ ناعِمَةٌ، وهُوَ يَعَضُّ اليَدَ على شَخْصٍ آخَرَ في حِقْد؛

ملامَةُ النَّاسِ لِشَخْصٍ قَتَلَ أُمَّهُ بِتُهْمَة

ذاكَ واحِدٌ قَتَلَ مِنَ الغَضَبِ أُمَّهُ، ضَرْباً بالخَنْجَرِ وبِقَبْضَةِ اليَدِ أيضاً؛
قالَ لَهُ واحِدٌ أنتَ مِنْ سوءِ جَوْهَرِك، ما تَذَكَّرْتَ حَقَّ والِدَتِك؛
قالَ لِماذا قَتَلْتَ أُمَّكَ قُلْ، ما الَّذي عَمِلَتْ أخيراً أي قَبيحَ الطَّبْع؛
قالَ فَعَلَتْ فِعْلاً كانَ عاراً عَلَيْها، قَتَلْتُها فَذاكَ التُّرابُ سَتَّارٌ لَها؛
قالَ فاقْتُلْ ذاكَ الشَّخْصَ أي مُحْتَشِم، قالَ إذَنْ كُلَّ يَومٍ أَقْتُلُ رَجُلاً؛
قَتَلْتُها وَفَرِغْتُ مِنْ دِماءِ الخَلْق، ذَبْحي لَها أفْضَلُ مِنْ ذَبْحِ الخَلْق؛
تِلْكَ الأُمُّ سَيِّئَةُ الخاصِّيَّةِ نَفْسُكَ، الَّتي فَسادُها في كُلِّ ناحِيَة؛
هيَّا اقْتُلْها فَمِنْ أجْلِ تِلْكَ الدَّنيئةِ، تَقومُ كُلَّ لَحْظَةٍ بِقَصْدِ عَزيز؛
أنتَ مِنْها مِنْ الدُّنيا الحَسَنَةِ في ضَيْق، أنتَ لها في حَرْبٍ مَعَ الحَقِّ والخَلْق؛
إنْ قَتَلْتَ النَّفْسَ نَجَوْتَ مِنَ الاعْتِذار، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ شَخْصٍ عَدُوّاً لَكَ في الدِّيار؛
لَوْ أورَدَ شَخْصٌ إشْكالاً على قَوْلِنا، في خُصوصِ الأنبياءِ والأولياء؛
أنْ ألَمْ يكُنِ الأنبياءُ قَتَلوا النَّفْس، لِماذا إذَنْ كانَ لَهُمُ عَدُوٌّ وَحَسود؛
لِهذا الإشكالِ اسْمَعِ الجواب، أعْطِني الأُذُنَ أي طالِبَ الصَّواب؛
أولئكَ المُنْكِرونَ كانوا أعْداءَ أَنْفُسِهِمْ، كانوا يَقومونَ هكذا بِطَعْنِ أنْفُسِهِم؛
العَدُوُّ يكونُ ذلِكَ الَّذي يَقْصِدُ الرُّوح، العَدُوُّ لا يكونُ ذاكَ الَّذي يُؤذي نَفْسَه؛
صَغيرُ الخفَّاشِ لَيْسَ عَدُوّاً لِلشَّمْس، إنَّهُ عَدُوُّ نَفْسِهِ داخِلٌ في حِجاب؛
ضياءُ الشَّمْس قاتِلٌ لَهُ، مَتى يَصِلُ الأذى مِنْهُ للشَّمْس؛

العَدُوُّ ذاكَ الَّذي يَجيءُ مِنْهُ العَذاب، الَّذي يكونُ مانِعاً لِلُّعْلِ مِنَ الشَّمْس؛
مانِعو النَّفْسِ جُمْلَةُ الكافِرين عَنْ شُعاعٍ مِنْ جَوْهَرِ المُرْسَلين
متى يكونُ الخَلْق حِجاباً لِعَيْنِ ذاكَ الفَرْدِ ، الخَلْقُ جَعَلوا العَيْنَ عَمْياءَ وعَوجاء؛
مِثْلَ الغُلامِ الهِنْدِيّ الحاقِدِ الَّذي، تَمَرُّداً على سَيِّدِهِ قَتَلَ نَفْسَه؛
يَرْمي بِنَفْسِهِ مِنَ السَّطْحِ ناكِسَ الرَّأْسِ، حَتَّى يُسَبِّبَ الأذى لِسَيِّدِه؛
إذا صارَ المَريضُ عَدُوّاً للطَّبيب، وإذا قامَ الوَلَدُ بِمُعاداةِ الأديب؛
فهُوَ في الحَقيقَةِ قاطِعُ طَريقِ رُوحِه، يَقْطَعُ طَريقَ عَقْلِ وَروحِ نَفْسِهِ بِنَفْسِه؛
الغَسَّالُ إذا غَضِبَ مِنَ الشَّمْس، السَّمَكُ إذا غَضِبَ مِنَ الماء؛
انظُرْ نَظْرَةً واحِدَةً مَنِ الخاسِر؟، مَنْ مِنْهُما يكونُ في العاقِبَةِ أسْوَدَ النَّجْم؛
إذا كانَ الحَقُّ قَدْ خَلَقَكَ قَبيحَ وَجْهٍ، ها لا تَكُنْ قَبيحَ وَجْهٍ وقَبيحَ طَبْعٍ؛
إنْ رَاحَتْ نَعْلُكَ لا تَذْهَبْ بِأرْضِ صَخْر، وإنْ كانَ لَكَ قَرْنانِ لا تَصِرْ بِأرْبَعَة؛
أنتَ حَسودٌ تَقولُ أنا أقَلُّ مِنْ فُلان، النَّقْصُ لا يزالُ يزيدُ في نَجْمي؛
والحَسَدُ نَفْسُهُ نُقْصانٌ وَعَيْبٌ آخَرٌ، بَلْ هُوَ مِنْ جُمْلَةِ النَّقائصِ أسْوَأُ؛
إبليسُ ذاكَ مِنَ الجِدالِ والعارِ في نُقْصان، ألقى بِنَفْسِهِ في مِئَةِ خُسْران؛
يُريدُ أنْ يكونَ عالِياً مِنَ الحَسَد، أيَّ عُلُوٍّ بَلْ صارَ مِصْفاةً للدَّم؛
أبو جَهْلٍ ذاكَ كانَ يَسْخَرُ مِنْ مُحَمَّد، يَرْفَعُ نَفْسَهُ مِنَ الحَسَدِ إلى أعْلى؛
كانَ اسْمُهُ أبا الحَكَمِ وصارَ أبا جَهْل، كَمْ مِنْ أهْلٍ صارَ مِنَ الحَسَدِ غَيْرَ أهْل؛
أنا ما رَأَيْتُ في عالَمِ البَحْثِ والطَّلَبِ، أيَّةَ أهْلِيَّةٍ أفْضَلَ مِنْ حُسْنِ الطَّبْع؛
جَعَلَ الحَقُّ الأنبياءَ واسِطَةً لِذلِكَ، حَتَّى يصيرَ ظاهِراً الحَسَدُ في القَلَق؛
لَمَّا لمْ يكُنْ لِشَخْصٍ عارٌ مِنَ الحَقّ، لَمْ يَكُنْ هُناكَ أيُّ دَيَّارٍ حاسِدٍ للحَقّ؛
ظَنَّ ذلِكَ الشَّخْصَ مِثْلَ نَفْسِهِ، مِنْ ذلِكَ السَّبَبِ حَمَلَ لَهُ الحَسَد؛
بِما أنَّهُ مُقَرَّرٌ عَظيمُ شَأنِ الرَّسول، فالحَسَدُ ما جاءَ شَخْصاً مِنَ القَبول؛

ثُمَّ في كُلِّ دَوْرٍ وَلِيٌّ قائمٌ، إلى القِيامَةِ الاِمتِحانُ دائمٌ؛
كُلُّ مَنْ كانَ لَهُ طَبْعٌ جَميلٌ نَجا، كُلُّ شَخْصٍ لَهُ قَلْبٌ مِنَ الزُّجاجِ انْكَسَر؛
فالإمامُ الحَيُّ القائِمُ ذاكَ الوَلي، سواءً مِنْ نَسْلِ عُمَرَ أمْ مِنْ عَليّ؛
هُوَ مَهْدِيٌّ وهادٍ أيْ باحِثاً عَنِ الدَّرْب، أيضاً خَفِيٌّ وأيضاً جالِسٌ أمامَ الوَجْه؛
هُوَ مِثْلَ النُّورِ والعَقْلُ جِبْريلُهُ، وذاكَ الوَلِيُّ الأَقَلُّ مِنْهُ قَنْديلُهُ؛
وذاكَ الأَقَلُّ مِنْ هذا القَنْديلِ مِشْكاتُنا، للنُّورِ في المَرْتَبَةِ تراتيب؛
ذاكَ لأنَّ نُورَ الحَقّ بِسَبْعِمائةِ حِجاب، حُجُبَ النُّورِ اعْلَمْ عَديدَةَ الأطْباق؛
مِنْ خَلْفِ كُلِّ حِجابٍ مقامٌ لِقَوم، هذِهِ الحُجُبُ مُصْطَفَّةٌ صَفَّاً صَفَّاً حَتَّى الإمام؛
أهْلُ الصَّفِّ الآخِرِ مِنْ ضَعْفِ أنْفُسِهِم، عُيونُهُمْ لا طاقَةَ لَها بِمَزيدٍ مِنَ النُّور؛
وذاكَ الصَّفُّ مِنْ أمامِ ضَعيفي البَصَر، لا تَحَمُّلَ لَدَيْهِ لِنُورٍ أكْثَر؛
الضِّياءُ الَّذي هُوَ حياةُ الأَوَّل، عَذابُ رُوحٍ وَفِتْنَةٌ لِهذا الأَحْوَل؛
الحُولُ شَيْئاً فَشَيئاً يَقِلُّون، فَمَنْ عَبَرَ مِنَ السَّبْعِمائةِ صارَ يَمَّاً؛
مِنْ نارٍ هِيَ للحَديدِ والذَّهَبِ صلاحٌ، متى يجِدُ السَّفَرْجَلُ والتُّفَّاحُ الصَّلاح؛
التُّفَّاحُ والسَّفَرْجَلُ لَهُما قَوامٌ خَفيف، ليسا كالحَديدِ ويَطْلُبانِ الضِّياءَ اللَّطيف؛
لكِنِ الحَديدُ لَطيفَةٌ لَهُ تِلْكَ الشُّعَلُ، هُوَ جَذوبٌ لِحَرارَةِ ذاكَ الثُّعْبانِ الأُسطورِيّ؛
إنَّ ذاكَ الحَديدَ لَفَقيرٌ كادِحٌ، تَحْتَ المَطْرَقَةِ والنَّارِ أحْمَرٌ وَسَعيد؛
كانَ حاجِباً للنَّارِ بِلا واسِطَة، تَدْخُلُ في قَلْبِهِ النَّارُ بلا رابِطَة؛
الماءُ وأبناءُ الماءِ بلا حِجاب، لا يَجِدونَ مِنَ النَّارِ الإنْضاجَ والخِطاب؛
فتكونُ الواسِطَةُ قِدْراً أو مِقلاةً، مِثْلَما القَدَمُ في السَّيْرِ في الحِذاء؛
أو مكاناً في الوَسَطِ حتَّى ذاكَ الهَواءُ، يَصيرُ مُحْرِقاً وناقِلاً لَها لنا؛
فالفَقيرُ ذاكَ الَّذي بلا واسِطَة، لِلَهيبِ النَّارِ مَعَ وُجودِهِ رابِطَة؛
إذَنْ فَهُوَ قَلْبُ العالَمِ لأنَّ البَدَنَ، إنَّما يَصِلُ بِواسِطَةِ هذا القَلْبِ إلى الفَنّ؛

بلا قَلْبٍ ما عِلْمُ البَدَنِ بالقِيلِ والقال، بلا بَحْثِ القَلْبِ ما عِلْمُ البَدَنِ بالبَحْث؛
إذَنْ مَوْقعُ نَظَرِ الشُّعاعِ ذاكَ الحَديد، إذَنْ مَوقعُ نَظَرِ اللهِ القَلْبُ لا البَدَن؛
ثُمَّ إنَّ هذِهِ القُلوبَ أجْزاءٌ كالبَدَن، كُنْ مَعَ قَلْبِ صاحِبِ قَلْبٍ فَهُوَ مَعْدَن؛
والمِثالُ كثيرٌ وهذا الكلامُ يَطْلُبُ الشَّرْحَ، لكِنْ أخافُ أنْ يَزِلَّ وَهْمُ العَوامّ؛
حتَّى لا يَصيرَ خَيْرُنا سُوءاً، وهذا الَّذي قُلْتُ أيضاً كانَ بِدونِ اختيار؛
القَدَمُ العَوجاءُ خَيْرٌ لَها الحِذاءُ الأعوَجُ، رأسُمالِ الشَّحَّاذِ يَكونُ عِنْدَ الباب؛

امتِحانُ المَلِكِ لِذَيْنِكَ الغُلامَيْنِ اللَّذَيْنِ اشْتراهُما حَديثاً

اشترى مَلِكٌ غُلامَيْنِ رَخيصَين، كانَ لَهُ مَعَ واحِدٍ مِنْهُما حَديثٌ؛
وَجَدَهُ ذَكِيَّ القَلْبِ عَذْبَ الجَواب، مِنْ شَفَةِ السُّكَّرِ ما يَجيءُ؟، ماءُ السُّكَّر؛
الآدَمِيُّ مَخْفِيٌّ تَحْتَ اللِّسان، هذا اللِّسانُ حِجابٌ على بابِ الرُّوح؛
عِنْدَما قامَتِ الرِّيحُ بِتَحْريكِ الحِجاب، صارَ سِرُّ صَحْنِ الدَّارِ ظاهِراً لَنا؛
أجَوْهَرٌ في تِلْكَ الدَّارِ أم قَمْحٌ، أم كَنْزُ ذَهَبٍ أمْ كُلُّهُ حَيَّةٌ وَعَقْرَبٌ؛
أمْ أنَّ فِيْهِ كَنْزاً وَحَيَّةً جَنْباً لِجَنْبٍ، فلا كَنْزَ ذَهَبٍ يَكونُ بلا حارِسٍ؛
كانَ يَتَحَدَّثُ هكذا بلا تَأمُّلٍ، حَديثاً يحتاجُ مِنَ الآخَرينَ لِخَمْسِمائةِ تَأمُّلٍ؛
البيانُ في باطِنِهِ بَحْرٌ، البَحْرُ كُلُّهُ جُمْلَةً ناطِقٌ بالجَوْهَر؛
نُورُ كُلِّ جَوْهَرٍ ما يُشِعُّ مِنْه، فُرقانُ الحَقِّ والباطِلِ كانَ مِنْه؛
نُورُ الفُرْقانِ فَرَّقَ الحَقَّ والباطِلَ، ذَرَّةً ذَرَّةً لِأجْلِنا وَفَصَلَ بَيْنَهُما؛
نُورُ الجَوْهَرِ صارَ نُورَ أعْيُنِنا، أيضاً السُّؤالُ وأيضاً الجَوابُ كانَ مِنَّا؛
العَيْنُ العَوجاءُ رَأَتْ اثْنَيْنِ قُرْصَ القَمَر، هذا النَّظَرُ باشْتِباهٍ نَظَرٌ كالسُّؤال؛
اِجْعَلِ النَّظَرَ مُستَقيماً إلى نُورِ القَمَر، كَيْ تَرى القَمَرَ واحِداً ، جَوابٌ حَسَن؛
فَكِّرْ أنْ لا تَنْظُرَ عِوَجاً وانْظُرْ حَسَناً، فَيَكونَ فِكْرُكَ شُعاعَ ذاكَ الجَوْهَر؛

كُلُّ جوابٍ وَصَلَ مِنَ الأُذُنِ إلى القَلْب، قالَتْ عَنْهُ العَيْنُ اسْمَعْ مِنِّي وَخَلِّ ذاكَ؛
الأُذُنُ دلّالَةٌ والعَيْنُ أَهْلُ وِصال، العَيْنُ صاحِبُ حالٍ والأُذُنُ أصْحابُ قال؛
في سَماعَ الأُذُنِ تَبْديلُ الصِّفات، في عِيانِ العُيونِ تَبْديلُ الذَّات؛
وإنْ صارَ عِلْمُكَ بالنَّارِ يقيناً عَنْ قَولٍ، تَحَرَّ النُّضْجَ لا تَجْعَلِ المَنْزِلَ في اليَقين؛
ما لَمْ تَحْتَرِقْ فما ذاكَ عَيْنُ اليَقين، اُطْلُبْ هذا اليَقينَ، اِجْلِسْ في النَّار؛
الأُذُنُ حينَ تكونُ نافِذَةً تَصيرُ عَيْناً، وإلّا قُلْ في الأُذُنِ أنَّها عَوْجاء؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ فَعُدْ ، إلى ما فَعَلَ ذلِكَ المَلِكُ مَعَ غِلْمانِه؛

تَسييرُ الشَّاه لِواحِدٍ مِنْ هذَيْنِ الغُلامَيْن وسُؤال هذا الآخَر

عِنْدَما رأى الغُلامَ الصَّغيرَ ذاكَ أَهْلَ ذكاءٍ، أشارَ لِذاكَ الآخَرِ إشارَةً أنْ تَقَدَّمْ؛
تَصْغيرُ اِسْمِ الغُلامِ رَحْمَةٌ وَلَيْسَ تَصْغيراً، كالجَدِّ يقولُ لِطِفْلِهِ طُفَيْلُ لا تَحْقيراً؛
عِنْدما جاءَ ذاكَ الثَّاني أمامَ الشَّاه، كانَ مُنْتِنَ رائِحَةِ الفَمِ أسْوَدَ الأسنان؛
استاءَ المَلِكُ مِنْ مَقالِهِ إلّا أنَّهُ، قامَ بالبَحْثِ والتَّحَرّي عَنْ أسرارِه؛
قالَ بِهذا الشَّكْلِ وَبَخَرِ الفَمِ هذا، اِجْلِسْ بَعيداً لكِنْ لَيْسَ أبْعَدَ مِنَ الحَدّ؛
فَقَدْ كُنْتَ أَهْلَ رِسالَةٍ وَرُقْعَة، لا جَليساً وَنَديماً بِنَفْسِ البُقْعَة؛
إلى أنْ نَقومَ بالعِلاجِ لِفَمِكَ هذا، أنتَ الحَبيبُ وَنَحْنُ الطَّبيبُ ذو الفُنون؛
مِنْ أجْلِ بَرْغوثٍ أُحْرِقَ بِساطٌ جَديدٌ، فَلَيْسَ مِنَ اللّائقِ أنْ نُغْلِقَ العَيْنَ عَنْك؛
اِجْلِسْ مَعَ الجَميعِ وَحَدِّثْنا حَديثَين أو ثلاثَةً، كَيْ أرى جَيِّداً صُورَةَ عَقْلِك؛
ثُمَّ أرْسَلَ ذاكَ الذَكِيَّ في عَمَلٍ، قالَ اذْهَبْ إلى الحَمَّامِ وبَخِّرْ نَفْسَك؛
ولِهذا الآخَرِ قالَ حَقّاً إنَّكَ ذَكِيٌّ، أنْتَ في الحَقيقَةِ مِئةُ غُلامٍ لا واحِدٌ؛
وَلَسْتَ كما أظْهَرَكَ لَنا رَفيقُك، لَقَدْ كانَ يُزَهِّدُني فيكَ ذاكَ الحَسود؛
قالَ عَنْكَ سارِقٌ وَمُنْحَرِفٌ وسَيِّئُ المَعْشَرِ، ومُخَنَّثٌ ولئيمٌ ومِنْ هذا وَذاك؛

قالَ هُوَ صَادِقُ القَوْلِ وَطَبْعُهُ الصِّدْقُ، صادِقاً مِثْلَهُ ما رَأَيْتُ أبَداً؛
صِدْقُ المَقالِ في جِبِلَّتِهِ خِلْقَةٌ، كُلُّ ما قالَ لا أقولُ فيهِ تُهْمَة؛
ما عَرِفْتُ مِنْ جَميلِ الفِكْرِ ذاكَ عِوَجاً، لَو اتَّهَمْتُهُ كُنْتَ مُتَّهِماً وُجودَ نَفْسي؛
رُبَّما يكونُ قَدْ رأى بي عُيوباً، أنا لَمْ أرَها في وُجودِ نَفْسي أيْ مَلِك؛
لَوْ كانَ كُلُّ شَخْصٍ رأى عَيْبَ نَفْسِهِ أوَّلاً، مَتى كانَ مِنْ إصلاحِ نَفْسِهِ فارِغاً؛
الخَلْقُ هؤلاءِ غافِلونَ عَنِ النَّفْسِ أي والِدُ، لا جَرَمَ أنَّ كُلّاً يَقولَ عَيْبَ الآخَر؛
أنا لا أرى وَجْهَ نَفْسِيَ أي عابِدَ الصَّنَم، أنا أرى وَجْهَكَ أنْتَ في وَجْهي؛
ذلِكَ الشَّخْصُ الَّذي رأى وَجْهَ نَفْسِهِ، نُوْرُهُ زائِدٌ عَنْ نُورِ الخلائق؛
ولَوْ ماتَ تَظَلُّ رُؤيَتُهُ باقِيَةً، ذلِكَ لأنَّ رُؤيَتَهُ كانَتْ رُؤيَةَ الخَلّاق؛
نورٌ رأى بِهِ وَجْهَ نَفْسِهِ المَحْسوسَ مِنْ أمامِه، ذلِكَ النُّورُ لَمْ يَكُنْ نُوراً حِسِّيّاً؛
قالَ فالآنَ فاذْكُرْ لنا عُيوبَهُ، مِثْلَما قامَ هُوَ بِذِكْرِ عُيوبِكَ؛
حَتَّى أعْلَمَ أنَّكَ شَريكُ غَمِّي، وتكونَ المَأمونَ في مَمْلَكَتي وَعَمَلي؛
قالَ أيْ شاهُ أنا قائلٌ عُيوبَهُ، رَغْمَ أنَّهُ كانَ لي نِعْمَ الرَّفيق؛
عَيْبُهُ الوُدُّ والمُروءَةُ والوَفاء، عَيْبُهُ الصِّدْقُ والنَّصيحَةُ والذَّكاء؛
أقَلُّ عَيْبِهِ الشَّهامَةُ والسَّخاء، بَذْلُ الرُّوحِ مِنْ شَهامَتِهِ عَطاء؛
مئاتِ ألوفِ الأرواحِ أبْدَعَ اللهُ ظاهِرَةً، أيُّ شَهْمٍ ذاكَ الَّذي لَمْ يَرَ ذاك؛
ولو رآهُ مَتى كانَ يَبْخَلُ بالرُّوح، مَتى كانَ يَغْتَمُّ مِنْ أجْلِ روحٍ واحِدَةٍ هكذا؛
بُخْلُ ذاكَ بالماءِ على ضِفَّةِ الجَدْوَلِ، لأنَّهُ كانَ أعْمىً عَنْ الماءِ في الجَدْوَل؛
قالَ النَّبِيُّ أنَّ كُلَّ مَنْ عَنْ يَقين، عَلِمَ أنَّ لَهُ الجَزاءَ في يَوْمِ الدِّيْن؛
وأنَّ بالواحِدِ تَجيئُهُ العَشْرُ عِوَضاً، يَجيءُ مِنْهُ في كُلِّ زَمَنٍ جُودٌ مُخْتَلِفٌ؛
الجُودُ كُلُّهُ جُمْلَةً مِنْ رُؤْيَةِ العِوَض، فَرُؤْيَةُ العِوَضِ ضِدٌّ لِلخَوْف؛
والبُخْلُ كانَ مِنْ عَدَمِ رُؤْيَةِ الأعْواض، رُؤيَةُ الدُّرِّ مُسْعِدَةٌ لِلْغَوَّاص؛

إذَنْ في العالَمِ لا يُوجَدُ شَخْصٌ بَخيل، إذِ الشَّخْصُ لا يُعطي شَيْئاً بلا بَديل؛
إذَنْ فالسَّخاءُ جاءَ مِنَ العَيْنِ لا مِنَ اليَد، مَنْ أبْصَرَ عَمِلَ ولَمْ يَنْجُ غَيرُ بَصير؛
وَعَيْبٌ آخَرٌ أنَّهُ لَيْسَ مَغْروراً، وأنَّهُ يَبْحَثُ في وُجودِ نَفْسِهِ دائماً عَنِ العَيْب؛
قائلٌ عَيبَ نَفْسِه وباحِثٌ عَنِ عَيْبِها، حَسَنٌ مَعَ الجَميعِ وَمَعَ نَفْسِهِ السَّيِّئَةِ سَيِّئٌ؛
قالَ الشَّاهُ لا تَكُنْ مُسْرِعاً بِمَدْحِ رَفيقِك، لا تَأْتِ بِمَدْحِ نَفْسِكَ مِنْ خِلالِ مَدْحِه؛
ذلِكَ لِأنِّي سَوْفَ أقومُ بامْتِحانِهِ ، وَسَوفَ يصيبُكَ الخَجَلُ مِنْ وَراءِ ذلِك؛

قَسَمُ الغُلامِ في صِدْقِ وَوَفاءِ صَديقِهِ مِنْ طَهارَةِ ظَنِّ نفْسِه

قالَ لا واللهِ، واللهِ العَظيمْ مالِكِ المُلْكِ وَرَحْمَنٍ رَحيمْ
الَّذي أرْسَلَ فينا الأنبياءْ رَحْمَةً لا حاجَةً ذو الكِبْرياءْ
اللهِ الَّذي مِنَ التُّرابِ الذَّليل، ابْتَدَعَ كُلَّ عَظيمٍ جَليل؛
طَهَّرَهُمْ مِنْ مِزاجِ التُّرابِيّين، جَعَلَهُم مُتَقَدِّمينَ على الأفْلاكِيّين؛
اسْتَنْقَذَهُمْ مِنَ النَّارِ وَجَعَلَهُمْ نُوراً صافِياً، وآنَذاكَ أغارَ بِهِ على جُمْلَةِ الأنوار؛
سَنا بَرْقِ ذاكَ شَعَّ على الأرواح، حَتَّى وَجَدَ آدَمُ المَعْرِفَةَ مِنْ ذلِك؛
ذاكَ الَّذي طَلَعَ مِنْ آدَمَ واجتناهُ شيث، فَجَعَلَهُ آدَمُ خَليفَةً إذْ رآه؛
ونُوحُ كانَ حُبِيَ بِذلِكَ الجَوْهَرِ فكانَ، حامِلَ دُرٍّ في هَواءِ بَحْرِ الرُّوح؛
مِنْ تِلْكَ الأنوارِ العَظيمَةِ روحُ إبراهيمَ، بلا حَذَرٍ ذَهَبَتْ في شُعَلِ النَّار؛
وحينَ وَقَعَ إسماعيلُ في جَدْوَلِه، وَضَعَ الرَّأسَ لِشَبا حَدِّ خَنْجَرِه؛
رُوحُ داؤودَ صارَ حارّاً مِنْ شُعاعِهِ، فَلانَ الحَديدُ في يَدِهِ في نَسْجِ الحَديد؛
حينَ صارَ سُلَيمانُ لِوِصالِه رَضيعَاً، صارَ عَبْداً لَهُ الشَّيطانُ ولأمْرِهِ مُطيعاً؛
حينَ وَضَعَ يَعْقوبُ الرَّأْسَ لِلْقَضاء، رُدَّ لَهُ البَصَرُ مِنْ عَبيرِ الوَلَد؛
يوسُفُ ذو وَجْهِ البَدْرِ إذْ رأى تِلْكَ الشَّمْس، صارَ هكذا يَقِظاً في تَعْبيرِ الرُّؤيا؛

عِنْدَما شَرِبَتِ العَصا الماءَ مِنْ يَدِ موسى، ابتَلَعَتْ مُلْكَ فِرْعَونَ في لُقْمَة؛
عِنْدَما وَجَدَ عيسى مَريَمَ سُلَّمَاً إلَيْهِ، أسْرَعَ إلى أعْلى السَّماءِ الرَّابِعَة؛
عِنْدَما مُحَمَّدُ وَجَدَ ذاكَ المُلْكَ والنَّعيم، شَقَّ قُرْصَ القَمَرِ في لَحْظَةٍ نِصْفَيْن؛
حِيْنَ أبو بَكْرٍ صارَ آيَةَ تَوفيق، صارَ لِهذا المَلِكِ الصَّاحِبَ والصَّديق؛
حينَ عُمَرُ صارَ والِهاً بِذاكَ المَعْشوق، صارَ كالقَلْبِ لِلْحَقِ والباطِلِ الفاروق؛
حينَ عُثْمانُ صارَ بِعَيْنِ ذاكَ العِيان، صارَ فائضاً النُّورُ وَصارَ ذا النُّورَيْن؛
حينَ صارَ المُرتَضى ناثِرَ الدُّرِّ مِنْ وَجْهِهِ، صارَ أسَدَ اللهِ في مَرْجِ الرُّوح؛
حينَ جُنَيْدُ رأى مِنْ جُنْدِهِ ذلِكَ المَدَد، صارَتْ مَقاماتُهُ زائدَةً على العَدَد؛
بايزيدُ في مَزيدِهِ رأى الطَّريق، سَمِعَ اِسْمَ قُطْبِ العارِفينَ مِنَ الحَقّ؛
كَرْخِيُّ الكَرْخِ حِيْنَ صارَ لَهُ الحَرَس، صارَ خَليفَةَ العِشْقِ وربَّانِيَّ النَّفَس؛
وساقَ ابنُ أدْهَمَ المَركَبَ سَعيداً لِذاكَ الصَّوب، فصارَ سُلطانَ سلاطينِ العَدْل؛
وذاكَ الشَّقيقُ مِنْ شَقِّ ذاكَ الطَّريقِ العَجيب، صارَ شَمْسَ رَأيٍ وحادَّ طَرْفٍ؛
ومِئاتُ ألوفِ المُلوكِ مُخْتَفين، يَرفَعونَ الرَّأْسَ مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ مِنَ العالَم؛
اِسْمُهُمْ مِنْ غَيْرَةِ الحَقّ ظَلَّ مَخْفِيَّاً، فلا يَقْرأُ اِسْمَهُمْ كُلُّ شَحَّاذ؛
وَحَقِّ ذاكَ النُّورِ وَحَقِّ النُّورانِيّين، إنَّهُمْ في ذاكَ البَحْرِ مِثْلَ الأسماك؛
غَيْرُ لائقٍ أنْ أُسَمِّيَهُ بَحْرَ الرُّوحِ ورُوحَ البَحْر، فأنا أبْحَثُ لَهُ عَنْ اِسْمٍ جَديد؛
وحَقِّ ذاكَ الَّذي مِنْهُ هذا وَذاك، إنَّ العُقولَ بالنِّسْبَةِ لَهُ مِثْلَ الجُلود؛
إنَّ صِفاتِ صِديقي ومَعْشوقي، مِئاتِ المَرَّاتِ أزيَدُ مِنْ قولي هذا؛
ذاكَ الَّذي أعْلَمُ مِنْ وَصْفِ ذاكَ النَّديم، لَنْ تُصَدِّقَهُ إذا أنا قُلْتُ أيْ كريم؛
قالَ المَلِكُ الآنَ فَقُلْ عَنْ نَفْسِكَ، حَتَّامَ تَقولُ عَنْ هذا وذاك؛
أنْتَ ما لَدَيْكَ أيَّ حاصِلٍ حَصَّلْتَ، مِنْ قَعْرِ البَحْرِ أيَّ دُرٍّ جَلَبْت؛
يَومَ المَوْتِ هذا الحِسُّ يَصيرُ باطِلاً، أَلَدَيْكَ نُورُ الرُّوحِ لِيَكُونَ لِقَلْبِكَ مُعيناً؛

في اللَّحْدِ إذْ يَملَؤونَ عَيْنَكَ تُراباً، أَلَدَيْكَ ذلِكَ الَّذي يُضيءُ القَبْر؛
ذلَكَ الزَّمانَ ويَدُكَ مَقْطوعَةٌ والرِّجْلُ، أَلَكَ الجَناحُ والرِّيشُ لِتُرَفْرِفَ الرُّوح؛
ذلِكَ الزَّمانَ يُفارِقُكَ روحُ الحَيوان، ويلزمُكَ روحٌ باقٍ يَحِلُّ مَحَلَّها في المكان؛
شَرْطُ مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ لَيْسَ فِعْلُها، بَلْ حَمْلُ هذِهِ الحَسَنَةِ إلى جِهَةِ الحَضْرَة؛
إنَّ لَكَ جَوْهَراً مِنْ إنسانٍ أو حِمارٍ، هذِهِ الأعْراضُ قَدْ فَنِيَتْ فَكَيْفَ تَحْمِلُها؛
هذِهِ الأعْراضُ مِنْ صلاةٍ وَصَوم، وِفْقَ *ما لا يَبْقى زَمانَيْنِ انتفى*؛
النَّقْلُ غَيْرُ مُمْكِنٍ للأعْراض لكِنَّها، عَنِ الجَوْهَرِ تَنفي الأمراض؛
لِيَصيرَ الجَوْهَرُ مُبَدَّلاً مِنْ هذا العَرَض، مِثْلَما مِنَ الحِمْيَةِ يَزولُ المَرَض؛
صارَ العَرَضُ بالحِمْيَةِ جَوْهَراً بِجَهْد، كما هُوَ الفَمُ المُرُّ مِنَ الحِمْيَةِ شَهْد؛
مِنَ الزَّرْعِ صارَ التُّرابُ سُنْبُلَةً، دواءُ الشَّعْرِ جَعَلَ الشَّعْرَ سِلْسِلَةً؛
نِكاحُ المَرْأةِ كانَ عَرَضاً وانتَهى، جَوْهَرُ الوَلَدِ صارَ حاصِلاً مِنّا؛
ازدِواجُ الحِصانِ والنَّاقَةِ عَرَض، استيلادُ جَوْهَرِ المُهْرَةِ الغَرَض؛
غَرْسُ ذاكَ البُستانِ كَذلِكَ عَرَض، زَرْعُ البُستانِ صارَ جَوهَراً جَميلَ الغَرَض؛
وَعَمَلُ الكيمياءِ أيضاً اعْرِفْ عَرَضاً، فإن صارَ جَوْهَرٌ مِنَ الكيمياءِ فاحْمِلْه؛
عَمَلُ الصَّقْلِ أيْ مَلِكُ عَرَض، مِنْ هذا العَرَضِ الجَوْهَرُ يَلِدُ الصَّفاء؛
إذنْ لا تَقُلْ أنا عَمِلْتُ أعمالاً، دَخْلَ تِلْكَ الأعْمالِ أظْهِرْ لا تَخَفْ؛
هذا الوَصْفُ هُوَ عَرَضٌ فاصْمُتْ، لا تَذْبَحْ قُرباناً ظِلَّ تَيْس؛
قالَ أي مَلِكي لا يكونُ بِغَيرِ قُنوطٍ عَقْل، إنْ قُلْتَ العَرَضُ لا يكونُ لَهُ نَقْل؛
أي مَلِكُ لا يكونُ غَيرَ يَأْسِ العَبْد، إنْ كانَ العَرَضُ الَّذي ذَهَبَ لا يَعود؛
إنْ لَمْ يَكُنْ لِلْعَرَضِ نَقْلٌ وَحَشْرٌ، فالفِعْلُ باطِلٌ والأقوالُ جُزاف؛
هذِهِ الأعْراضُ مَنْقولَةٌ بِلَونٍ آخَر، حَشْرُ كُلِّ فانٍ بِكَونٍ آخَر؛
نَقْلُ كُلِّ شَيءٍ بِما يليقُ بِهِ، كُلُّ قَطيعٍ لَهُ سائقٌ يليقُ بِهِ؛

وَقْتَ المَحْشَرِ كُلُّ عَرَضٍ لَهُ صُورَة، وَصُورَةُ كُلِّ عَرَضٍ لَها نَوبَة؛
أُنْظُرْ في النَّفْسِ أَلَمْ تَكُنْ عَرَضاً، أَلَمْ تَكُنْ لِحَرِكَةِ زَوجٍ وَزَوْجَةٍ غَرَضاً؛
أُنْظُرْ في البُيوتِ والدُّور، كانَتْ في المُهَنْدِسِ مِثْلَ الحَكايا؛
ذلِكَ البَيْتَ الَّذي رأينا جَميلاً، مَوزونَ صُفَّةٍ وَسَقْفٍ وباب؛
العَرَضُ والأفكار مِنَ المُهَنْدِسِ ذاكَ، جاءَتْ بالآلَةِ والأعْمِدَةِ مِنَ الغابات؛
ما أصْلُ وأساسُ كُلِّ حِرْفَةٍ، غَيْرَ الخيالِ وَغَيْرَ العَرَضِ والفِكْر؛
أُنْظُرْ إلى جُمْلَةِ أجزاءِ العالَمِ بلا غَرَض، وكَيفَ لَمْ تَحْصَلْ إلّا مِنَ العَرَض؛
أوَّلاً الفِكْرُ وَآخِراً يجيءُ العَمَل، بُنْيَةُ العالَمِ هكذا عِلْمٌ مِنَ الأزَل؛
كانَتِ الثِّمارُ في فِكْرِ القَلْبِ أوَّلاً، بالعَمَلِ تَصيرُ في الآخِرِ ظاهِرَةً؛
حينَ قُمْتَ بالعَمَلِ وَغَرَسْتَ شَجَرَةً، قَرَأْتَ في الآخِرِ الحَرْفَ الأوَّل؛
رَغْمَ مَجيءِ الغُصْنِ والوَرَقِ والجَذْرِ أوَّلاً، كُلُّ ذلِكَ كانَ لِأجْلِ الثِّمارِ مُرْسلاً؛
فالرَّأْسُ الَّذي كانَ لُبُّهُ تِلْكَ الأفلاك، في الآخِرِ كانَ سَيِّدَ *لولاك*؛
نَقْلُ الأعراضِ هذا البَحْثُ والمَقال، نَقْلُ الأعْراضِ هذا الأسَدُ والثَّعْلَب؛
جُمْلَةُ العالَمِ كانَ أعراضاً إلى أنْ، أتَتْ في هذا المَعنى *هل أتى*؛
هذِهِ الأعْراضُ مِمَّ تُوْلَدُ؟ مِنَ الصُّوَر، هذِهِ الصُّوَرُ مِمَّ تُوْلَدُ؟ مِنَ الفِكَرْ؛
هذا العالَمُ فِكْرَةٌ مِنَ العَقْلِ الكُلِّيّ، العَقْلُ كالشّاهِ والصُّوَرُ رُسُل؛
العالَمُ الأوَّلُ عالَمُ الامتِحان، العالَمُ الثّاني جَزاءُ هذا وَذاك؛
عَبْدُكَ أيْ شاهُ يَعْمَلُ جِنايَةً، ذاكَ العَرَضُ يصيرُ زَنجيراً وَسِجْناً؛
وإذا عَمِلَ عَبْدُكَ خِدْمَةً لائقَةً، ألا يصيرُ ذاكَ العَرَضُ خِلْعَةً يَلْبَسُها؛
العَرَضُ مَعَ الجَوْهَرِ كالبيضَةُ والطَّيْر، هذا مِنْ تِلْكَ وتِلْكَ مِنْ هذا مَولود؛
قالَ المَلِكُ افْتَرِضْ هكذا المُراد، أعْراضُكَ هذِهِ لَمْ تَلِدْ جَوْهَراً واحِداً؛
قالَ جَعَلَ ذاكَ مَخْفِيّاً العَقْلُ، لِيَكونَ هذا العالَمُ غَيْباً بِخَيْرِهِ وَشَرِّه؛

ذاكَ لأنَّهُ لَو كانَتْ ظاهِرَةً أشكالُ الفِكْر، ما قالَ مُؤمِنٌ ولا كافِرٌ غَيْرَ الذِّكْر؛
وَلَكانَ هذا عِياناً لا غَيْباً أيْ شاهُ، وَلَكانَ نَقْشُ الكُفْرِ والدِّينِ على الجَبين؛
متى كانَ في العالَمِ صَنَمٌ وناحِتُ صَنَمٍ، ومِثْلُ هذا الشَّخْصِ مسخَرَةٌ للزُّهْرَة؛
ولكانَتِ القِيامَةُ إذَنْ دُنيانا هذِهِ، في القِيامَةِ مَنِ الَّذي يَعْمَلُ الجُرْمَ والخَطَأ؛
قالَ الشَّاهُ الحَقُّ سَتَرَ جَزاءَ السُّوء، لكِنْ عَنِ العامَّةِ لا عَنْ خاصَّةِ نَفْسِه؛
إذا أنا أوقَعْتُ في المَصْيَدَةِ أميراً، أُخْفي عَنِ الأُمَراءِ ذلِكَ لا عَنِ الوَزير؛
الحَقُّ أظْهَرَ لي إذَنْ جَزاءَ العَمَل، ومِنْ صُوَرِ الأعْمالِ مِئَةَ ألْف؛
أعْطِني إشارَةً أَعْلَمها على التَّمام، القَمَرَ عَنّي لا يَحْجُبُهُ الغَمام؛
قالَ إذَنْ ما المَقْصود مِنْ قَولي، ما دُمْتَ تَعْلَمُ ذاكَ الَّذي كانَ ما هُوَ؛
قالَ الشَّاهُ الحِكْمَةُ في إظْهارِ العالَم، أنْ يَخْرُجَ ذلِكَ المَعْلومُ لِلْعِيان؛
ذاكَ الَّذي يَعْلَمُ لَوْ لَمْ يُظْهِرْهُ، ما كانَ وَضَعَ على العالَمِ أَلَمَ الطَّلْقِ والوَجَع؛
أنتَ لا تَقْدِرُ أنْ تَجْلِسَ لَحْظَةً دونَ عَمَل، دُونَ أنْ يَصْدُرَ عَنْكَ خَيْرٌ أو شَرٌّ؛
طَلَباتُ العَمَلِ هذِهِ مِنْ أجْلِ ذاك، صارَتْ مُوَكِّلاً لِيصيرَ سِرُّكَ عِياناً؛
فكُلَّابَةُ البَدَنِ متى تَصيرُ ساكِنَةً، بِما أنَّ رَأْسَ حَبْلِ الضَّميرِ يَسْحَبُها؛
اضْطِرابُكَ صارَ شارَةَ ذلِكَ السَّحْب، البِطالَةُ لَكَ تَكونُ مِثْلَ نَزْعِ الرُّوح؛
هذا العالَمُ وَذاكَ العالَمُ يَلِدانِ لِلأبَد، كُلُّ سَبَبٍ أُمٌّ أَثَرُها وَلَد؛
عِنْدَما وُلِدَ الأَثَرُ صارَ هُوَ أيضاً سَبَباً، حَتَّى يَلِدَ آثاراً عَجيبَةً؛
هذِهِ الأسبابُ وإنْ تَكُنْ نَسْلاً بَعْدَ نَسْلٍ، تَجِبُ لها عَيْنٌ مُنَوَّرَةٌ جِدَّاً جِدَّاً؛
الشَّاهُ في الحَديثِ مَعَهُ وَصَلَ إلى هُنا، أو رأى مِنْهُ دَليلاً أوْ لَمْ يَرَ؛
لَيْسَ بَعيداً أنَّ ذلِكَ الشَّاهَ الباحِثَ رأى، لكِنْ لَيْسَ لنا دَستورٌ لِذِكْرِ ذلِك؛
عِنْدَما جاءَ ذلِكَ الغُلامُ مِنَ الحَمَّام، دَعاهُ إلى نَفْسِهِ ذلِكَ الشَّاهُ الهُمام؛
قالَ صُحَّاً لَكْ نَعيمٌ دائمٌ، أنتَ لَطيفٌ ظَريفٌ حَسَنُ الوَجْهِ جَدَاً؛

أي أَسَفاً لَوْ لَمْ يَكُنْ فيكَ ذاكَ الَّذي كانَ يَقولُهُ فيكَ فُلان؛
لَصارَ سَعيداً كُلُّ مَنْ رأى وَجْهَكَ، ولَكانَتْ رُؤيَتُكَ تَعْدِلُ مُلْكَ العالَم؛
قالَ قُلْ رَمْزاً مِنْ ذاكَ أيْ مَلِكُ، مِمَّا قالَ فِيَّ فاسِدُ الدِّيْنِ ذاك؛
قالَ أوّلاً وَصَفَكَ بِذي الوَجْهَيْنِ، وأنَّكَ في الظَّاهِرِ دواءٌ وخِفْيَةً داء؛
حينَ استَمَعَ لِخُبْثِ صَديقِهِ مِنَ المَلِك، جاشَ في اللَّحْظَةِ بَحْرُ غَضَبِهِ؛
أزْبَدَ ذلِكَ الغُلامُ واحْمَرَّ، حتَّى جازَ مَوْجُ هَجْوِهِ الحَدّ؛
أنْ هُوَ مِنْ أوَّلِ لَحْظَةٍ صارَ لي رَفيقاً، كانَ كالكَلْبِ في القُحْطِ وَقْتَ الطَّعام؛
وَعِنْدَما اسْتَمَرَّ في هَجْوِهِ مِثْلَ جَرَسٍ، وَضَعَ الشَّاهُ يَدَهُ على شَفَتِهِ أنْ كَفى؛
قالَ اعْلَمْ أنَّني مَيَّزْتُ بَيْنَكَ وَبينَهُ، رَفيقُكَ مُنْتِنُ الفَمِ وأنتَ مُنْتِنُ الرُّوح؛
فاجْلِسْ بَعيداً أنْتَ أيْ مُنْتِنَ الرُّوح، حتَّى يكونَ هُوَ الأميرَ وأنتَ المَأمور؛
فَقَدْ جاءَ في الحَديثِ أنَّ التَّسبيحَ مِنْ رياءٍ، يُعْتَبَرُ مِثْلَ خُضْرَةِ الدِّمَنِ أي كَبير؛
فاعْلَمْ أنَّ صاحِبَ الصُّورَةِ الحَسَنَةِ الجَميلَةِ، بِخِصالِ السُّوءِ لا يُساوي دِرْهَماً؛
ولو كانَتْ صُورَتُهُ حَقيرَةً ومَمجوجَةً، إذا كانَ خُلُقُهُ حَسَناً مُتْ على قَدَمِه؛
الصُّورَةُ الظَّاهِرَةُ اعْلَمْ تَصيرُ فانِيَةً، عالَمُ المَعْنى إلى الأبَدِ باقٍ؛
كَمْ مَرَّةً رُحْتَ عاشِقَ نَقْشِ جَرَّةٍ، دَعْ صُورَةَ الجَرَّةِ وامْضِ باحِثاً عَنِ الماء؛
رَأَيْتَ صُورَتَهُ فَأنْتَ عَنِ المَعْنى غافِل، اِخْتَرِ الدُّرَّ مِنَ الصَّدَفِ أيُّها العاقِل؛
هذِهِ الأصْدافُ في العالَمِ قوالِبٌ، رَغْمَ أنَّ الجَميعَ يَحْيَونَ مِنْ بَحْرِ الرُّوح؛
وَلَيْسَ ضِمْنَ كُلِّ صَدَفَةٍ جَوْهَرَةٌ، اِفْتَحِ العَيْنَ وانْظُرْ في قَلْبِ كُلِّ صَدَفَة؛
ما يملكُ ذاكَ وما يملكُ هذا، اخْتَرْ، ذلِكَ لأنَّ ذاكَ الدُّرَّ الثَّمينَ نادِرٌ؛
إنْ كُنْتَ تَمضي للصُّورَةِ، الجَبَلُ بالشَّكْل، أكْبَرُ مِئاتِ المرَّاتِ ممَّا بِهِ مِنْ لَعْل؛
كما أنَّ يَدَكَ وَقَدَمَكَ وَشَعْرَكَ بالصُّورَةِ، مئاتِ المَرَّاتِ أضْعافُ نَقْشِ عَينِك؛
لكِنْ لا يَكُنْ خافِياً عِنْكَ هذا، إنَّ المُخْتارَ مِنْ جَميعِ الأعضاءِ العَينان؛

مِنْ فِكْرَةٍ واحِدَةٍ خَرَجَتْ مِنَ الباطِن، مِئَةُ عالَمٍ صارَ في لَحْظَةٍ واحِدَةٍ مُنْقَلِباً؛
جِسْمُ السُّلطانِ وإنْ كانَ بالصُّورَةِ واحِداً، مِئاتُ آلافِ العساكِرِ خَلْفَهُ تَجْري؛
ثُمَّ إنَّ شَكْلَ وَصُورَةَ الشَّاهِ الصَّفِيّ، مَحكومانِ لِفِكْرٍ خَفِيّ؛
انْظُرْ إلى الخَلْقِ بلا نِهايَةٍ مِنْ فِكْرَةٍ واحِدَةٍ، صارَ كَسَيْلٍ يَجْري على الأرْض؛
تِلْكَ الفِكْرَةُ لِلْخَلْقِ بَدَتْ صَغيرَةً، لكِنَّها كالسَّيْلِ جَرَفَتِ العالَمَ وَحَمَلَتْه؛
إذَنْ فها أنتَ ترى أنَّ مِنَ الفِكْرَة، قائِمَةٌ في العالَمِ كُلُّ حِرْفَة؛
بيوتُها قُصورُها بُلْدانُها جِبالُها صَحْراؤها أنْهارُها
أيضاً الأرْضُ والشَّمْسُ والفَلَكُ والبَحْر، حَيَّةٌ مِنْها كالسَّمَكِ مِنَ البَحْر؛
فلِماذا أمامَكَ مِنَ البَلَهِ أيْ أعْمى، البَدَنُ سُلَيمانُ والفِكْرُ مِثْلَ نَمْلَة؛
يَظْهَرُ أمامَ عَيْنِكَ الجَبَلُ عَظيماً، الفِكْرُ كالفَأْرِ والجَبَلُ ذِئبٌ؛
هَولٌ عَظيمٌ العالَمُ في عَيْنِكَ، مِنَ الغَيمْ والرَّعْدِ والفَلَكِ أنتَ في خَوفٍ وَرُعْب؛
ومِنْ عالَمِ الفِكْرَةِ أيْ أقَلَّ مِنْ حِمار، أنتَ آمِنٌ وغافِلٌ وكالحَجَرِ جاهِلٌ؛
لأنَّكَ صورَةٌ وبلا نَصيبٍ مِنَ العَقْل، لَسْتَ في طَبْعِ آدَمِيَّ أنتَ وَلَدُ حِمار؛
أنتَ ترى الظِّلَّ مِنَ الجَهْلِ شَخْصاً، الشَّخْصُ مِنْ ذاكَ صارَ عِنْدَكَ سَهْلاً؛
فابْقَ إلى يومَ يَفْتَحُ الفِكْرُ والخَيال، دونَما حِجابٍ الرِّيشَ والجَناح؛
تَرَ الجِبالَ صارَتْ كأنَّها الصُّوف، والأرْضُ الحارَّةُ والبارِدَةُ صارَتْ عَدَماً؛
لا سَماءَ ترى ولا نَجْمَ ولا وُجود، غَيْرَ اللهِ الواحِدِ الحَيِّ الوَدود؛
قِصَّةً جاءَتْ صادِقَةً أمْ كاذِبَةً، حَتَّى تَهَبَ للصَّادِقينَ الضِّياء؛

حَسَدُ الحَشَمِ للغُلامِ الخاصّ

شاهٌ اختارَ عَبْداً مِنَ الكَرَم، وَفَضَّلَهُ على جُمْلَةِ الحَشَم؛
وَظيفَتُهُ كوَظيفَةِ أربعينَ مِنْ أمير، عُشْرَ قَدْرِهِ ما رأى مِئَةُ وزير؛

مِنْ كَمالِ الطَّالَعِ والإقبالِ والبَخْت، هُوَ كانَ ***إياز*** والشَّاهُ ***محمودَ*** الوَقْت؛
رُوحُهُ قَريبَةُ روحِ الشَّاهِ في الأصْل، مِنْ قَبْلِ هذا البَدَنِ كانا قرابَةً وأهْلاً؛
العَمَلُ ما كانَ قَبْلَ أنْ تكونَ الأبدان، دَعِ الأبدانَ فَهِيَ حادِثَةٌ وجَديدَة؛
هذا شُغْلُ العارِفِ فَهُوَ لَيْسَ أحْولاً، إنَّ عَيْنَهُ على الزَّرْعِ الأوَّل؛
سواءً كانَ قَمْحاً ما زَرَعوا أمْ شَعيراً، عَيْنُهُ هُناكَ اللَّيْلَ والنَّهارَ رَهينَةٌ؛
اللَّيْلَةُ لَنْ تَلِدَ غَيْرَ ما هِيَ حُبلى بِهِ، الحِيَلُ وأنواعُ المَكْرِ ريحٌ وَهَباء؛
ما يَفْعَلُ مَنْ أسْعَدَ القَلْبَ بالحِيَلِ، وَقْتَ يرى حِيْلَةَ الحَقِّ على رَأْسِه؛
هُوَ في داخِلِ الشِّباكِ يَنْصِبُ الشِّباك، وروحِكَ لَنْ يَنْجُوَ مِنْ هذِهِ الأشراك؛
ولو زَرَعَ ولو سقى مِئَةَ نباتٍ، في العاقِبَةِ ينمو زَرْعُ الله؛
زَرْعاً جديداً زَرَعْتَ على زَرْعِكَ الأوَّل، هذا الثَّاني فانٍ وذاكَ الأوَّلُ صَحيح؛
البِذْرَةُ الأولى كامِلَةٌ وَمُنتقاةٌ، البِذْرَةُ الثَّانِيَةُ فانيَةٌ وَعَفِنَة؛
فارْمِ بِتَدبيرِ نَفْسِكَ أمامَ الحَبيب، رَغْمَ أنَّ تَدْبيرَكَ أيضاً مِنْ تَدْبيرِ الحبيب؛
فالعَمَلُ ذاكَ الَّذي مِنَ الحَقِّ رُفِع، أخيراً ينمو ذاكَ الَّذي أوَّلاً زُرِع؛
كُلَّ ما تَفْعَلُ افْعَلْهُ مِنْ أجْلِهِ، مِثْلَ أسيرِ المَحَبَّةِ أيُّها المُحِبّ؛
لا تَسْعَ للنَّفْسِ السَّارِقَةِ بشُغْلٍ ولا عَمَلٍ، ما ليسَ عَمَلاً للحَقِّ هَباءٌ هباء؛
مِنْ قَبْلِ أنْ يصيرَ ظاهِراً يَومَ الدِّين، عِنْدَ المالِكِ ويصيرَ مَفْضوحاً لِصُّ اللَّيْلِ؛
المَتاعَ الَّذي سَرَقَ بِتَدْبيرِهِ وَفَنِّه، بَقِيَ يَومَ الجَزاءِ في عُنُقِه؛
مِئاتِ ألوفِ العُقولِ مَعاً قامَتْ، لِتَنْصِبَ الشِّباكَ في غَيْرِ شِباكِه؛
وجَدوا شِباكَهُ الأقوى، متى أظْهَرَتِ القَشَّةُ قُوَّةً أمامَ الرِّيح؛
إنْ قُلْتَ ما كانَتْ فائدَةُ الوُجود، في سؤالِكَ هذا فائدَةٌ أيْ عَنود؛
إنْ لَمْ يَكُنْ لِسُؤالِكَ هذا فائدَة، سَمْعُنا هذا عَبَثٌ بلا عائدَة؛
وإنْ كانَ لِسُؤالِكَ فوائدُ كَثيرَةٌ، فلِماذا العالَمُ أخيراً بلا فائدَة؛

وإنْ كانَ العالَمُ مِنْ جِهَةٍ بلا فوائد، مِنَ الجِهاتِ الأُخرى مَملوءٌ بالعوائد؛
فائدَتُكَ إنْ لَمْ تَكُنْ فائدَةً لي، ما دامَتْ لَكَ فائدَةً لا تَرْجِعْ عَنها؛
حُسْنُ يُوسُفَ كانَ للعالَمِ فائدَة، رَغْمَ أنَّهُ كانَ لإخوانِهِ أُلْعوبَةً زائدَة؛
اللَّحْنُ الدَّاؤودِيُّ كَمْ كانَ مَحبوباً، لكِنَّهُ لِلمَحرومِ كانَ صوتَ أخشاب؛
ماءُ النِّيلِ كانَ فائقاً على ماءِ الحَياةِ، لكِنَّهُ كانَ للمحرومِ والمُنْكِرِ دَماً؛
الشَّهادَةُ تكونُ للمؤمِنِ حياةً، وهِيَ المَوتُ والفناءُ للمُنافِق؛
في العالَمِ قُلْ ما هِيَ النِّعْمَة، الَّتي لا تكونُ مَحْرومَةً مِنْها أُمَّة؛
ما انتِفاعُ البَقَرَةِ والحِمارِ مِنَ السُّكَّر، كُلُّ روحٍ لها قُوتٌ مُخْتَلِفٌ آخَر؛
لكِنْ عِنْدَما القُوتُ لَهُ عارِض، القيامُ بالنَّصيحَةِ لَهُ رائض؛
مِثْلَ شَخْصٍ لَهُ رَغْبَةٌ بالطِّينِ مِنْ مَرَض، ورَغْمَ أنَّهُ ظَنَّ أنَّ ذاكَ قوتُ نَفْسِه؛
فإنَّهُ كانَ نَسيَ قُوتَهُ الأصْلِيّ، وَوَجَّهَ الوَجْهَ إلى قُوتِهِ المَرَضيّ؛
تَرَكَ العَسَلَ وأكَلَ السُمَّ، جَعَلَ قُوتَ العِلَّةِ كالحَطَب؛
القُوتُ الأصْلِيُّ للبَشَرِيِّ نورُ الله، وغَيْرُ لائقٍ بِه القُوتُ الحَيَوانيُّ؛
لكِنَّ القَلْبَ وَقَعَ بِهذا مِنَ العِلَّةِ، فأكَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ مِنْ هذا الطِّين؛
أصْفَرُ الوَجْهِ واهِي القَدَمِ خفيفُ القَلْب، مِنْ أينَ لَهُ غِذاءُ *والسَّماءِ ذاتِ الحُبُك*؛
ذاكَ غِذاءُ خواصِّ الدَّولَة، أكْلُ ذاكَ يكونُ بلا حَلْقٍ ولا آلَة؛
الغِذاءُ للشَّمْسِ مِنْ نورِ العَرْش، وللحسودِ والشَّيطانِ مِنْ دُخانِ الفَرْش؛
في الشُّهَداءُ يُرْزَقونَ قالَ الحَقّ، ذاكَ الغِذاءُ بلا فَمٍ كانَ ولا طَبَق؛
القَلْبُ مِنْ كُلِّ صَديقٍ يأكُلُ غِذاءً، القَلْبُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ يأخُذُ صَفاءً؛
صُورَةُ كُلِّ آدَمِيٍّ كالوِعاء، العَيْنُ حَسَّاسَةٌ مِنْ مَعْناه؛
مِنْ لِقاءِ كُلِّ شَخْصٍ أكَلْتَ شَيئاً، ومِنْ قِرانِ كُلِّ قَرينٍ حَمَلْتَ شَيئاً؛
النَّجْمُ للنَّجْمِ عَنْدما صارَ قريناً، وُلِدَ مِنْ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُما أثَرٌ يقيناً؛

مِنْ قِرانِ رجُلٍ وامَرْأةٍ زادَ البَشَر، مِنْ قِرانِ الحديدِ والصَّخْرِ صارَ الشَّرَر؛
مِنْ قِرانِ التُّرابِ والأمطار، المُروجُ والرَّياحينُ والأثْمار؛
ومِنْ قِرانِ الخُضَرِ والآدَميّ، سعادَةُ القَلْبِ والهناءِ والسُّرور؛
مِنْ قِرانِ السَّعادَةِ وروحِنا، وُلِدَ إحسانُنا وخَيرُنا؛
تَصيرُ قابِلَةً للأكْلِ أجسامُنا، إذا طَلَعَ مِنَ التَّفَرُّجِ مُرادُنا؛
احمِرارُ الوَجْهِ كانَ مِنْ قِرانِ الدَّمّ، الدَّمُ مِنَ الشَّمْسِ كانَ جَميلاً بِلَونِ الوَرْد؛
اللَّونُ الأحْمَرُ أفْضَلُ الألوان، وذاكَ واصِلٌ مِنَ الشَّمْس؛
كُلُّ أرْضٍ قَرينَةٍ لِزُحَل، مالِحَةٌ وليسَتْ للزَّرْعِ بِمَحَلّ؛
القُوَّةُ في الفِعْلِ تَحْصَلُ مِنَ الاِتِّفاق، كاقتِرانِ الشَّيطانِ بِأهْلِ النِّفاق؛
هذي المَعاني لها مِنَ الفَلَكِ التَّاسِعِ، طاقٌ وَطُرُمٌ بلا طاقٍ وَطُرُم؛
الطَّاقُ والطُّرُمُ للخَلْقِ عارِيَة، الطَّاقُ والطُّرُمُ للأمْرِ ماهِية؛
طَلَبَ الطَّاقِ والطُّرُمِ يَحْمِلونَ الذُّلّ، على أمَلِ العِزِّ يسعدونَ في الذُّلّ؛
على أمَلِ عِزِّ عَشْرَةِ أيَّامٍ مُشَتَّتَةٍ، جَعَلوا العُنُقَ مِنَ الغَمِّ كالمِغْزَل؛
كيفَ لا يأتونَ إلى هُنا فأنا، في هذا العِزِّ شَمْسٌ مُشْرِقَة؛
مَشْرِقُ الشَّمْسِ بُرْجٌ بِلَونِ القير، شَمْسُنا خارِجَةٌ عَنِ المَشارِق؛
مَشْرِقُها نِسْبَةُ ذرَّاتِها، ما أشْرَقَتْ ولا غابَتْ بِذاتِها؛
ونَحْنُ آخِرُ ذرَّاتِها، ونَحْنُ في العالَمَيْنِ شَمْسٌ بلا فَيء؛
أأعودُ أطوفُ حَوْلَ الشَّمْسِ عَجَباً، ولو كانَ هذا السَّبَبُ مِنْ مَجْدِ الشَّمْس؛
الشَّمْسُ على الأسبابِ مُطَّلِع، كما حَبْلُ الأسبابِ مِنْهُ مُنْقَطِع؛
مِئاتِ آلافِ المَرَّاتِ قَطَعْتُ الأمَلَ، مِمَّن، مِنَ الشَّمْسِ، أتُصَدِّقُ هذا؛
لا تُصَدِّقْني بِأنّي عَنِ الشَّمْسِ، أصْبِرُ أو أنَّ السَّمَكَ يَصْبِرُ عَنِ الماء؛
وإنْ صِرْتُ يائساً فيأسي، عَيْنُ صُنْعِ الشَّمْسِ أيْ حَسَن؛

كَيْفَ فارَقَ عَيْنُ الصُّنْعِ نَفْسَ الصَّانِعِ، أيُّ مَوجودٍ كيفَ رعى مِنْ غَيْرِ وُجود؛
المَوجوداتُ تَرعى مِنْ هذِهِ الرَّوضَةِ، بُراقاً كانَتْ أمْ حِصاناً عَرَبيَّاً أمْ حِماراً؛
وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الأسفارَ في ذلِكَ البَحْر، كُلَّ نَفَسٍ يُوَجِّهُ الوَجْهَ لِصَحراءَ جَديدَة؛
هُوَ مِنَ البَحْرِ العَذْبِ شَرِبَ الماءَ المالِحَ، إلى أنْ جَعَلَهُ الماءُ المالِحُ أعْمى؛
ويقولُ لَهُ البَحْرُ اشْرَبْ بِيَدِكَ اليُمنى، مِنْ مائي أي أعمى لِتَجِدَ البَصَر؛
اليَدُ اليُمنى هُنا الظَّنُّ الصَّادِقُ، الَّذي يَعْلَمُ الخَيْرَ والشَّرَّ مِنْ أين؛
إنَّ جادِلَ الرِّماحِ أيْ رُمْحُ هُوَ مَنْ، يَجْعَلُكَ حيناً مُسْتَقيماً وحيناً يلويك؛
نَحْنُ مِنْ عِشْقِ شَمْسِ الدِّينِ بلا أظْفار، وإلَّا لَجَعَلْنا ذلِكَ الأعْمى بَصيراً؛
أي ضياءَ الحَقِّ حُسامَ الدِّينِ أسرِعْ، قُمْ بِعِلاجِهِ عَمِيَتْ عَيْنُ الحَسود؛
مِنْ كُحْلِ الكِبرياءِ حادِّ الفِعْل، الدَّواءِ قاتِلِ الظُّلْمَةِ مِنْ عنيدِ الفِعْل؛
ذلِكَ الَّذي لَوْ وُضِعَ على عَيْنِ أعْمى، لَرَفَعَ عَنها ظُلْمَةَ مِئةِ عام؛
قُمْ بِعِلاجِ جُمْلَةِ العُميانِ إلَّا الحَسود، فالحَسودُ يكونُ لَكَ مِنْهُ الجُحود؛
حَسودُكَ وَلَو كانَ ذاكَ أنا، لا تَهَبِ الرُّوحَ حَتَّى أُسْلِمَ الرُّوح؛
ذاكَ الَّذي يكونُ حسوداً للشَّمْس، وذاكَ الَّذي يَأْلَمُ مِنْ وجودِ الشَّمْس؛
فذاكَ الَّذي حَقُّهُ ظُلْمَةٌ بلا دواء، وذاكَ الواقِعُ أبَداً في قَعْرِ الجُبّ؛
نَفْيُ شَمْسِ الأزَلِ واجِبٌ لَهُ، متى ينالُ هذا المُرادَ، قُلْ؛

سُقوطُ البازِ أسيراً بينَ البومِ في خرابة

البازُ هُوَ ذاكَ الَّذي يَرْجِعُ إلى الشَّاه، البازُ الأعمى ذلِكَ الَّذي ضَلَّ الطَّريق؛
ضَلَّ الطَّريقَ وَوَقَعَ في خَرابَةٍ، البازُ في الخَرابَةِ وَقَعَ على البوم؛
هُوَ كُلُّهُ نورٌ مِنْ نورِ الرِّضاء، لكِنْ أعماهُ ضابِطُ جَيْشِ القَضاء؛
جاءَ في عَينِهِ الغُبارُ فَأَضَلَّهُ عَنِ الطَّريق، أسْلَمَهُ إلى البومِ والخَرابَة؛

واقِعٌ على الرَّأسِ تَضْرِبُ رَأْسَهُ البوم، تَقْتَلِعُ مِنْهُ الرِّيشَ والجَناحَ الجَميل؛
وَقَعَتْ بَيْنَ البومِ الوَلْوَلَةُ أنْ، جاءَ بازٌ لِيَأخُذَ مكانَنا؛
امتَلأتِ البومُ بالغَضَبِ المَهيب، ككِلابِ الحَيِّ مَعَ مِسكينٍ غَريب؛
قالَ البازُ ما بيني وبين البوم، مِئةً مِنْ مِثْلِ هذِهِ الخرابَةِ أهَبُ للبوم؛
أنا لا أُريدُ المُقامَ هُنا أنا ذاهِبٌ، أنا إلى مَلِكي مَلِكِ المُلوكِ آئبٌ؛
أي بومُ لا تَقتُلوا أنْفُسَكُم فأنا، غَيرُ مُقيمٍ هُنا وذاهِبٌ إلى الوَطَن؛
هذا الخَرابُ في عُيونِكُمْ عامِرٌ، أمَّا نَحْنُ فَساعِدُ الشَّاهِ مَسْكَنٌ لنا؛
قالَتِ البومُ هُوَ يحتالُ عَلَيْكُم، لِيَقْتَلِعَكُمْ مِنْ وَطَنِكُم وَأَهْلِكُم؛
إنَّهُ يستولي على بيوتِنا بِمَكْرٍ، لِيَقْتَلِعَنا بالنِّفاقِ مِنَ الوَكْر؛
يُظْهِرُ الشِّبْعَ عابِدُ الحِيلَةِ هذا، واللهِ هُوَ أسوَأُ مِنْ جُمْلَةِ الحريصين؛
أكَلَ مِنَ الحِرْصِ الطِّينَ كالدِّبْس، يا أصْدِقاءُ لا تَضَعوا الأَلْيَةَ أمانَةً عِنْدَ الدُّبّ؛
يتباهى جُزافاً بالشَّاهِ وَيَدِ الشَّاهِ، لِيَحْرِفَنا نَحْنُ السَّليمينَ مِنَ العَيبِ عَنِ الدَّرب؛
مِنْ أيِّ جِنْسِ شاهٍ يكونُ هذا الطُّوَيْر، لا تَسْمَعوهُ إنْ كانَ لَكُمْ قليلٌ مِنَ العَقْل؛
أمِنْ جِنْسِ الشَّاهِ هُوَ أمْ مِنْ جِنْسِ الوَزير، الثُّومُ مَعَ اللَّوزِ لا يكونُ لائقاً أبَداً؛
كُلُّ ما يقولُ عَنْ مَكْرٍ وَفِعْلٍ وَفَنٍّ، أنِ السُّلطانُ والحَشَمُ يَبحثونَ عَنِّي؛
هذا جُنونُ فِصامٍ غَيْرُ مَقبول، هذا تَباهٍ وَشِباكٌ للحَمقى؛
كُلُّ مَنْ يُصَدِّقُ هذا أبْلَهٌ، أطائرٌ صَغيرٌ كهذا يليقُ بالشَّاه؛
ولَوْ ضَرَبَهُ أقَلُّ بومٍ على الرَّأس، أينَ يكونُ لَهُ العَونُ مِنَ الشَّاه؛
قالَ البازُ إنْ قَلَعْتُمْ ريشَةً مِنِّي، يَقْلَعْ مَلِكُ المُلوكِ مَوطِنَ البومِ مِنَ الأساس؛
البومُ ما تكونُ، ولو أنَّ بازاً، آذى قلبي وَصَنَعَ مَعي الجفاء؛
لَحَشَدَ الشَّاهُ لإنقاذي مِنَ الجُنْد، مِئاتِ ألوفِ الجُموعِ في كُلِّ وَهْدٍ وَنَجْد؛

عِناياتُهُ حارِسي وأينَما، أذْهَبُ يكونُ الشَّاهُ في أثَرِي؛
خيالي في قَلْبِ السُّلطانِ مُقيم، بلا خَيالي قَلْبُ السُّلطانِ سَقيم؛
عِنْدَما يُطَيِّرُني الشَّاهُ في الاِسْتِعْراض، أطيرُ على أوجِ قَلْبِهِ كالضِّياء؛
مِثْلَ قَمَرٍ وَشَمْسٍ أطير، حُجُبَ السَّماواتِ أخْتَرِق؛
ضياءُ العُقولِ مِنْ فِكْرَتي، انْفِطارُ السَّماءِ مِنْ فِطْرَتي؛
أنا البازُ حارَ بي طائرُ الهَما، مَنْ يكونُ البومُ لِيَعْرِفَ سِرَّنا؛
الشَّاهُ مِنْ أجْلي تَذَكَّرَ السِّجْنَ، فأطلَقَ مِئاتِ أُلُوْفِ المَسجونين؛
جَعَلَ مِنِّي لَحْظَةً قَريناً للبوم، جَعَلَ كُلَّ بومٍ مِنْ نَفَسي بازاً؛
أي مَسعودٌ البومُ الَّذي مِنْ طَيراني، فَهِمَ مِنْ حُسْنِ بَخْتِهِ سِرِّي؛
فَتَعَلَّقوا بي لِتَصيروا مُنَعَّمين، رَغْمَ أنَّكُمْ بومٌ تَصيرونَ صُقوراً مَلَكِيَّةً؛
ذاكَ الَّذي كانَ لِمِثْلِ ذلِكَ الشَّاهِ حَبيباً، حيثُما وَقَعَ كَيْفَ يكونُ غَريباً؛
كُلُّ مَنْ كانَ لَهُ مِنَ الشَّاهِ دواءٌ لِأَلَمِه، ولو كانَ يئنُّ كالنَّاي لا يكونُ عاجِزاً؛
مالِكُ مُلْكٍ ولَسْتُ بالحَقيرِ الفارِغِ، والشَّاهُ يَقْرَعُ طَبْلَ عَوْدَتي مِنْ كُلِّ جانِب؛
طَبْلُ رُجوعي نِداءُ ارْجِعي، الحَقُّ شاهِدٌ لي بِرَغْمِ المُدَّعي؛
أنا لَسْتُ بالمَلِكِ بَلْ أنا بَعيدٌ مِنْهُ، لكِنَّ عِنْدي مِنَ التَّجَلِّي نورٌ مِنْهُ؛
جِنْسيَّةٌ لَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ الشَّكْلِ والذَّات، الماءُ صارَ بِجِنْسِ التُّرابِ في النَّبات؛
الرِّيحُ جاءتْ بِجِنْسِ النَّارِ في القَوام، جِنْساً للطَّبْعِ صارت آخِراً المُدام؛
جِنْسيَّتُنا حَيْثُ لَمْ تَكُنْ جِنْسِيَّةَ شاهِنا، فَنِيَ وُجودُنا لأجْلِ وُجودِه؛
وَلَمَّا فَنِيَ وُجودُنا بَقِيَ فَرْداً، أمامَ حافِرِ جَوادِهِ صِرْتُ كالغُبار؛
صارَ التُّربُ روحاً وعلاماتُهُ، على تُرابِهِ آثارُ قَدَمِه؛
صِرْ تُرابَ قَدَمِهِ لأجْلِ هذِهِ الإشارَة، لِتَصيرَ تاجاً على رأسِ الأبطال؛
حتَّى لا يَخْدَعَكَ شَكلي، كُلْ نُقلي مِنْ قَبْلِ نَقْلي؛

فَكَمْ شَخْصاً قَطَعَتْ لَهُ الصُّورَةُ الطَّريق، قَصَدَ الصُّورَةَ وَجادَلَ في الله؛
أخيراً هذِهِ الرُّوحُ مُرْتَبِطَةٌ بالبَدَن، هَلْ هُناكَ تَشابُهٌ بينَ هذِهِ الرُّوحِ والجَسَد؛
جاءَ نورُ العَيْنِ قَريناً للشَّحْم، نُورُ القَلْبِ مُخْتَفٍ في قَطْرَةِ دَمٍّ؛
السُّرورُ في الكُلْيَةِ والغَمُّ في الكَبِد، والعَقْلُ كالشَّمْعِ داخِلَ دِماغِ الرَّأس؛
هذِهِ التَّعَلُّقاتُ لَيْسَتْ بلا كَيْفِيَّةٍ، العُقولُ في عِلْمِ الكَيْفِيَّةِ تافِهَة؛
الرُّوحُ الكُلِّيّ آذى الرُّوحَ الجُزْئيّ، أَخَذَ الرُّوحُ مِنْهُ دُرَّةً وَوَضَعَها في الجَيْب؛
مِثْلَما مَرْيَمُ العَزيزَةُ مِنْ أذى الجَيْب، صارَتْ حامِلاً بالمَسيحِ آسِرِ القُلوب؛
لَيْسَ ذاكَ المَسيحَ الَّذي على يابِسٍ وَرَطْبٍ، ذاكَ مَسيحٌ مِنَ المَساحَةِ أعلى؛
صارَتْ حامِلاً بالرُّوحِ مِنْ روحِ الرُّوحِ، ومِنْ تِلْكَ الرُّوحِ صارَ العالَمُ حامِلاً؛
ثُمَّ العالَمُ وَلَدَ عالَماً آخَرَ، هذا الحَشْرُ أظْهَرَ مَحْشَراً؛
إلى القيامَةِ لَو قُمْتُ بالقَولِ والعَدّ، عَنْ شَرْحِ هذِهِ القيامَةِ أنا قاصِرٌ؛
هذِهِ الكَلِماتُ هِيَ بِمَعْنى *يا رَبّ*، الحُروفُ شِباكُ نَفَسِ عَذْبِ الشِّفاه؛
كيفَ يُقَصِّرُ ثُمَّ كَيْفَ يستَسْلِمُ، ما دامَتْ تَصِلُ إلَيهِ *لَبَّيكَ* مِنْ *يا رَبّ*؛
لَبَّيْكَ الَّتي لا تَستَطيعُ أنْ تَسْمَعَ ، مِنَ الرَّأسِ إلى القَدَمِ تَستَطيعُ أنْ تَتَذَوَّق؛

إلقاءُ ظامِئٍ قِطَعَ الطِّينِ مِنْ على جِدارٍ في جَدْوَلِ ماء

على شَفَةِ الجَدْوَلِ كانَ جِدارٌ عالٍ، على رَأْسِ الجِدارِ ظامِئٌ مُتَأَلِّمٌ؛
مانِعُهُ مِنَ الماءِ كانَ ذاكَ الجِدارُ، في طَلَبِ الماءِ كانَ عاجِزاً كالسَّمَك؛
فَجْأَةً ألقى في الماءِ قِطْعَةً مِنَ الطِّين، فَجاءَ صَوتُ الماءِ في أُذُنِهِ كالخِطاب؛
مِثْلَ خِطابِ الحَبيبِ العَذْبِ اللَّذيذ، صَوتُ الماءِ ذاكَ أسْكَرَهُ كالنَّبيذ؛
مِنْ صفاءِ صَوتِ الماءِ ذاكَ المُمْتَحَن، يُلقي الآجُرَّ مِنْ هُناكَ وَيَقْتَلِعُ الآجُرَّ؛
والماءُ يُصْدِرُ الصَّوتَ كَأَنَّهُ يقولُ لَهُ، ما الفائدَةُ لَكَ مِنْ إلقاءِ هذا الآجُرَّ عَلَيَّ؛

قالَ الظَّامِئُ أي ماءُ لي فائدَتان، وأنا عَنْ هذِهِ الصَّنْعَةِ لَنْ أرْفَعَ اليَد؛
الفائدَةُ الأولى سَماعُ صَوتِ الماء، صَوتُ الماءِ للظَّامِئينَ مِثْلَ الرَّباب؛
صَوتُهُ كانَ كَأنَّهُ صَوتُ إسرافيل، مِنْهُ تَحويلٌ لِلحَياةِ للمَيّت؛
أو كَأنَّهُ صَوتُ الرَّعْدِ أيَّامَ الرَّبيع، يَجِدُ الرَّوضُ مِنْهُ الكثيرَ مِنَ النُّقوش؛
أو كما للدَّرويشِ أيَّامُ الزَّكاة، أو كما لِلمَحبوسِ رِسالَةُ النَّجاة؛
مِثْلَ نَفَسِ الرَّحْمانِ الَّذي كانَ مِنَ اليَمَن، يَصِلُ إلى عِنْدِ مُحَمَّدٍ مِنْ غَيْرِ فَم؛
أو كانَ مِثْلَ عَبيرِ أحْمَدَ المُرْسَلِ، الَّذي يَصِلُ في الشَّفاعَةِ للعاصي؛
أو مِثْلَ عَبيرِ يُوسُفَ الجَميلِ اللَّطيف، يَهُبُّ على رُوحِ يَعْقوبَ النَّحيف؛
فائدَةٌ أُخرى أنَّ كُلَّ آجُرَّةٍ أقْتَلِعُ، تُقَرِّبُني أكْثَرَ مِنَ الماءِ المَعين؛
مِنْ نُقْصانِ الآجُرِّ في الجِدارِ العالي، يَصيرُ أخْفَضَ مَعَ كُلِّ دُفْعَةٍ تُقْتَلَع؛
الجِدارُ المُنْخَفِضُ يصيرُ قريباً، الفَصْلُ في الجِدارِ دواءٌ لِلْوَصْل؛
جاءَ سُجوداً قَلْعُ الآجُرِّ اللَّزِب، مُوجِبَ قُربى أنْ *اسْجُدْ واقتَرِبْ*؛
طالَما هذا الجِدارُ عالي العُنُق، يَمْنَعُ هذا الرَّأْسَ مِنَ الإنْخِفاض؛
لَنْ أسْتَطيعَ السُّجودَ لِماءِ الحَياة، ما لَمْ أجِدْ مِنْ هذا البَدَنِ التُّرابيّ النَّجاة؛
كُلُّ مَنْ كانَ أظْمَأَ على رَأْسِ الجِدار، كانَ أسْرَعَ في اقتِلاعِ الآجُرِّ والمَدَر؛
كُلُّ مَنْ كانَ أكْثَرَ عِشْقاً لِصَوتِ الماء، اقْتَلَعَ قِطْعَةَ طِيْنٍ أضْخَمَ مِنَ الحِجاب؛
هُوَ مِنَ الماءِ مَملوءٌ للعُنُق، لا يَسْمَعُ الغَريبُ إلَّا صَوتَ البُلُق؛
أي سَعيدٌ ذاكَ الَّذي أيَّامَهُ الماضِيَةَ، اغْتَنَمَ وقامَ بِتَسديدِ قَرْضِ نَفْسِه؛
في تِلْكَ الأيَّامِ والقُدْرَةُ لَهُ، والصِّحَّةُ وَقُوَّةُ القَلْبِ والقُوَّة؛
وذاكَ الشَّبابُ مِثْلَ رَوْضٍ أخْضَرَ طَرِيٍّ، يُعطي بلا تَوَقُّفٍ الفاكِهَةَ والثِّمار؛
عُيونُ القُوَّةِ والشَّهْوَةِ جارِيَة، أرْضُ البَدَنِ مِنْها تَصيرُ خَضْراء؛
بَيْتٌ مَعْمورٌ وَسَقْفُهُ كَثيراً مَرفوع، مُعْتَدِلُ الأركانِ بلا تَخْليطٍ وَقَيْد؛

مِنْ قَبْلِ أنْ تأتِيَ أيَّامُ الهَرَم، تَرْبِطُ عُنُقَكَ بِحَبْلٍ مِنْ مَسَد؛
ويصيرُ أرْضاً سَبْخَةً واهِيَةً، مِنَ الأرْضِ السَّبْخَةِ لا يَنْبُتُ نباتٌ حَسَن؛
ماءُ القُوَّةِ كماءِ الشَّهْوَةِ مُنْقَطِع، لا مِنَ النَّفْسِ ولا مِنَ الآخَرينَ مُنْتَفِع؛
الحاجِبانِ سَقَطا كَحَبْلِ الذَنَب، العَيْنُ أصابَتْها الرُّطوبَةُ فَأَظْلَمَتْ؛
الوَجْهُ مِنَ التَّشَنُّجِ صارَ كَظَهْرِ الضَّبّ، تَوَقَّفَ عَمَلُ النُّطْقِ والطَّعْمِ والأسنان؛
تَأَخَّرَ النَّهارُ وجُثَّةٌ عَرْجاءُ ودَرْبٌ طَويلٌ، ومَعْمَلٌ خَرِبٌ والعَمَلُ فَقَدَ الاِتِّساق؛
جُذُورُ خِصالِ السُّوءِ صارَتْ مُحْكَمَةً، والقُوَّةُ على اقتِلاعِ تِلْكَ فُقِدَت؛

أمرُ الوالي لِذلِكَ الرَّجُلِ باقتِلاعِ شَجَرَةِ شَوكٍ زَرَعَها على قارِعَةِ الطَّريق

مِثْلَ ذاكَ الشَّخْصِ الخَشِنِ حُلْوِ الحديث، وَسَطَ الطَّريقِ غَرَسَ شَجَرَةَ شَوك؛
صارَ عابِرو الطَّريقِ يلومونَهُ، وَكَمْ قالوا لَهُ اقْلَعْ هذِهِ فَلَمْ يَفْعَلْ؛
كُلَّ لَحْظَةٍ شَجَرَةُ الشَّوكِ تِلْكَ تَكْبُرُ، أقدامُ الخَلْقِ مِنَ الجِراحِ مِنْها امتَلأَتْ دَماً؛
ثيابُ الخَلْقِ تَمَزَّقَتْ مِنَ الشَّوك، أقدامُ الدَّراويشِ مِنَ الألَمِ صارَتْ عاجِزَة؛
حينَ قالَ لَهُ الحاكِمُ بِجِدٍّ اقْلَعْ هذِهِ، قالَ نَعَمْ أفْعَلُ أمْهِلني يَوماً؛
ظَلَّ مُدَّةً يُعطي الوَعْدَ غَداً وَغَداً، وَصارَتْ شَجَرَةُ الشَّوكِ مُحْكَمَةَ الجُذُور؛
قالَ لَهُ الحاكِمُ يَوماً أيْ أعْوَجَ الوَعْد، تَقَدَّمْ إلى عَمَلِنا لا تُؤَخِّرْهُ كالمُقْعَد؛
قالَ الأيَّامُ يا عَمّ بينَنا　　قالَ عَجِّلْ لا تُماطِلْ دينَنا
أنتَ الَّذي تَقولُ غَداً اِعْلَمْ هذا، أنَّ كُلَّ يَومٍ يجيءُ يَمضي زمانٌ؛
تِلْكَ الشَّجَرَةُ تَصيرُ أكْثَرَ شَباباً، وهذا المُقْتَلِعُ يصيرُ أكْثَرَ هَرَماً واضْطِراراً؛
شَجَرَةُ الشَّوكِ تَقْوى وَتَعْلو، وقالِعُ الشَّوكِ في شَيْخوخَةٍ ونُقْصان؛
شَجَرَةُ الشَّوكِ كُلَّ يَومٍ أخْضَرُ وأنْضَرُ، وقالِعُ الشَّوكِ كُلَّ يومٍ أعْجَزُ وأيبَس؛

كُلُّ خَصْلَةِ سوءٍ مِنْكَ شَجَرَةُ شَوك، مَرَّاتٍ وَخَزَ قَدَمَكَ الشَّوكُ مِنْها؛
مَرَّاتٍ مِنْ طَبْعِ نَفْسِكَ أصابَكَ الأذى، لَمْ تَكُنْ تَملِكُ الحِسَّ لَمْ تُحِسَّ بالأذى؛
فإنَّ إيذاءَكَ الأشْخاصَ الآخَرين، كانَ مِنْ خُلقِكَ القبيحِ واصِلاً إلَيْهِمْ؛
ألَمْ تَكُنْ مَرَّةً غافِلاً عَنْ أذى نَفْسِكَ، أنتَ عَذابُ نَفْسِكَ وَكُلِّ غَريب؛
فَأمْسِكْ بالفَأْسِ واضْرِبْ بِرُجولَةٍ، تَأَسَّ بِعَلِيٍّ واقلَعْ بابَ خَيْبَرَ هَذا؛
أو صِلْ بِشَجَرَةِ الوَرْدِ هذا الشَّوك، أوصِلْ بالنَّارِ نورَ الحَبيب؛
حَتَّى يقومَ نُورُهُ بِإطْفاءِ نارِك، وَصْلُهُ يَجْعَلُ مِنْ شَوكِكَ شَجَرَةَ وَرْد؛
أنتَ مِثالُ جَهَنَّمَ وَهُوَ المُؤمِن، إطْفاءُ النَّارِ بالمُؤمِنِ مُمْكِن؛
المُصْطَفى قالَ مِنْ قَولِ الجَحيم، أنَّها صارَتْ مُتَضَرِّعَةً للمُؤمِنِ مِنَ الخَوف؛
تَقولُ اعْبُرْ سَريعاً مِنِّي أي مَلِك، فإنَّ نُورَكَ اخْتَطَفَ لهيبَ ناري؛
فَهَلاكُ النَّارِ نورُ المُؤمِن، دَفْعُ الضِّدِّ بِغَيْرِ الضِّدِّ لا يُمْكِن؛
النَّارُ ضِدُّ النُّورِ يَومَ العَدْل، تِلْكَ مُثارَةٌ مِنَ القَهْرِ وَهذا مِنَ الفَضْل؛
إذا كُنْتَ تُريدُ دَفْعَ شَرِّ النَّار، سَلِّطْ ماءَ الرَّحْمَةِ على قَلْبِ النَّار؛
عَيْنُ تِلْكَ الماءِ للرَّحْمَةِ المُؤمِن، ماءُ حياةِ الرُّوحِ الطَّاهِرِ المُحْسِن؛
كثيراً ما كانت نَفْسُكَ هارِبَةً مِنه، لأنَّكَ مِنَ النَّارِ وَهُوَ ماءُ الجَدْوَل؛
النَّارُ مِنَ الماءِ مِنْ ذلِكَ تَهْرُبُ، فنارُها مِنْهُ تَصيرُ خَراباً؛
الحِسُّ والفِكْرُ مِنْكَ جَميعاً مِنَ النَّار، حِسُّ الشَّيْخِ وَفِكْرُهُ نُورٌ جَميلٌ؛
ماءُ نُورِهِ إذا قَطَرَ على النَّار، صَوَّتَتِ النَّارُ يَخْرُجُ صَوتُها بِجُهْد؛
عِنْدَما تُصَوِّتُ النَّارُ قُلْ لها المَوتُ والألَم، كي تَصيرَ جَهَنَّمُ نَفْسِكَ بارِدَةً؛
حتَّى لا تُحْرِقَ رَوْضَةَ وَرْدِكَ، حتَّى لا تُحْرِقَ عَدْلَكَ وإحسانَك؛
بَعْدَ ذلِكَ ما زَرَعْتَ مِنْ شَيءٍ ينمو، مِنْ نَرْجِسٍ ونسرينٍ وَسَوسَنٍ؛
مُجَدَّداً نَسيرُ تائهينَ عَنِ الطَّريقِ المُستَقيم، عُدْ أيُّها السَّيِّدُ مِنْ أينَ طَرِيقُنا؛

لَقَدْ كُنَّا في ذلِكَ التَّقْريرِ أي حَسود، حِمارُكَ أَعْرَجٌ والمَنْزِلُ جِدُّ بَعيد؛
العامُ تَأَخَّرَ والوَقْتُ ليسَ وَقْتَ زَرْعٍ، ما هُناكَ غَيْرُ سوادِ وَجْهٍ وَفِعْلٍ قبيح؛
وَقَعَ الدُّودُ في جَذْرِ شَجَرَةِ الجَسَد، يَجِبُ قَلْعُها وإلقاؤها في النَّار؛
هَيَّا هَيَّا أي سالِكُ تَأَخَّرَ الوَقْتُ، شَمْسُ العُمْرِ اتَّجَهَتْ نَحْوَ الجُبِّ؛
هذانِ اليومانِ وَقُوَّتُكَ مَعَكَ أَسْرِعْ، اِنْفِضِ الهَرَمَ عَنْكَ عَنْ طَريقِ الجود؛
هذا القَدْرُ الباقي لَكَ مِنَ البُذُورِ ازْرَعْ، لِيَنموَ مِنْ هاتَينِ اللَّحْظَتَينِ عُمْرٌ طُويلٌ؛
ما دامَ لَمْ يَنْطَفِئْ هذا السِّراجُ ذو الجَوْهَرْ ، هَيَّا هَيِّئِ االفَتيلَةَ وَزِدِ الزَّيْتَ أَكْثَرْ ؛

آفَةُ تأخيرِ الخَيراتِ للغَد

ها لا تَقُلْ غَداً فَكَمْ مَرَّ مِنْ غَد، قَبْلَ أنْ تَمُرَّ كُلِّيَّاً كُلُّ أيَّامِ الزَّرْع؛
اِسْمَعْ نَصيحَتي فالبَدَنُ قَيْدٌ قَويٌّ، أَخْرِجِ القَديمَ إنْ كانَ بِكَ مَيْلٌ للجَديد؛
أَغْلِقِ الشِّفاهِ وافْتَحْ كَفَّاً مليئةً بالذَّهَب، واتْرُكْ بُخْلَ البَدَنِ وَقَدِّمِ السَّخاء؛
تَرْكُ الشَّهَواتِ واللَّذاتِ سَخاءٌ، كُلُّ مَنْ هوى في الشَّهْوَةِ لَمْ يَنْهَضْ؛
هذا السَّخاءُ غُصْنٌ مِنْ سَرْوِ الجَنَّة، الوَيْلُ لِمَنْ تَتْرُكُ كَفُّهُ مِثْلَ هذا الغُصْن؛
العُرْوَةُ الوُثْقى هِيَ تَرْكُ الهَوى، هذا الغُصْنُ يَسْحَبُ الرُّوحَ نَحْوَ السَّماء؛
حتَّى يَحْمِلَكَ غُصْنُ السَّخاءِ أيْ حَسَنَ المَذْهَب، عالياً يَجْذِبُكَ إلى أَصْلِ نَفْسِك؛
أنتَ يُوسُفُ حُسْنٍ وهذا العالَمُ الجُبّ، وهذا الرَّسَنُ صَبْرٌ على أَمْرِ الله؛
يُوسُفُ جاءَ الحَبْلُ فَأَمْسِكْ بِكِلتا يَدَيك، لا تَكُنْ غافِلاً عَنِ الحَبْلِ تأخَّرَ الوَقْت؛
الحَمْدُ للهِ أَنَّهُمْ أرسلوا هذا الحَبْلَ، الفَضْلَ والرَّحْمَةَ مَعاً مَزَجوا؛
كي ترى عالَمَ روحٍ جَديد، عالَماً شَديدَ الوُضوحِ كثيراً وَخَفيَّاً؛
هذا العالَمُ عَدَمٌ مِثْلَ مَوجوداتِهِ، وذاكَ العالَمُ وجودٌ مُخْتَفٍ كثيراً؛
أَثارَتِ الرِّيحُ الغُبارَ وأنتَ تَلْعَبُ، تُظْهِرُ الاِعوِجاجَ مِنْ وراءِ السِّتار؛

وهذا الَّذي في العَمَلِ عاطِلٌ وَقِشْرٌ، وذاكَ المُخْتَفي لَهُ لُبٌّ وَأَصْل؛
التُّرابُ مِثْلَ آلَةٍ في يَدِ الرِّيح، اِعْرِفِ الرّيحَ عالِيَةً وعالِيَةَ الأَصْل؛
عَيْنُ التُّرابِ وَقَعَ نَظَرُها على التُّراب، العَينُ ناظِرَةُ الرّيحِ مِنْ نَوعٍ آخَر؛
الجَوادُ يَعْرِفُ جَواداً كانَ لَهُ رَفيقاً، الفارِسُ كذلِكَ يَعْرِفُ أحوالَ الفارِس؛
الجَوادُ عَيْنُ الحِسِّ والفارِسُ نورُ الحَقّ، مِنَ الجوادِ بلا فارِسٍ لا يَجيءُ عَمَل؛
فَأَدِّبِ الجَوادَ مِنْ رَديءِ الطَّبْع، أو يُرَدَّ الجَوادُ مِنْ أمامِ الشّاه؛
عَيْنُ الجَوادِ لَها قائدٌ مِنْ عَيْنِ الشّاه، عَيْنُهُ بلا عَينِ الشّاهِ عَيْنُ اضْطِرار؛
عُيونُ الجِيادِ لَيْسَتْ لِغَيْرَ عُشْبٍ ومَرْعى، حيثُما تَدْعُوها تَقولُ لا لِماذا؛
نُورُ الحَقِّ على نورِ الحِسِّ راكِبٌ، الرُّوحُ آنَذاكَ بالسَّيْرِ لِلْحَقِّ راغِبٌ؛
ما عِلْمُ الجَوادِ بلا راكِبٍ بِرَسْمِ الطَّريق، يَجِبُ شاهٌ كي يَعْرِفَ طَريقَ الشّاه؛
فامْضِ إلى حِسٍّ يكونُ راكِبُهُ النُّور، ذلِكَ النُّورُ لِلْحِسِّ صاحِبٌ حَسَن؛
نُورُ الحِسِّ لَهُ مِنْ نورِ الحَقِّ تَزيين، معنى *نُورٌ على نُورٍ* كانَ هذا؛
النُّورُ الحِسِّيُّ جاذِبٌ نَحْوَ الثَّرى، نُورُ الحَقِّ جاذِبُهُ نَحْوَ العُلى؛
المَحسوساتُ إِذَنْ هِيَ العالَمُ الأَدْنى، نُورُ الحَقِّ بَحْرٌ والحِسُّ مِثْلَ قَطْرِ النَّدى؛
لكِنَّ ذلِكَ الرَّاكِبَ عَلَيْهِ غَيْرُ ظاهِرٍ، إلَّا بالآثارِ والقَولِ الجَميل؛
النُّورُ الحِسِّيُّ الَّذي هُوَ غَليظٌ وثَقيلٌ، هُوَ مَخْفِيٌّ في سَوادِ العُيون؛
إذا كُنْتَ لا تَرى النُّورَ الحِسِّيَّ بالعَيْن، فكَيْفَ تَرى نُورَ ذلِكَ الدِّينِ بالعَيْن؛
نُورُ الحِسِّ بِهذِهِ الغَلَظَةِ خَفِيّ، كَيْفَ لا يَختفي الضِّياءُ وَهُوَ صَفِيّ؛
هذِهِ الدُّنيا كَقَشَّةٍ في يَدِ الغَيْب، عاجِزَةٍ أمامَ أَخْذِ وَعَطاءِ الغَيْب؛
تارَةً يَعلو بِها وتارَةً يَخْفِضُها، تارَةً يُصْلِحُها وتارَةً يَكْسِرُها؛
تارَةً يَحْمِلُها لليَمينِ وتارَةً للشِّمال، تارَةً يَجْعَلُها رَوضاً وتارَةً شَوكاً؛
أُنْظُرِ القَلَمَ يَكْتُبُ واليَدُ خَفِيَّةٌ، الجَوادُ في جَوَلانٍ والفارِسُ مُخْتَفٍ؛

أُنْظُرِ السِّهامَ طائرَةً والقَوْسُ خافِيَة، الأرواحُ ظاهِرَةٌ وَروحُ الأرواحِ خافِيَة؛

لا تَكْسِرِ السَّهْمَ فَهُوَ سَهْمُ الشَّاه، إنَّهُ سَهْمٌ فَتَلَتْهُ إبهامُ خَبير؛

ما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ قالَ الحَقّ، عَمَلُ الحَقِ على الأعْمالِ ذو سَبْق؛

اكْسِرْ غَضَبَ النَّفْسِ لا تَكْسِرِ السَّهْم، عَيْنُ غَضَبِكَ عَدَّتِ اللَّبَنَ دَماً؛

اِطْبَعْ قُبْلَةً على السَّهْمِ واحْمِلْهُ للشَّاه، سَهْماً مَصْبوغاً بالدَّمِ الطَّرِيِّ مِنْ دَمِك؛

كُلُّ ما هُوَ ظاهِرٌ عاجِزٌ ومُقَيَّدٌ وَخَسيسٌ، وذلِكَ غَيْرُ الظَّاهِرِ سريعٌ وحَرونٌ؛

نَحْنُ صَيْدُ الشِّباكِ لِمَنْ هذِهِ الشِّباك، نَحْنُ كُرَةٌ للصَّولَجانِ أيْنَ ذو الصَّولَجان؛

إنَّهُ يخيطُ ويُمَزِّقُ أينَ هُوَ الخَيَّاط، إنَّهُ يَنْفِخُ على النَّارِ وَيُشْعِلُ أيْنَ هُوَ النَّفَّاط؛

ساعَةً يَجْعَلُ كافِراً الصِّدِّيق، ساعَةً يَجْعَلُ زاهِداً الزِّنْديق؛

ذلِكَ لأنَّ المُخْلِصَ في خَطَرٍ مِنَ الفَخّ، حَتَّى يَصيرَ خالِصاً تَماماً مِنَ النَّفْس؛

إنَّهُ في الطَّريقِ وَقُطَّاعُ الطَّريقِ بلا حَدّ، ذاكَ نَجا لأنَّهُ في أمانِ الله؛

هُوَ مِرْآةٌ خالِصَةٌ وَلَمْ يَصِرْ مُخْلِصاً، هُوَ لَمْ يَصِدِ الطَّيْرَ بَعْدُ هُوَ في قَنْصِه؛

إذا صارَ المُخْلِصُ مُخْلَصاً فَقَدْ نَجا، وَذَهَبَ إلى مَقامِ الأمْنِ وَحازَ السَّبْق؛

أيَّةُ مِرآةٍ بَعْدَ ذاكَ لَمْ تَصِرْ حديداً، أيُّ خُبْزٍ بَعْدَ ذاكَ لَمْ يَصِرْ قَمْحَ بَيْدَرٍ؛

أيُّ عِنَبٍ ناضِجٍ لَمْ يَرْجِعْ حِصْرَماً، أيَّةُ فاكِهَةٍ ناضِجَةٍ لَمْ تَعُدْ باكُورَةً؛

فَصِرْ ناضِجاً وَصِرْ بَعيداً عَنِ التَّغَيُّر، واذْهَبْ وَصِرْ نوراً كَبُرْهانِ المُحَقِّق؛

إذا تَحَرَّرْتَ مِنَ النَّفْسِ صِرْتَ بُرْهاناً، إذا صارَ العَبْدُ عَدَماً صارَ سُلْطاناً؛

وإنْ أرَدْتَ العِيانَ فصلاحُ الدِّينِ أبداه، جَعَلَ العُيونَ مُبْصِرَةً وَمَفْتوحَةً؛

رَأَتِ الفَقْرَ مِنْ عَيْنِهِ وَسَيمائِهِ، كُلُّ عَينٍ لها نُورٌ مِنْ ***هو***؛

الشَّيْخُ الفَعَّالُ بلا آلَةٍ كالحَق، عطاؤهُ لِلْمُريدينَ بلا قَوْلٍ لَهُ سَبْق؛

القَلْبُ في يَدِهِ مِثْلَ الشَّمْعِ الطَّرِيّ، خَتْمُهُ يَخْتِمُ حيناً بالإذلالِ وحِيناً بالإعزاز؛

مَحَبَّةُ شَمْعِهِ حاكِيَةُ الخاتَم، ثُمَّ ذلِكَ النَّقْشُ على جَوهَرَتِهِ حاكٍ مَنْ؛

إنَّهُ حاكٍ لِفِكْرِ ذلِكَ الصَّائغ، سلسلةٌ كُلُّ حَلْقَةٍ في حَلْقَةٍ أُخرى؛
هذا الصَّوتُ في جَبَلِ القَلْبِ صَوتُ مَنْ، الجَبَلُ حيناً مِنهُ مَملوءٌ وَحيناً فارِغٌ؛
حيثُما كانَ مِنْ مكانٍ فَحليمٌ وأُستاذٌ، لا كانَ جَبَلُ القَلْبِ خالِياً مِنْ صَوتِهِ أبَداً؛
هُناكَ جَبَلٌ يَجْعَلُ الصَّوتَ مُثَنّى، وهُناكَ جَبَلٌ يُضاعِفُ الصَّوتَ حتَّى المِئة؛
تَنْفَجِرُ مِنَ الجَبَلِ مِنْ ذلِكَ الصَّوتِ والقال، مِئاتُ آلافِ عُيونِ الماءِ الزُّلال؛
عِنْدَما يَخْرُجُ ذاكَ اللُّطْفُ مِنَ الجَبَلِ خارِجاً، المِياهُ في العُيونِ تَصيرُ دَماً؛
ذلِكَ الشَّاهُ مِنْ نَعْلِهِ المُبارَكْ طُورُ سَيناءَ صارَ كُلُّهُ ياقوتا
أجزاءُ الجَبَلِ قَبِلَتِ الرُّوحَ والعَقْلَ، كم نَظَلُّ أقَلَّ مِنَ الصَّخْرِ آخِراً أي قَوم؛
لا عَيْنَ واحِدَةً تَجيشُ مِنَ الرُّوحِ، ولا البَدَنُ يصيرُ مُغَطَّىً بالخُضْرَة؛
لا صَدى نِداءِ مُشتاقٍ فيه، لا صَفاءَ جُرْعَةِ مُشتاقٍ فيه؛
أيْنَ الحَمِيَّةُ كَيْ بالفَأسِ والمِعْوَل، نَقْتَلِعَ مِثْلَ هذا الجَبَلِ بالكُلِّيَّة؛
عَسى يُشِعُّ على بَعْضِ أجْزائِهِ قَمَرٌ، وعسى أنْ يَجِدَ نورُ القَمَرِ طَريقاً إلَيْهِ؛
مِثْلَما القِيامَةُ تَقْتَلِعُ الجِبال، بَعْدَ القِيامَةِ مَنْ يَفْعَلُ هذا الكَرَم؛
هذِهِ القِيامَةُ لَيْسَتْ أقَلّ مِنْ تِلْكَ القِيامَةِ، تِلْكَ القِيامَةُ جُرْحٌ وَهَذِهِ كالمَرْهَم؛
كُلُّ مَنْ رأى هذا المَرْهَمَ مِنَ الجُرْحِ آمِنٌ، كُلُّ مَنْ رأى ذا الحُسْنَ هُوَ مُحْسِن؛
سَعِدَ القَبيحُ الَّذي لَهُ مِنْ جَميلٍ حَريف، والوَيْلُ لِوَرْدِيّ وَجْهٍ قَرينُهُ الخَريف؛
الخُبْزُ المَيّتُ حينَ صارَ حَريفَ الرُّوح، صارَ حَيَّاً وَصارَ عَيْنَ تِلْكَ الرُّوح؛
الحَطَبُ الأسْوَدُ حينَ حارَفَ ناراً، ذَهَبَ السَّوادُ وَصارَ كُلُّهُ أنواراً؛
عِنْدَما وَقَعَ الحِمارُ المَيّتُ في المُسْتَنْقَعِ المالِح، ألقى بِحِماريَّتِهِ وَمَوْتِهِ جانِباً؛
صِبْغَةُ اللهِ هِيَ دَنُّ لَونِ ***هُوَ***، الألوانُ المُخْتَلِفَةُ تَصيرُ فيهِ لَوناً واحِداً؛
حِينَ سَقَطَ في ذلِكَ الدَّنِّ وَقُلْتَ لَهُ *قُمْ*، قالَ مِنْ طَرَبٍ أنا الدَّنُّ *لا تَلُمْ*؛
تِلْكَ *أنا الدَّنُّ* نَفْسُ قَولِ *أنا الحَقّ*، إنَّهُ بِلَونِ النَّارِ لكِنَّهُ حَديد؛

حِيْنَ صارَ أحْمَرَ مِثْلَ ذَهَبِ المَنْجَم، قالَ دَعْواهُ أنا النَّارُ بلا لِسان؛
صارَ بَلَونِ وَطَبْعِ النَّارِ مُتَّسِماً، فقالَ أنا النَّارُ أنا النَّار؛
مِنْ قَولي *أنا النَّارُ* إنْ كُنْتَ في شَكٍّ وَظَنٍّ، قُمْ بالاِخْتِبارِ ضَعْ عَلَيَّ يَدَك؛
أنا النَّارُ مِنِّي إنْ تَكُنْ بِها مُشْتَبِهاً، ضَعْ خَدَّكَ على خَدِّي لَحْظَةً واحِدَةً؛
الآدَمِيُّ حِينَ يَأْخُذُ النُّورَ مِنَ الله، يكونُ مَسْجودَ الملائكَةِ مِنَ الاِجْتِباء؛
وكذلِكَ مَسجودَ شَخْصٍ صارَ كالمَلَك، روحُهُ تَحَرَّرَتْ مِنَ الطُّغيانِ والشَّكّ؛
أيَّةُ نارٍ أيُّ حَديدٍ أغْلِقِ الشَّفَة، لا تَضْحَكْ على لِحْيَةِ تَشبيهِ المُشَبِّه؛
لا تَخْطُ في البَحْرِ وأقِلَّ الكلامَ، كُنْ صامِتاً على شاطِئِ البَحْرِ وَعَضَّ الشَّفَة؛
رَغْمَ أنَّ مِئةً مِثلي لا طاقَةَ لَهُمْ بالبَحْر، لكِنَّني لا أصْبِرُ عَنْ لُجَّةِ البَحْر؛
فِداءً لِلْبَحْر مِنِّي الرُّوحُ والعَقْلُ، بَحْرُ العَدْل ثَمَنٌ للرُّوحِ والعَقْل؛
سأقودُ في البَحْرِ ما مَضَتْ فِيهِ قَدَمي، وحينَ لا تَبْقى قَدَمي أروحُ فيهِ كالبَطِّ؛
الحاضِرُ بلا أدَبٍ خَيْرٌ مِنَ الغائب، الحَلْقَةُ وإنْ تَكُ مُعْوَجَّةً ألَيْسَتْ على الباب؛
أيْ مُلَوَّثَ البَدَنِ دُرْ حَوْلَ الحَوض، متى صارَ طاهِراً الرَّجُلُ خارِجَ الحَوْض؛
الطَّاهِرُ الَّذي جَعَلَ الحَوْضَ مَهْجوراً، هُوَ عَنْ طَهارَةِ نَفْسِهِ صارَ أيضاً بَعيداً؛
طَهارَةُ هذا الحَوْضِ كانَتْ بلا نِهايَةٍ، طَهارَةُ الأجْسامِ كانَتْ قَليلَةً في الميزان؛
ذلِكَ لأنَّ القَلْبَ حَوْضٌ لكِنْ في الكَمين، وهذا لَهُ إلى جِهَةِ البَحْرِ طَريقٌ خَفيٌّ؛
طَهارَتُكَ المَحْدودَةُ تَطْلُبُ الْمَدَد، أو يصيرَ بالإنفاقِ قليلاً العَدَد؛
الماءُ قالَ لِلْمُلَوَّثِ أسْرِعْ إلَيَّ، قالَ المُلَوَّثُ أخْجَلُ مِنَ الماء؛
قالَ الماءُ مِنْ دوني متى يَذْهَبُ الخَجَل، مِنْ دُوني مَتى يزولُ هذا الدَّرَنُ؛
كُلُّ نَجِسٍ صارَ مُخْتَفِياً عنِ الماءِ، كانَ مِصْداقَ *الحَياءُ يَمْنَعُ الإيمان*؛
القَلْبُ تَلَوَّثَ بالطِّينِ مِنْ حَوْضِ البَدَن، البَدَنُ مِنْ ماءِ حَوْضِ القُلوبِ طَهُر؛
حَولَ حافَّةِ حَوْضِ القَلْبِ حُمْ أي وَلَد، مِنْ حافَّةِ حَوْضِ البَدَنِ كُنْ على حَذَر؛

بَحْرُ البَدَنِ وبَحْرُ القَلْبِ يَلْتَقيان، بينَهُما بَرْزَخٌ لا يبغيان؛
وسواءً أكُنْتَ مُسْتَقيماً أمْ كُنْتَ مُعْوَجّاً، اِزْحَفْ للأمامِ أكْثَرَ ولا تَزْحَفْ للخَلْف؛
التَّقَدُّمُ للملوكِ إنْ كانَ خَطَراً على الرُّوح، أولو الهِمَمِ لا يَصْبِرونَ عَنْه؛
المَلِكُ لَمَّا كانَ أشَدَّ عُذُوبَةً مِنَ السُّكَّر، ذهابُ الرُّوحِ للعَذْبِ كانَ أجْمَل؛
أيُّها اللّائمُ كانَتْ لَكَ السَّلامَة، أي طالِبَ السَّلامَةِ أنتَ واهي العُرى؛
روحي مَوْقِدٌ للنَّارِ وسَعيدٌ بالنَّار، المَوْقِدُ يكفيهِ أنْ يكونَ بَيْتاً للنَّار؛
العِشْقُ مِثْلَ المَوْقِدِ لَهُ اشتِعالٌ، كُلُّ مَنْ كانَ في عَمىً عَنْهُ ما لَهُ بِهِ نَصيب؛
حينَ أورَقْتَ بلا وَرَقٍ وعِشْتَ بلا زاد، وَجَدْتَ الرُّوحَ الباقِيَةَ وانتهى المَوت؛
حينَ أخَذَ بِكَ غَمٌّ يزيدُ في السَّعادَة، امتَلأتْ رَوضَةُ رُوحِكَ بالوَرْدِ والسَّوسَن؛
وذاكَ الَّذي يخافُهُ الآخَرونَ لَكَ أمْنٌ، البَطُّ قَوِيٌّ مِنَ البَحْرِ وطَائرُ البَيْتِ واهِنٌ؛
عُدْتُ وَصِرْتُ مَجْنوناً أيْ طَبيب، عُدْتُ مُصاباً بالسَّوداءِ أي حَبيب؛
حَلَقاتُ شَعْرِكَ يا حبيبي ذواتُ فُنون، كُلُّ حَلْقَةٍ تُعطي نَوعاً آخَرَ مِنَ الجُنون؛
عَطاءُ كُلِّ حَلْقَةٍ فَنٌّ آخَرٌ، أنا كُلَّ لَحْظَةٍ لي جُنونٌ آخَر؛
فالجُنونُ فُنونٌ كما في المَثَل، خاصَّةً في زَنجيرِ الأميرِ الأجَلّ؛
مِثْلُ ذاكَ المَجْنونِ يَكْسِرُ القَيْد ، وجميعُ المَجانين قاموا بِنُصْحي؛

مجيء الرِّفاق إلى المُسْتَشْفى لِعِيادة ذي النُّون المِصري

مِثْلُ هذا حَدَثَ لِذي النُّونِ المَصْرِي، تَوَلَّدَ فيهِ جَديدُ اضطِرابٍ وَجُنون؛
صارَ هائجاً حَتَّى وَصَلَ مِنْهُ، إلى ما فَوقَ الفَلَكِ مِلْحٌ للأكباد؛
انْتَبِهْ لا تَضَعْ مِلْحَكَ أيْ تُراباً مالِحاً، في جِوارِ مِلْحِ أهْلِ اللهِ الطَّاهِرين؛
لَمْ تَعُدْ لِلْخَلْقِ طاقَةٌ بِجُنونِهِ، كانَتِ النَّارُ مِنْهُ تَخْطِفُ لِحاهُم؛
عِنْدَما أخَذَتِ النَّارُ في لِحى العَوامّ، قَيَّدوهُ وَوَضَعوهُ في سِجْن؛

ليسَ هُناكَ إمكانٌ لِشَدِّ هذا اللِّجام، رَغْمَ أنَّ العَوامَ ضَيَّقوا عَلَيْهِ الطَّريقِ؛
رَأى المُلوكُ خَوْفَ الرُّوح مِنَ العَوام، هؤلاءِ القَوْمُ عُمْيٌ والمُلوكُ بلا خَبَر؛
عِنْدَما يكونُ الحُكْمُ بِأيدي المُحتالين، لا جَرَمَ يكونُ في السِّجْنِ ذو النُّون؛
المَلِكُ العَظيمُ يَمضي فارِساً وَحيداً، كالدُّرِّ اليَتيمِ في كَفِّ الأطْفالِ؛
أيُّ دُرٍّ إنَّهُ البَحْرُ اختَفى في القَطْرَة، إنَّهُ الشَّمْسُ الَّتي تَخْتَفي في الذَّرَّة؛
إنَّهُ الشَّمْسُ تُظْهِرُ النَّفْسَ في ذَرَّةٍ، وقليلاً قليلاً تَكْشِفُ الوَجْه؛
مُجْمَلُ الذَّرَّاتِ فيهِ امَّحَى، العالَمُ مِنْهُ صارَ سَكْرانَ وَصَحا؛
القَلَمُ عِنْدما كانَ في يَدِ غَدَّار، لا رَيْبَ مَنصورُ كانَ على المَشْنَقَة؛
حينَ صارَ للسُّفَهاءِ أمْرٌ وشَأْنٌ، صارَ لازِماً *يقْتُلونَ الأنبياء*؛
قالَ ضُلَّالُ القَوم للأنبياء، مِنَ السَّفَهِ *إنَّا تَطَيَّرْنا بِكُم*؛
أُنْظُرْ جَهْلَ نَصْرانِيٍّ طَلَبَ الأمانَ، مِنْ ذلِكَ السَّيِّدِ الَّذي صارَ مَصْلوباً؛
مادامَ مَصْلوبَ اليَهُود على قَولِهِ، متى يَقْدِرُ أنْ يجْلِبَ لَهُ الأمان؛
ما دامَ قَلْبُ ذاكَ المَلِكِ صارَ مِنْهُمْ دَماً، كيفَ تَبْقى لَهُم عِصْمَةٌ *وَأَنْتَ فيهِم*؛
الخَطَرُ على الذَّهَبِ الخالِصِ والصَّائغِ، مِنَ المُزَيِّفِ الخائنِ يكونُ أكثَر؛
اليوسُفِيّونَ مِنْ حَسَدِ القبيحينَ مُخْتَفون، الجَميلونَ مِنَ العَدُوِّ في النَّارِ يحيَون؛
ماذا جرى على يُوسُفَ المَصْرِيِّ مِنْ حَسَد،هذا الحَسَدُ في الكَمينِ ذِئبٌ جَسيم؛
لا جَرَمَ كانَ دَوماً لِيَعْقوبُ الحَليم، على يوسُفَ مِنْ هذا الذِّئبِ خوفٌ عَظيم؛
الذِّئبُ الظَّاهِرُ لَمْ يَدُر حَولَ يُوسُف، هذا الحَسَدُ تَجاوَزَ في الفِعْلِ الذِّئاب؛
هذا الذِّئبُ طَعَنَ وبالعُذْرِ اللَّبِق، أقبَل أنْ *إنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِق؛*
مِئةُ أَلْفِ ذِئبٍ ليسوا بِهذا المَكْر، في العاقِبَةِ يَفْتَضِحُ هذا الذِّئبُ؛
لأنَّ حَشْرَ الحاسِدينَ يَومَ الجَزاء، لا رَيبَ يكونُ على صُورَةِ الذِّئاب؛
حَشْرُ شَديدِ الحِرْصِ النَّذْلِ آكِلِ الجِيَف، يَومَ الحِسابِ على صُورَةِ الخنزير؛

والزُّناةُ يكونونَ بِفُروجٍ مَنْتِنَة، وشارِبو الخَمْرِ بِأفواهٍ مَنْتِنَة؛
النَّتَنُ الخَفِيُّ الَّذي كانَ واصِلاً للقُلوب، صارَ في الحَشْرِ مَحسوساً وظاهِراً؛
وجودُ الآدَميّ جاءَ غابَةً، كُنْ على حَذَرٍ مِنْ هذا الوُجودِ إنْ كُنْتَ بذاكَ النَّفَس؛
في وُجودِنا آلافُ الذِئابِ والخَنازير، الصَّالِحُ والطَّالِحُ والطَّيِّبُ وابنُ الزِنا؛
الحُكْمُ لِذاكَ الَّذي يكونُ غالِباً، ذاكَ الَّذي زادَ فيهِ الذَّهَبُ على النُّحاسِ ذَهَبٌ؛
الخُلُقُ الَّذي هُوَ على وُجودِكَ غالِبٌ، حَشْرُكَ على الصُّورَةِ مِنْهُ أيضاً واجِبٌ؛
ساعَةً يَدْخُلُ ذِئبٌ في البَشَر ساعَةً يُوسُفُ وَجْهٍ كالقَمَر
يَنْتَقِلُ مِنَ الصُّدورِ للصُّدور، مِنْ طريقٍ خَفِيّ الصَّلاحُ والشُّرور؛
بَلْ يَنْتَقِلُ إلى البَقَرَةِ والحِمارِ، مِنَ الآدَمِيّ العِلْمُ والفَنُّ والمَعْرِفَةُ؛
الفَرَسُ العَصِيُّ يصيرُ هادِئاً حَسَنَ السَّيْر، الدُّبُّ يَقومُ باللَّعِبِ والتَّيْسُ بالسَّلام؛
ذَهَبَ في الكَلْبِ مِنَ الآدَمِيّينَ هَوَس، صارَ الرَّاعِيَ أو الصَّائِدَ أو الحَرَس؛
مِنْ أصْحابِ الكَهْفِ انتَقَلَ الخَيْرُ، إلى الكَلْبِ حَتَّى صارَ باحِثاً عَنِ الله؛
كُلَّ آنٍ في الصَّدْرِ يَرْفَعُ الرَّأسَ نَوعٌ، حيناً شَيطانٌ، حيناً مَلَكٌ، حيناً فَخٌّ وسَبُعٌ؛
مِنْ تِلْكَ الغابَةِ العَجيبَةِ الأسَدُ الواعي، لهُ طريقٌ خَفِيَّةٌ إلى شِباكِ الصُّدور؛
اِسْرِقْ مِنَ الباطِنِ مَرْجانَ الرُّوحِ، أي أقَلَّ مِنْ كَلْبٍ بَيْنَ العارِفين؛
إذا سَرَقْتَ فاسْرِقْ ذلِكَ الدُّرَّ اللَّطيف ، إذا حَمَلْتَ فاحْمِلْ ذلِكَ الحِمْلَ الشَّريف؛

فَهْمُ المُريدينَ أنَّ ذا النُّون لَمْ يَكُنْ قَدْ جُنَّ وَفَعَلَ ذلِكَ قاصِداً

الأَصْدِقاءُ في قِصَّةِ ذي النُّونِ صاروا، جِهَةَ السِّجْنِ وتشاوروا في الرَّأي؛
أنْ لَعَلَّهُ فَعَلَ عَنْ قَصْدٍ أو حِكْمَة، فَهُوَ في هذا الدِّينِ قِبْلَةٌ وآيَة؛
بَعيدٌ بَعيدٌ عَنْ عَقْلِهِ كالبَحْر، أنْ يكونَ الجُنونُ سَفَهاً مِنْ أمْرِه؛
حاشَ للهِ مِنْ كمالِ جاهِهِ، أنْ يُغَطِّيَ غَيْمُ الجُنونِ قَمَرَه؛

هُوَ دَخَلَ البَيْت مِنْ شَرِّ العامَّةِ، هُوَ مِنْ عارِ العُقلاءِ جُنَّ؛
هُوَ مِنْ عارِ العَقْلِ عَبَدَ الجَسَد، ذَهَبَ قاصِداً وَصارَ مَجْنوناً؛
أنْ قَيِّدوني قَوِيَّاً وبِجُزْءِ بَقَرَةٍ، اضْرِبوني على الرَّأسِ والظَّهْرِ بلا تَرَدُّد؛
كَيْ أجِدَ مِنْ ضَرْبَةِ الجُزْءِ الحَياة، كالقَتيلِ مِنْ بَقَرَةِ موسى أيْ ثِقاة؛
كَيْ تَحْسُنَ حالي مِنْ ضَرْبَةِ الجُزْءِ، وأصيرَ لَطيفاً كقَتيلِ بَقَرَةِ موسى؛
القَتيلُ صارَ مِنْ ضَرْبَةِ ذَنَبِ البَقَرةِ حَيَّاً، كما صارَ النُّحاسُ مِنَ الكيمياءِ ذَهَباً؛
ونَهَضَ القَتيلُ وَقالَ أسرارَهُ، وأظْهَرَ تِلْكَ الزُّمْرَةِ سافِكَةَ الدَّمّ؛
قالَ في جَلاً هذِهِ الجَماعَةُ قَتَلَتْني، عِندما أصابَها الأذى مِنْ خصومَتي؛
حينَ صارَ الجِسْمُ الثَّقيلُ قَتيلاً، صارَ وُجودُ عالَمِ الأسرار حَيَّاً؛
أبْصَرَتْ روحُهُ الجَنَّةَ والنَّار، عَلِمَتْ مِنْ جَديدٍ جُمْلَةَ الأسرار؛
أظْهَرَتِ الشَّياطينَ الدَّمَوِيَّةَ، أظْهَرَتْ شِباكَ الخِداعِ والرِّياء؛
قَتْلُ البَقَرَةِ مِنْ شَرْطِ الطَّريق، مِنْ ضَرْبَةٍ مِنْ ذَنَبِها الرُّوحُ تَستفيق؛
بَقَرَةَ النَّفْسِ مِنْكَ اقْتُلْ سَريعاً، لِتَصيرَ رُوحُكَ الخَفِيَّةُ حَيَّةً وأفِقْ؛

رُجوعٌ إلى حِكايَةِ ذي النّون

حينَ وَصَلَ أولئكَ النَّفَرُ إلى قُرْبِهِ، صَرَخَ بِهِمْ مَنْ تكونونَ *اتَّقوا*؛
قالوا في أَدَبٍ نَحْنُ مِنَ الأصْدِقاء، جِئنا لِعِيادَتِكَ ها هُنا بِأرواحِنا؛
كَيْفَ أنْتَ أي بَحْرَ العَقْلِ ذا الفُنونْ، ما هذا البُهتانُ أنْ على عَقْلِكَ جُنونْ؛
دُخانُ المَوقِدِ متى وَصَلَ ذُكاءْ، كيفَ هُزِمَتْ مِنَ الغُرابِ العَنْقاءْ؛
أبِنْ هذا الحَديثَ لنا، لا تَحْتَجِبْ عنَّا، نَحْنُ مِنَ المُحْبِّينَ لا تَفْعَلْ هذا مَعَنا؛
إنَّهُ لا يَجوزُ إبعادُ المُحِبِّين، أو جَعْلُهُمْ بالتَّخَفِّي والدَّغَلِ مَغرورين؛
آتِ بالسِّرِّ بيننا أيُّها الشَّاه، لا تُخْفِ الوَجْهَ بالغُيومِ أيُّها القَمَر؛

نَحْنُ مُحِبُّونَ وصادِقونَ وقَلْبُنا يُعاني، وَقَدْ رَبَطْنا قَلْبَنا بِكَ في العالَمين؛
فَشَرَعَ في الفُحْشِ والسَّبِّ جُزافاً، بِحَديثِ المَجانينِ زِيَّاً وَشَكْلاً؛
انتَفَضَ يَرْجُمُهُمْ بالخَشَبِ والحِجارَةِ، فَفَرُّوا جَميعاً خَشْيَةَ الإصابَة؛
فَقَهْقَهَ ضاحِكاً وَهَزَّ رأسَهُ، وقالَ انْظُرْ إلى رِيحِ لِحى هؤلاءِ الأصْدِقاء؛
أُنْظُرْ إلى الأصْدِقاءِ، أينَ شارَةُ الأصْدِقاء، الأصْدِقاءُ الألَمُ عِنْدَهُم مِثْلَ الرُّوح؛
متى وَجَدَ الصَّديقُ أَلَمَ الصَّديقِ ثقيلاً، الألَمُ اللُّبُّ والصَّداقَةُ لِذاكَ كالقِشْر؛
أَلَمْ تَكُنْ شارَةُ الصَّداقَةِ السَّعادَةَ، في البلاءِ والآفَةِ واحْتِمالَ المِحْنَة؛
الصَّديقُ مِثْلَ الذَّهَبِ والبَلاءُ كالنَّار، الذَّهَبُ الخالِصُ في قَلْبِ النَّارِ مَسرور؛

امتِحانُ سَيِّدِ لُقمان لِذَكاءِ لُقْمان

لَمْ يَكُنْ كَلُقمانَ مِنْ عَبْدٍ طاهِرٍ، اللَّيْلَ والنَّهارَ في العُبودِيَّةِ مُجِدٌّ؛
كانَ سَيِّدُهُ يُقَدِّمُهُ في العَمَل، كانَ يراهُ أَفْضَلَ مِنْ وَلَدِه؛
ذلِكَ أنَّ لُقْمانَ رَغْمَ أنَّهُ وُلِدَ عَبْداً، كانَ سَيِّداً وكانَ مِنَ الهَوى حُرَّاً؛
قالَ مَلِكٌ لِشَيْخٍ في حديثٍ، أُطْلُبْ مِنِّي مِنَ العَطاءِ شَيئاً؛
قالَ أيْ مَلِكُ ألا يَصيبُكَ الخَجَلُ، مِنْ قَولِ مِثْلِ هذا لي، أُعْلُ عَنْ هذا؛
إنَّني أملِكُ عَبْدَيْنِ حَقيرَيْنِ، وكِلاهُما عَلَيْكَ حاكِمٌ وأميرٌ؛
قالَ المَلِكُ مَنْ يكونُ ذانِكَ الاِثنانِ قُلْ، قالَ واحِدٌ هُوَ الغَضَبُ والآخَرُ الشَّهْوَة؛
اعْرِفِ المَلِكَ مَنْ هُوَ مِنَ المُلْكِ فارِغ، بلا قَمَرٍ وَشَمْسٍ نُوْرُهُ بازِغ؛
يملِكُ المَخْزَنَ مَنْ ذاتُه المَخْزَنُ، يَمْلِكُ الوُجودَ مَنْ هُوَ عَدُوٌّ للوجود؛
سَيِّدُ لُقْمانَ في الظَّاهِرِ سَيِّدُه، وفي الحَقيقَةِ هُوَ عَبْدٌ ولُقمانُ سَيِّدُه؛
في العالَمِ المَقلوبِ مِنْ هذا الكَثير، الجَوْهَرُ في نَظَرِهِمْ أَقَلُّ مِنَ القَشَّة؛
قامُوا بِتَسْمِيَةِ الصَّحْراءِ مفازَةً، شِباكُ عُقولِهِمُ مَنْصوبَةٌ لِلَّونِ والماء؛

هُناكَ طائفَةٌ يُعَرِّفونَ أنْفُسَهُم بالثِّياب، لابِسُ القَباءِ يقولونَ عَنْهُ مِنَ العامَّة؛
وطائفَةٌ ظاهِرُهُم رِياءُ الزُّهْد، يَجِبُ النُّورُ لِتكونَ جاسوسَ زُهْد؛
يَجِبُ نُورٌ خالٍ مِنَ التَّقْليدِ والغَول، لِتَعْرِفَ الرَّجُلَ مِنْ دونِ فِعْلٍ وَقَول؛
يدْخُلُ إلى قَلْبِهِ مِنْ طَريقِ العَقْل، رأى نَقْدَهُ، ليسَ عَبْدَ نَقْل؛
خاصَّةُ عَبيدِ علَّامِ الغُيوب، في عالَمِ الرُّوحِ جواسيسُ القُلوب؛
مَكشوفٌ أمامَهُ سِرُّ الحال، يَدْخُلُ في قَلْبِهِ مِثْلَما الخَيال؛
ما العُدَّةُ والعَتاد في بَدَنِ العُصْفُورِ، لِيكونَ بِذاكَ مَخْفِيّاً عَنْ عِقْلِ الباز؛
ذلِكَ الَّذي صارَ واقِفاً على أسرارِ ***هُوَ***، ما يكونُ أمامَهُ سِرُّ المَخلوقات؛
ذلِكَ الَذي كانَ سَيْرُهُ فَوقَ الأفلاك، أيَّ عَناءٍ يَجِدُ في السَّيرِ فوقَ الأرْض؛
في كَفِّ داؤودَ صارَ الحَديدُ شَمْعاً، ما يَكونُ الشَّمْعُ في كَفِّ داؤودَ أي ظَلوم؛
كانَ لُقْمانُ سَيِّداً عَبْداً بالشَّكْلِ، العُبوديَّةُ على ظاهِرِهِ دِيباجَةٌ؛
السَّيِّدُ حينَ ذَهَبَ إلى مكانٍ مَجْهُول، قامَ بِإلباسِ عَبْدِهِ لِباسَه؛
ولَبِسَ هُوَ ثِيابَ ذاكَ الغُلام، وجَعَلَ مِنْ غُلامِ نَفَسِهِ الإمام؛
سارَ في إثْرِهِ كالعَبيدِ في الطَّريق، كي لا يكونَ مَعروفاً مِنْ أيِّ شَخْصٍ؛
قالَ أيْ عَبْدُ اذْهَبْ واجْلِسْ في الصَّدْر، أنا أحْمِلُ لَكَ الحِذاءَ كالعِبْدِ الصَّغير؛
كُنْ مَعي خَشِناً وقُمْ بِسَبِّي، ولا يكُنْ مِنْكَ أيُّ تَوقيرٍ لي؛
جَعَلْتُ خِدْمَتَكَ لي تَرْكَ الخِدْمَةِ، حتى أزْرَعَ في الغُرْبَةِ بِذْرَةَ الحَيلَة؛
السَّادَةُ قاموا بِفِعْلِ فِعْلِ العَبيد، حتَّى يَحْصَلَ الظَّنُّ بِأنَّهُمْ عَبيد؛
كانوا مُمْتَلِئي العُيونِ شِباعَ مِنَ السِّيادَة، جَعَلوا الأعْمالَ مُهَيَّأةً؛
وغِلْمانُ الهَوى هؤلاءِ عَكْسُ ذاكَ، أظْهَروا أنْفُسَهُمْ سادَةَ عَقْلٍ وروح؛
يأتي مِنَ السَّيِّدِ في الطَّريقِ التَّواضُعُ، لا يأتي مِنَ العَبْدِ غَيرَ العُبوديَّةِ شَيْء؛
وهكذا مِنْ ذلِكَ العالَمِ إلى هذا العالَم، الصُّنْعُ يكونُ على عَكْسِ هذا فاعْلَمْ؛

وَسَيِّدُ لُقمانَ على هذا الحالِ الخَفِيّ، كانَ واقِفاً فَقَدْ كانَ رأى إشارَةً مِنْه؛
كانَ عالِماً بالسِّرِّ ويقودُ الحِمارَ حَسَناً، مِنْ أجْلِ المَصْلَحَةِ ذلِكَ القائد؛
وكانَ لِيُحَرِّرَهُ مِنَ البِدايَةِ لكِنْ، كانَ يَبْحَثُ عَنْ رِضا لُقْمان؛
ذلِكَ لأنَّ مُرادَ لُقمانَ كانَ هذا، كي لا يِعْرِفَ شَخْصٌ سِرَّ ذاكَ الأسَدِ والفَتى؛
إخْفاؤكَ السِّرَّ عَنِ سَيِّئٍ لَيْسَ عَجَباً ، إخْفاؤكَ السِّرَّ عَنْ نَفْسِكَ كانَ عَجَباً؛
اِعْمَلِ العَمَلَ خِفْيَةً عَنْ عُيونِ نَفْسِك، حتَّى يكونَ عَمَلُكَ سالِماً مِنْ عَيْنِ السُّوء؛
وقُمْ بِتَسْليمِ نَفْسِكَ لِشِباكِ المُكافاة، آنَذاكَ مِنْ نَفْسِكَ بلا عِلْمِ نَفْسِكَ اسْرِقْ شَيْئاً؛
إنَّهُمْ يُعطونَ للرَّجُلِ الجَريحِ الأفيونَ، كَيْ يستَخْرِجوا النَّصلَ مِنْ بَدَنِهِ لِلْخارِج؛
ووَقْتَ المَوْتِ يُمَزِّقُونَهُ مِنَ الألَمْ، وإذْ هُوَ مَشْغولٌ بِذلِكَ يأخُذونَ رُوْحَه؛
عِنْدَما تُسْلِمُ القَلْبَ لِكُلِّ فِكْر، يسلُبونَ مِنْكَ في الخَفاءِ شَيئاً؛
كُلُّ ما عَمِلْتَ مِنْ فِكْرٍ وَتَحْصيلٍ، يدخُلُ السَّارِقُ مِنْ ذلِكَ الجانِبِ الَّذي أمِنْت؛
فَكُنْ مَشْغولاً بِذلِكَ الَّذي هُوَ أفْضَل، لِيَكُونَ أفْضَلَ مِنَ الشَّيءِ الَّذي أُخِذَ مِنْك؛
حِمْلُ التَّاجِرِ إذا وَقَعَ في الماء، يَمُدُّ اليَدَ لِأفْضَلَ ما فيهِ مِن متاع؛
ما دامَ لا بُدَّ أنْ يفوتَ مِنْهُ في الماءِ شَيءٌ ، فقُلْ بِتَرْكِ الأقَلِّ واطْلُبِ الأفْضَل؛

ظهور فَضلِ وذكاءِ لُقمان أمامَ المُمْتَحِنين

كُلَّ طَعامٍ كانَ يُجْلَبُ إلَيْه، كانَ يُرْسِلُ في طَلَبِ لُقمانَ شَخْصاً؛
حتَّى يَمُدَّ لُقْمانُ إلى ذلِكَ اليَدَ، قاصِداً لِيَأكُلَ السَّيِّدُ بَعْدَ أكْلِه؛
يأكُلُ بَقايا طَعامِهِ وَيُلقي بَعيداً، كُلَّ طَعامٍ لَمْ يَكُنْ قَدْ أكَلَ مِنْه؛
حتَّى وَلَو أكَلَ بلا رَغْبَةٍ ولا اشْتِهاء، هذِهِ كانَتْ علاقَةً بِلا انتِهاء؛
وَلَقَدْ جَلَبوا لَهُ بِطِّيْخَةً هَدِيَّةً، قالَ أيْ وَلَدُ اذْهَبْ وادْعُ لُقْمان؛
عِنْدَما قَطَّعَها وأعطاهُ حِزَّةً، أكَلَها كالسُّكَّرِ وكالعَسَل؛

مِنْ طِيْبِ ما أكَلَ أعطاهُ الثّانِيَةَ، فالثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ سَبعَةَ عَشَر؛
وبَقِيَتْ حِزَّةٌ قالَ أنا آكُلُ هذِهِ، كَيْ أرى مَدى حلاوَةِ هذا البِطِّيخ؛
لُقْمانُ أكَلَ بِلَذَّةٍ حَتَّى مِنْ تَلَذُّذِه، صارَتِ الطِّباعُ مُشْتَهِيَةً وتَطْلُبُ اللُّقْمَة؛
حِيْنَ أكَلَ السَّيِّدُ مِنْها اشْتَعَلَت نارُ المرارة، تَقَرَّحَ لِسانُهُ واحْتَرَقَ حَلْقُهُ أيضاً؛
غابَ ساعَةً عَنِ النَّفْسِ مِنَ المَرارَةِ، بَعْدَ ذلِكَ قالَ لَهُ أي روحي ودُنياي؛
كَيْفَ جَعَلْتَ مِثْلَ هذا السُّمِّ عَسَلاً، كَيْفَ وَجَدْتَ مِثْلَ هذا القَهْرِ لُطْفاً؛
أيُّ صَبْرٍ هذا مِنْ أينَ طَلَعَ هذا الصَّبْرُ، أوْ لَعَلَّ رُوحَكَ أمامَكَ عَدُوٌّ لَكَ؛
كيفَ لَمْ تُورِدْ بِحيلَةٍ حُجَّةً، أنْ أنا مَعْذُورٌ تَوَقَّفْ ساعَةً؛
قالَ أنا أكَلْتُ مِنْ يَدِكَ واهِبَةِ النِّعَمِ الكَثيرَ، حتَّى صِرْتُ مَحْنِيّاً مِنَ الخَجَل؛
فَجاءَني الخَجَلُ أنْ لا آكُلَ مَرَّةً، مِنْ كَفِّكَ المُرَّ أيْ صاحِبَ المَعْرِفَة؛
ما دامَتْ كُلُّ أجزائي طَلَعَتْ مِنْ إنعامِك، وهِيَ غَريقُ حَبَّتِكَ وَشِباكِك؛
إنْ أصْرُخْ مِنْ مُرٍّ واحِدٍ وَأَتَظَلَّمْ، كانَ غُبارُ مِئةِ طَريقٍ على رَأْسِ أجْزائي؛
لَذَّةُ يَدِكَ الحُلْوَةِ واهِبَةِ العَطاء، متى تَرَكَتْ مَرارَةً في هذا البِطِّيخ؛
مِنَ المَحَبَّةِ تَصيرُ كُلُّ مرارَةٍ حُلْوَةً، مِنَ المَحَبَّةِ يصيرُ كُلُّ نُحاسٍ ذَهَبِيّاً؛
مِنَ المَحَبَّةِ تَصيرُ الثُّمالاتُ صافِيَةً، مِنَ المَحَبَّةِ تَصيرُ الآلامُ شافِيَةً؛
مِنَ المَحَبَّةِ يَجْعَلونَ المَيْتَ حَيّاً، مِنَ المَحَبَّةِ يَجْعَلونَ المَلِكَ عَبْداً؛
هذِهِ المَحَبَّةُ أيضاً نَتيجَةُ العِلْم، مَنْ جَلَسَ جُزافاً على هكذا تَخْت؛
أينَ يَلِدُ العِلْمُ النّاقِصُ هذا العِشْق، العِشْقُ الَّذي وُلِدَ ناقِصاً كانَ لِجَماد؛
حينَ رأى على جَمادٍ لَوْنَ مَطْلُوبِهِ، سَمِعَ مِنَ الصَّفيرِ صَوتَ مَحْبوبِهِ؛
العِلْمُ النّاقِصُ لا يَعْرِفُ الفَرْق، لا جَرَمَ حَسِبَ شمْسَاً البَرْق؛
بما أنَّ الرَّسولَ دعا مَلعوناً النّاقِصَ، كانَ تأويلُ ذلِكَ نُقْصانَ العُقول؛
لأنَّ ناقِصَ البَدَنِ كانَ مَرحومَ رُحْمٍ، وليسَ لائقاً بالمَرحومِ اللَّعْنُ والطَّعْن؛

فَنَقْصُ العَقْلِ مَرَضٌ رَديءٌ، مُوجِبٌ لِلَّعْنَةِ جَزاؤهُ الإبعاد؛

ذلِكَ لأنَّ تَكميلَ العُقولِ بَعيدٌ، لكِنَّ تَكميلَ البَدَنِ مَقْدور؛

كُفْرُ وفَرعونِيَّةُ كُلِّ مَجوسِيٍّ بَعيدٍ، ظَهَرا مِنْ نُقْصانِ العَقْل؛

مِنْ أَجْلِ نَقصِ الجِسْمِ قَدْ جاءَ الفَرَج مِنَ النَّبِيِّ، *ما على الأعْمى حَرَج*

كم كانَ البَرْقُ آفِلاً وبلا وَفاء، لا تَعْرِفُ الآفِلَ مِنَ الباقي بلا صَفاء؛

البَرْقُ ضَحِكَ على مَنْ يَضْحَكُ قُلْ، على شَخْصٍ علَّقَ القَلْبَ على نُورِه؛

أنوارُ الفَلَكِ مَقْطوعَةُ القَدَم، أينَ ذاكَ مِنْ مِثْلِ *لا شَرْقِيٍّ ولا غَرْبِيٍّ*؛

اِعْلَمْ أنَّ طَبْعَ البَرْقِ أنْ يَخْطِفُ الأبصار، اِعْلَمْ أنَّ النُّورَ الباقِي كُلَّهُ أنصار؛

قيادَةُ الفَرَسِ على زَبَدِ البَحْرِ، قِراءَةُ الكِتابِ في نورِ البَرْقِ؛

عَدَمُ رُؤيَةِ العاقِبَة مِنَ الحِرْصِ، ضَحِكٌ على القَلْبِ وعلى العَقْل؛

رُؤيَةُ العاقِبَةِ خاصِّيَّةُ العَقْل، وما لَمْ يَرَ العاقِبَةَ فَهُوَ نَفْسٌ؛

العَقْلُ المَغْلوبُ للنَّفْسِ صارَ نَفْساً، إذا ماتَ المُشتَري صارَ زُحَلاً صارَ نَحْساً؛

أعْمِلِ النَّظَرَ أيضاً في النَّحْس، اُنْظُرْ في الشَّخْصِ الَّذي عَمِلَ لَكَ النَّحْس؛

ذلِكَ النَّظَرُ الَّذي نَظَرَ هذا الجَزْرَ والمَدّ، فَتَحَ ثُقْباً مِنَ النَّحْسِ إلى السَّعْد؛

مِنْ ذلِكَ يُحَوِّلُكَ مِنْ حالٍ لِحال، يَجْعَلُ الضِّدَّ بالضِّدِّ ظاهِراً في الانتِقال؛

كَيْ يَلِدَ خَوفُكَ مِنْ *ذاتَ الشِّمال، لَذَّة ذاتَ اليَمين يُرجى الرِّجال*؛

كي تَصيرَ ذا جَناحَينِ فالطَّائرُ وَحيدُ الجَناح، عاجِزٌ عَنِ الطَّيَرانِ أيْ جَميل؛

أو أطْلِقْني فلا أَدْخُلَ في الكلام، أو أعْطِني الدَّستورَ لِأُتِمَّ الكلام؛

وإنْ كانَ أمْرُكَ أنَّكَ لا تُريدُ هذا ولا ذاك، ما مَعْرِفَةُ الشَّخْصِ أينَ مَقْصَدُك؛

تَجِبُ روحُ إبراهيمَ حتَّى بالنُّور، تَجِدَ في النَّارِ الفِرْدَوْسَ والقُصور؛

يرقى دَرَجَةً دَرَجَةً على القَمَرِ والشَّمْس، كي لا يبقى كَحَلْقَةٍ مُعَلَّقَةٍ بالباب؛

مِثْلَ الخَليلِ مِنَ السَّماءِ السَّابِعَةِ، عَبَرَ أنْ *لا أُحِبُّ الآفِلين*؛

عالَمُ البَدَنِ هذا مُوقِعٌ في الغَلَط ، إلَّا لِذلِكَ الَّذي هُوَ مِنَ الشَّهْوَةِ مُتَحَرِّرٌ ؛

تَتِمَّةُ حَسَدِ أولئكَ الحَشَمِ لِذلِكَ الغُلامِ الخاصّ

قِصَّةُ الشَّاهِ والأُمَراءِ والحَسَدِ، لِذلِكَ الغُلامِ الخاصِّ وَسُلطانِ العَقْل؛

تَأَخَّرَتْ مِنْ جَرِّ جَرَّارِ الكلامِ، وَجَبَ العَوْدُ لإكْمالِها على التَّمام؛

بُسْتانِيُّ المَلِكِ ذو الإقبالِ والبَخْت، كَيْفَ لا يُمَيِّزُ الشَّجَرَةَ مِنَ الشَّجَرَة؛

تِلْكَ الشَّجَرَةَ الَّتي كانَتْ مُرَّةً وعَوجاء، وتِلْكَ الشَّجَرَةَ الَّتي واحِدَتُها بِسَبْعِمائةً؛

كَيْفَ يُساوي بَيْنَهُما في التَّرْبِيَة، إذا كانَ يراهُما بِعَيْنِ العاقِبَة؛

أنْ تِلْكَ الأَشْجارُ ما تَحْمِلُ في النِّهايَة، رَغْمَ أَنَّها واحِدٌ في النَّظَرِ هذِهِ اللَّحْظَة؛

الشَّيْخُ الَّذي صارَ *ينظُرُ بنورِ الله*، عارِفٌ بالنِّهايَةِ وَعارِفٌ بالبِدايَةِ؛

أغْلَقَ العَيْنَ ناظِرَةَ النِّهايَةِ لأجْلِ الحَقّ، فَتَحَ العَيْنَ ناظِرَةَ النِّهايَةِ في السَّبْق؛

أولئكَ الحُسَّادُ كانوا أشْجاراً سَيِّئَةً، كانوا مِنْ جَوْهَرٍ مُرٍّ وكانوا سيِّئي الحَظّ؛

كانوا يجيشونَ مِنَ الحَسَدِ وَيُلقونَ بالزَّبَد، وفي الخَفاءِ كانوا يُثيرونَ المَكْر ؛

لِيَضْرُبوا عُنُقَ ذلِكَ الغُلامِ الخاصّ، وَيَقْتَلِعوا جَذْرَهُ مِنَ الزَّمان؛

كيفَ يصيرُ فانِياً وَرُوحُهُ كانَ مَلِكاً، وَجَذْرُهُ كانَ في عِصْمَةِ الله؛

الشَّاهُ كانَ واقِفاً على تِلكَ الأسرار، ومِثْلَ أبي بَكْر الرَّبابي تَغافَلَ عَنْ ذلِك؛

ناظِراً في قُلوبِ سَيِّئي الجَوْهَر، ساخِراً مِنْ أولئكَ المُحتالين؛

القَوْمُ المُحتالون يقومونَ بالمَكْر، حتَّى يُلقوا بالشَّاهِ في الفُقاع؛

مَلِكٌ عَظيمٌ عَظَمَةً بلا حُدودٍ، مَتى تَجْعلونَهُ في الفُقاعِ أيُّها الحَمير؛

حاكوا الشِّباكَ مِنْ أجْلِ الشَّاهِ، آخِراً هذا التَّدبيرَ مِنْهُ تَعَلَّموا؛

إنَّهُ نَحْسٌ للتِّلْميذِ أنْ يَضَعَ نَفْسَهُ، في مَرْتَبَةِ أُستاذِهِ أو يَتَقَدَّمَ عَلَيْه؛

وَمَعَ أيِّ أُستاذٍ أُستاذِ العالَمِ، الَّذي سواءٌ أمامَهُ الظَّاهِرُ والخَفِيّ؛

عَيْنُهُ عَيْنُ *يَنْظُرُ بِنورِ اللهِ*، كانَتْ خارِقَةً لِحُجُبِ الجَهْلِ؛

مِنْ مِشْكاةِ القَلْبِ كَيْفَ لِقِماشٍ قَديم، أنْ يَجْعَلَ حِجاباً أمامَ ذلِكَ الحَكيم؛

الحِجابُ يَضْحَكُ عَلَيهِ بِمِئاتِ الأفواه، كُلُّ فَمٍ صارَ شِقّاً على ذلِكَ الحِجاب؛

قالَ ذلِكَ الأُستاذُ لِذلِكَ التِّلْميذ، أي أقَلَّ مِنَ الكَلْبِ أَلَيسَ لي عِنْدَكَ وَفاءٌ؛

لا تَعْتَبِرني أُستاذاً أَفْلُجُ الحديد، اعْتَبِرني تِلْميذاً مِثْلَكَ أعمى القَلْب؛

أَلَمْ يَكُنْ لَكَ مِنّي عَونٌ بالنَّفْسِ والرُّوح، وما كانَ ماؤكَ لِيَجْرِيَ مِنْ دوني؛

إذَنْ قَلبي الَّذي هُوَ مَعْمَلُ البَخْتِ لَكَ، لِمَ قُمْتَ بِكَسْرِ هذا المَعْمَلَ أي مَعيب؛

كَأَنَّهُ قالَ لَهُ لَقَدْ أَشْعَلْتَ لي النّارَ خِفْيَةً، أَلَيْسَ مِنَ القَلْبِ إلى القَلْبِ تُوْجَدُ نافِذَةٌ؛

آخِراً مِنَ النّافِذَةِ رأى فِكْرَكَ، القَلْبُ يقومُ بالشَّهادَةِ عَنْ ذِكْرِك؛

اِعْلَمْ لَمْ يُسَوِّدْ وَجْهَكَ مِنَ الكَرَم، كُلَّما قُلْتَ ضَحِكَ وقالَ نَعَم؛

هُوَ لَمْ يكُنْ يَضْحَكُ مِنْ ذَوقِ خِداعِك، هُوَ كانَ يَضْحَكُ على خِداعِك؛

فالخِداعُ صارَ جَزاءً لَهُ الخِداع، أي كاسِرَ الوِعاءِ كُلِ الوِعاءَ هذا جَزاؤك؛

لَو كانَ مَعَكَ ضاحِكاً مِنَ الرِّضا، تَفَتَّحَتْ لَكَ مِئةُ أَلْفِ وَرْدَةٍ؛

عِنْدَما قامَ قَلْبُهُ بالعَمَلِ في الرِّضا، دَخَلَتِ الشَّمْسُ في الحَمَلِ اعْلَمْ؛

أيضاً النَّهارُ وأيضاً الرَّبيع مِنْهُ ضَحِكا، واخْتَلَطَتْ بِبَعْضِها البراعِمُ والمُروج؛

ومِئةُ أَلْفِ بُلْبُلٍ وَقَمْرِيٍّ، عَزَفَتِ الألحانَ في عالَمٍ صامِت؛

وَأَنْتَ ترى وَرَقَ الرُّوحِ أَصْفَرَ وأَسْوَدَ، كَيْفَ لا تَعْرِفُ مِنْ ذلِكَ غَضَبَ الشّاه؛

شَمْسُ الشّاهِ في بُرْجِ العِتاب، تَجْعَلُ الوُجوهَ سُوداً كالكِتاب؛

عُطارِدُ ذاكَ أوراقُهُ أرواحُنا، ذاكَ البَياضُ وذاكَ السَّوادُ مِيزانُنا؛

عادَ فَكَتَبَ مَنْشوراً أَحْمَرَ وَأَخْضَر، لِيُخَلِّصَ الأرواحَ مِنَ الكَآبَةِ والعَجْز؛

الأحْمَرُ والأخْضَرُ نَسْخُ الرَّبيعِ الجَديد، مِثْلَ خَطِّ القَوْسِ وَقُزَحَ في الاِعْتِبار؛

تعظيم رسالةِ سليمان عليه السّلام في قلب

بلقيس عكسَ صورَةِ الـهُدْهُد الحقيرة

مِئةُ رَحْمَةٍ كانَتْ على بَلقيسَ تِلْكَ، فاللهُ أعطاها عَقْلَ مِئةِ رَجُلٍ؛
جَلَبَ لها الهُدْهُدُ رِسالَةً وشارَةً مِنْ سُلَيمانَ، بِبِضْعِ حُروفٍ ناطِقَةٍ بالبيان؛
فَقَرَأتْ تِلْكَ النِكاتِ في شُمول، ولم تَنْظُرْ نَظَرَ الحَقارَةِ للرَّسول؛
رأتْ جِسْمَ هُدْهُدٍ وَرَأتْ روحَ عَنقاء، رأتْ حِسَّهُ كالزَّبَدِ وَرأتْ قَلْبَهُ البَحْر؛
مِنْ هذِهِ الطَّلاسِمِ بلونَينِ العَقْلُ والحِسّ، في حَرْبٍ كما مُحَمَّدٌ مَعَ كُلِّ أبي جَهْلٍ؛
الكافِرونَ رَأوا أحْمَدَ مِنَ البَشَر، لِأنَّهُمْ لَمْ يَرَوا مِنْهُ *انْشَقَّ القَمَر*؛
فاجْعَلِ التُّرابَ على عَيْنِ الحِسّ ناظِرَةِ النَّفْس، عَيْنُ الحِسّ عَدُوٌّ لِلعَقْلِ والدِّين؛
عينُ الحِسّ دعاها اللهُ عَمياء، قالَ عنها عابِدَةً للنَّفْسِ وسَمَّاها *ضِدَّنا*؛
ذاكَ لأنَّها رأتِ الزَّبَدَ ولَمْ تَرَ البَحْر، ذاكَ لأنَّها رأتِ الحاضِرَ ولم تَرَ الغَد؛
والسَّيِّدُ الغَدُ والحالُ حاضِرانِ أمامَهُ، هُوَ لَمْ يرَ مِنَ الكَنْزِ غَيْرَ دِرْهَمٍ؛
ذَرَّةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّمْسِ حَمَلَتْ رِسالَةً، الشَّمْسُ صارَتْ لِتِلْكَ الذَّرَّةِ غُلاماً؛
قَطْرَةٌ صارَتْ سفيرَ بَحْرِ الوَحْدَة، سبْعَةُ البِحارُ صارَتْ أسيرَ تَلْكَ القَطْرَةِ؛
لَو صارَ مُسْرِعاً إلَيه كَفُّ التُّراب، وَضَعَتْ رَأْسَها لَدَيْهِ الأفلاكُ على التُّراب؛
تُرابُ آدَمَ إذْ صارَ مُسْرِعاً إلى الحَقّ، وَضَعَتْ رَأسَها دُونَ تُرابِهِ أملاكُ الحَقّ؛
مِنْ أيِّ شَيْءٍ *السَّماءُ انْشَقَّتْ*، مِنْ عَيْنٍ واحِدَةٍ فَتَحَها تُرابِيٌّ؛
التُّرابُ جَلَسَ تَحْتَ الماءِ مِنْ ثِقَلِهِ، فأنْظُرْ إلى تُرابٍ جازَ العَرْش مِنْ سُرْعَتِه؛
تِلْكَ اللَّطافَةُ اعْلَمْها لَيْسَتْ مِنَ الماء، ليسَتْ غَيْرَ عَطاءِ المُبْدِعِ الوهَّاب؛
فَلَو جَعَلَ سُفْلِيّاً الهَواءَ والنَّار، أو أخْرَجَ مِنَ الوَرْدِ الشَّوك؛
فَهُوَ الحاكِمُ وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشاء، إنَّهُ مِنْ عَيْنِ الدَّاءِ بَعَثَ الدَّواء؛

لو جَعَلَ الهواءَ والنَّارَ سُفْلِيَّين، مُظْلِمَيْنِ وكَدِرَيْنِ وَثقيلَين؛
ولو جَعَلَ كلا التُّرابِ والماءِ عُلْوِيًّا، وطريقَ الفَلَكِ بالقَدَمِ مَطويّاً؛
فقد صارَ يقيناً *تُعِزُّ مَنْ تشاء*، وقد قالَ لِتُرابِيِّ افتَحِ الجَناحَيْن؛
قالَ لناريِّ اذْهَبْ وكُنْ إبليس، كُنْ تَحْتَ الأَرْضِ السَّابِعَةِ وذا تَلبيس؛
ويا آدَمُ التُّرابيُّ اذْهَبْ فَوقَ السُّها، ويا إبليسُ النَّارِيُّ اذْهَبْ إلى الثَّرى؛
لستُ بالطِّباعِ الأربَعَةِ والعِلَّةِ الأولى، أنا باقٍ في التَّصَرُّفِ دائماً؛
عَمَلي مِنْ دونِ عِلَّةٍ وَمُستَقيمٌ، لي تَقْديرٌ وليسَ لي عِلَّةٌ أيْ سَقيم؛
عادَتي أُغَيِّرُ في الوَقْت، هذا الغُبارَ مِنْ أمامي أُجْلِسُ في الوَقْت؛
أقولُ لِلْـَبَحْرِ ها كُنْ مليئاً بالنَّار، أقولُ للنَّارِ اذهبي وكوني رَوضَ الوَرْد؛
أقولُ للجَبَلِ كُنْ خفيفاً كالصُّوف، أقولُ للفَلَكِ انْخَفِضْ أمامَ العَيْن؛
أقولُ للشَّمْسِ كوني مَقرونَةً بالقَمَر، وأجْعَلُ الاِثْنَيْنِ مِثْلَ سحابَتَينِ سوداوَين؛
عَينَ الشَّمْسِ نجْعَلُ يابِسَةً، عَيْنَ الدَّمِ نجْعَلُ مِسْكاً بِفَنّ؛
الشَّمْسَ والقَمَرَ مِثْلَ ثَوْرَينِ أسْوَدَيْنِ، يجعَلُ النِّيرَ في عُنُقِهِما الإلٰه؛

إنكارُ فَلْسَفيٍّ على قِراءَةِ *إنْ أصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً*

كانَ مُقْرِئٌ يَقْرَأُ مِنْ وَجْهِ الكِتاب، ماؤُكُمْ غَوْراً حَبَسْتُ مِنَ العَيْنِ الماء؛
الماءَ في الأغْوارِ أجْعَلُ مَخْفِيًّا، أجْعَلُ العُيونَ يَبَساً والبِلادَ قُحْطاً؛
الماءَ في العَيْنِ مَنْ غيري يُخْرِجُه، أنا بلا مِثْلٍ في الخَيْرِ والفَضْل؛
فَلْسَفِيٌّ مَنْطِقِيٌّ مُستَهانْ مَرَّ بالمَكْتَبِ ذَيَّاكَ الزَّمانْ
سَمِعَ الآيَةَ ما كانَ بِقابِلْ قالَ نُجري الماءَ مِنْها بالمعاوِلْ
نُخْرِجُ الماءَ مِنْ أسْفَلِها إلى أعلاها، بِضَرْبَةِ المِعْوَلِ وَحِدَّةِ الفَأس؛
نامَ لَيْلَتَهُ تِلْكَ رأى رَجُلاً شَديداً، ضَرَبَهُ ضَرْبَةً فأعمى كِلْتا عَيْنَيْه؛

قالَ مِنْ هاتَيْنِ العَيْنَيْنِ أيْ شَقيُّ، أَخْرِجْ نورَ عَيْنٍ بالفَأسِ إنْ كُنْتَ صادِقاً؛
طَلَعَ النَّهارُ وَرأى عَيْنَيْهِ عَمياوَيْن، النُّورُ الَّذي كانَ يفيضُ مِنْ عَيْنَيهِ اختَفى؛
لَوْ أنَّكَ رُحْتَ نائحاً وَمُسْتَغْفِراً، عادَ نُورٌ اختفى مِنَ الكَرَمِ ظاهِراً؛
لكِنَّ الاِسْتِغْفارَ أيضاً لَيْسَ في اليَدِ، ذَوقُ التَّوبَةِ لِكُلِّ ثَمِلِ الرَّأسِ لَيْسَ مُعْطىً؛
مِنْ قُبْحُ الأعْمالِ وشؤمُ الجُحود، طريقُ التَّوبَةِ على القَلْب مَسدود؛
القَلْبُ مِنَ قَساوَةٍ صارَ مِثْلَ وَجْهِ الصَّخْر، كيفَ تَشُقُّ التَّوبَةُ مِثْلَ ذاكَ للزَّرْع؛
أيْنَ مَنْ هُوَ مِثْلَ شُعَيْبٍ كيْ بِدُعائِهِ، يُحيلُ تُراباً الجَبَلَ مِنْ أجْلِ الزَّرْع؛
مِنْ افتِقارِ واعْتِقادِ ذاكَ الخَليل، صارَ مُمْكِناً الأمْرُ الصَّعْبُ والمُسْتَحيل؛
أو بِتَوَسُّلِ المُقَوقَسِ مِنَ الرَّسول، أرْضُ الصَّخْرِ صارَتْ مَزْرَعَةً بِأُصول؛
وهكذا على العَكْسِ إنكارُ ذلِكَ المَرْءِ، جَعَلَ الذَّهَبَ نُحاساً والصُّلْحَ حَرْباً؛
هذا الدَّغَلُ جاءَ كَهْرَباءَ مَسْخٍ، جَعَلَ التُّرابَ القابِلَ حَجارَةً وَحَصىً؛
ليسَ كُلُّ قَلْبٍ لَهُ الإجازَةُ بالسُّجود، أجْرُ الرَّحْمَةِ لَيْسَ قِسْمَةَ كُلِّ عامِل؛
انْتَبِهْ بَعْدَ ذلِكَ لا تَعْمَلِ الجُرْمَ والذَّنْب، أنْ سَوفَ أتوبُ وأدخُلُ في الحِصْن؛
تَجِبُ القُدْرَةُ والماءُ للتَّوبَة، البَرْقُ والسَّحابُ شَرْطٌ للتَّوبَة؛
تَجِبُ النَّارُ والماءُ للفاكِهَةِ، يَجِبُ الغَيْمُ والبَرْقُ لِهذا المَسْلَك؛
ما لَمْ يَكُنْ بَرْقُ القَلْبِ وَسَحابُ كِلتا العَيْنَين، متى تُطْفَأُ نارُ التَّهْديدِ والغَضَب؛
مَتى تنمو خُضْرَةُ ذَوْقِ الوِصال، متى تَجيشُ العُيونُ بالماءِ الزُّلال؛
متى يقولُ السِّرَّ لِلْمَرْجِ رَوْضُ الوَرْد، متى يَعْقِدُ البَنَفْسَجُ مَعَ الياسَمينَ العَهْد؛
مَتى تَفْتَحُ السِّدْرَةُ اليَدَ بالدُّعاء، متى تَرْفَعُ الشَّجَرَةُ الرَّأْسَ في الهواء؛
متى ينفِضُ البُرْعُمُ الكُمَّ مِنَ الثِّمار، الَّتي حازَها مِنْ أيَّامِ الرَّبيعِ لِلنِّثار؛
مَتى يُضيءُ وَجْهُ الشَّقائقِ كالدَّمّ، متى يُخْرِجُ الوَرْدُ مِنْ كِيْسِهِ الذَّهَبَ خارِجاً؛
متى يأتي يَشُمُّ عبيرَ الوَرْدَةِ البُلْبُلُ، متى تقومُ كالطَّالِبِ بالهَديلِ اليَمامَة؛

متى يقولُ اللَّقْلَقُ لَقْلَقَتَهُ مِنَ الرُّوحِ، أيُّ مُلْكٍ كانَ مُلْكُكَ أيْ مُسْتَعان؛
متى يُظْهِرُ التُّرابُ أسرارَ الضَّمير، متى يصيرُ بلا سَماءٍ البُستانُ المُنير؛
حُلَلٌ مِنْ أيْنَ قَدْ جاؤوا بِها مِنْ كريمٍ مِنْ رحيمٍ كُلُّها
اللَّطافاتُ دليلُ الشَّاهِدِ الدَّليلُ قَدَمٌ لِلْعابِدِ
ذاكَ فَرِحٌ بالدَّليلِ رأى الشَّاه، لَو لَمْ يَرَهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ انتِباه؛
روحُ ذاكَ الشَّخْصِ الَّذي وَقْتَ *ألَسْت*، رأى رَبَّهُ أضاعَ النَّفْسَ وَصارَ سَكْراناً؛
عرِفَ رائِحَةَ الخَمْرِ مَنْ شَرِبَ الخَمْر، مَنْ لَمْ يَشْرَبِ الخَمْرَ مَتى يَجِدُ ريحَها؛
ذلِكَ أنَّ الحِكْمَةَ كالنَّاقَةِ الضَّالَّة، كأنَّها دلَّالَةٌ لِلمُلوكِ دالَّة؛
أنتَ ترى في المَنامِ شَخْصاً حَسَنَ اللِّقاءِ، يُعطيكَ إشارَةً وَوَعْداً؛
أنَّ مُرادَكَ حاصِلٌ ولكَ إشارَةٌ، في غَدٍ سوفَ يأتي إلى أمامِكَ فُلان؛
وإشارَةٌ أنَّهُ سَوفَ يكونُ راكِباً، وإشارَةٌ أنَّهُ سَوفَ يُعانِقُك؛
وإشارَةٌ أنَّهُ سَوفَ يَضْحَكُ أمامَكَ، وإشارَةٌ أنَّهُ سيَعْقِدُ اليَدَ أمامَك؛
وإشارَةٌ أنَّكَ هذا المَنامَ مِنْ هَوَس، إذا جاءَ الغَدُ لَنْ تَقولَ لِشَخْص؛
عَنْ تِلْكَ الإشارَةِ قالَ لِوالِدِ يحيى، إلى ثلاثَةِ أيَّامٍ لَنْ تَقْدِرَ على الكلام؛
إلى ثلاثِ ليالٍ اصْمُتْ عَنْ خَيْرٍ وشَرّ، هذِهِ إشارَةٌ لَكَ أنَّ يَحيى سَيَأتيك؛
لا تُطْلِقِ النَّفَسَ بالكلامِ إلى ثلاثَةِ أيَّامٍ، فهذا السُّكوتُ آيَتُكَ المَقصودَة؛
لا تَأْتِ بِهذِهِ الإشارَةِ على اللِّسان، واجْعَلْ هذا الحَديثَ مَخْفِيّاً داخِلَ القَلْب؛
قالَ لَهُ هذِهِ الإشاراتِ كالسُّكَّر، وهذِهِ الَّتي تَعْدِلُ مِئَةَ إشارَةٍ أُخرى؛
وهِيَ إشارَةُ أنَّكَ تجِدُ المُلْكَ والجاه، اللَّذَينِ كُنْتَ تَطلُبُهُما مِنَ الإلٰه؛
فَقَدْ كُنْتَ تَبْكي اللَّياليَ الطِّوال، وكُنْتَ تَحْتَرِقُ وَقْتَ السَّحَرِ مِنَ الافتِقار؛
وأنَّكَ لولا ذاكَ صارَ يومُكَ ظلاماً، وَصارَ عُنُقُكَ كالمِغْزَل دَقيقاً؛
وأنَّكَ أعْطَيْتَ كُلَّ ما مَلَكْتَ زكاةً، زكاةَ لاعِبينَ طاهرينَ أعْطَيتَ مَتاعَك؛

أعْطَيْتَ المَتاعَ والنَّومَ وَلَوْنَ الوَجْه، وَجَعَلْتَ الرَّأْسَ فِداءً وَصِرْتَ كالشَّعْرَة؛
كم جَلَسْتَ في النَّارِ كالعُود، كَمْ ذَهَبْتَ أمامَ السَّيْفِ كالخُوذَة؛
مِئةُ أَلْفٍ مِنْ مِثْلِ هذِهِ المَسْكَناتِ، طَبْعُ العُشَّاقِ غَيْرُ مُمْكِنِ العَدّ؛
ما دُمْتَ رَأيْتَ هذا المَنامَ في اللَّيْلِ وأتى النَّهار، مِنَ الأمَلِ بِهِ نَهارُكَ جَميلٌ؛
تَديرُ عينيكَ يَميناً ويساراً، أيْنَ تِلْكَ الإشارَةُ وتِلْكَ العلامات؛
تَرْتَجِفُ على مِثالِ وَرَقَةٍ أنْ وَيلي، إذا ذَهَبَ النَّهارُ ولم تأتِ تِلْكَ الإشارَة؛
تَرْكُضُ في الحَيِّ والسُّوقِ والمَنْزِلِ، مِثْلَ ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي أضاعَ عِجْلَه؛
ما هذِهِ السُّرْعَةُ مِنْكَ أي سَيِّدُ خَيْراً، أضَعْتَ هُنا ما مَلَكْتَ ما الَّذي بِكَ؛
قالَ لَهُ إنَّهُ الخَيْرُ لكِنْ خَيْري أنا، لا يجوزُ أنْ يَعْلَمَ شَخْصٌ بِهِ غيري أنا؛
إذا قُلْتُ إشارَتي كانَ لها فَوت، مِنْ فَوتِ الإشارَةِ صارَ وَقْتُ المَوت؛
تَنْظُرُ في وَجْهِ كُلِّ رجُلٍ راكِبٍ، يقولُ لَكَ لا تَنْظُرْ إلَيَّ كالمَجنون؛
تقولُ لَهُ أضَعْتُ صاحِباً لي، وَقَدْ وَجَّهْتُ وَجْهي لِلْبَحْثِ عَنْه؛
دامَتْ دَولَتُكَ راسِخَةً أيُّها الفارِسُ، ارْحَمِ العاشِقينَ وانظُرْهُم مَعْذورينَ؛
حينَ قُمْتَ طالِباً بِالجِدِّ جاءَ النَّظَر، الجِدُّ لا يُخْطِئُ كما جاءَ الخَبَر؛
فَجْأَةً جاءَ فارِسٌ حَسَنُ البَخْت، واحْتَضَنَكَ مِنْ وَسَطِكَ بِشِدَّةٍ شَديدَةٍ؛
صِرْتَ فاقِدَ الوَعْيِ وَوَقَعْتَ فَرْداً، الجاهِلُ بلا خَبَرٍ قالَ ذا رياءٌ مِنْكَ ونِفاق؛
هو ما رأى داخِلَهُ هذا الاِضْطِراب، هُوَ لا يَعْرِفُ تِلْكَ شارَةُ وَصْلِ مَنْ تكون؛
تِلْكَ الإشارَةُ حَقٌّ هذا الَّذي رأى، تِلْكَ الإشارَةُ متى تكونُ ظاهِرَةً لذاكَ الآخَر؛
كُلَّ لَحْظَةٍ تَصِلُ إشارَةٌ مِنْه، تَصِلُ للشَّخْصِ روحٌ مِنْ بَعْدِ روح؛
للسَّمَكِ المِسْكينِ جاءَ الماءُ، بإشاراتِ *تِلْكَ آياتُ الكِتاب*؛
فالإشاراتُ الَّتي تكونُ في الأنبياء، خاصَّةٌ بِتِلْكَ الرُّوحِ الَّتي تكونُ عالِمَةً؛
هذا الحَديثُ ظَلَّ ناقِصاً وبلا قرار، ليسَ لي قَلْبٌ أنا بلا قَلْبٍ اعذُرني؛

الذَّرّاتُ لا يستطيعُ عَدَّها شَخْصٌ، خاصَّةً ذاكَ الَّذي سَلَبَ عَقْلَهُ العِشْق؛
أأقومُ بِعَدِّ أوراقِ البُستان، أأَعُدُّ أصواتَ الحَمائمِ والغِربان؛
هذا لا يجيءُ في العَدِّ لكِنَّني، أقومُ بالعَدِّ مِنْ أجْلِ رُشْدِ مُمْتَحَن؛
نَحْسُ كَيوانَ أو سَعْدُ المُشْتَري، لا يجيءُ في الحَصْرِ مهما تَكُنْ عادّاً؛
لكِنْ مَعَ ذاكَ بَعْضٌ مِنْ هذينِ الأثَرَين، واجِبُ الشَّرْحِ يعني النَّفْعَ والضُّرَّ؛
كي تَصيرَ مَعْلومَةً آثارُ القَضاء، حرِّرْ شُمَّةً عَنِ النَّحْسِ والسَّعْد؛
ذلِكَ الشَّخْصُ الَّذي طالعُهُ المُشتَري، يكونُ سعيداً مِنَ النَّشاطِ والسُّرور؛
وَمَنْ كانَ طالعُهُ زُحَلُ مِنْ كُلِّ شُرور، واجِبٌ مِنْهُ الاحتياطُ في كُلِّ الأمور؛
إنْ تَحَدَّثْتُ عَنْ ذلِكَ الَّذي نَجْمُهُ زُحَل، مِنْ نارِهِ احْتَرَقَ ذلِكَ المِسكين؛
مَلِكُنا أعطانا دستوراً *اذكروا الله*، وَسَطَ النّارِ أعطى نَظَرَنا النُّور؛
قالَ رَغْمَ أنّي مُنَزَّهٌ عَنْ ذِكْرِكُم، وليسَ لائقاً بِيَ التَّصوير؛
لكِنَّ سَكْرانَ التَّصويرِ والخَيال، لنْ يُدْرِكَ مُطْلَقاً ذاتَنا بِغَيْرِ مِثال؛
الذِّكْرُ الجِسْمانِيُّ خيالٌ ناقِصٌ، وَصْفُ مَلِكِ المُلوكِ مِنْهُ خالِصٌ؛
المَلِكُ ليسَ مقالَةَ شَخْصٍ كَنَسْجِ العَنكبوت، أيُّ مَدْحٍ يكونُ ذا غَيْرَ قَوْلِ جاهِلٍ؛

إنكارُ موسى عليهِ السّلامُ على الرَّاعي مُناجاتَهُ

رأى موسى راعِياً في الطَّريق، كانَ يدعو يقولُ أيْ اَلله وأي إلٰه؛
أينَ أنْتَ حَتَّى أصيرَ خادِمكَ، أخيطُ خُفَّكَ وأَمْشُطُ شَعْرَك؛
وأغْسِلُ ثيابَكَ وأقتُلُ قَمْلَكَ، وأجلبُ أيْ مُحْتَشِمُ اللَّبَنَ لَكَ؛
أُقَبِّلُ يَدَكَ وأُداعِبُ قَدَمَكَ، وإذا جاءَ وَقْتُ النَّومِ أكنِسُ مَوْضِعَك؛
أي فِداكَ كُلُّ ما عِنْدِيَ مِنْ ماعِزٍ، أي بِذِكْرِكَ أرفَعُ صوتي وأسوقُ قطيعي؛
كانَ الرَّاعي يتكلَّمُ بهذا النَّمَطِ بلا طائلٍ، قالَ موسى لِمَنْ تقولُ هذا أي فُلان؛

قالَ أقولُ لِذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي خَلَقَنا، والأرْضَ والفَلَكَ خَلَقَ لنا؛
قالَ لَهُ موسى غَدَوتَ أَحْمَقاً، لم تَعُدْ مُسْلِماً بل صِرْتَ كافِراً؛
أيُّ لَغْوٍ هذا وأيُّ كُفْرٍ وَعِنادٍ، اِجْعَلِ القِطْنَ في فَمِكَ وسُدَّ فَمَك؛
نَتَنُ كُفْرِكَ جَعَلَ العالَمَ مُنْتِناً، كُفْرُكَ هذا أبلى ديباجَةَ الدِّين؛
الخُفُّ والنَّعْلُ لائقانِ بِك، مِثْلُ هذِهِ الأشياءِ متى تليقُ بالشَّمْس؛
إذا لَمْ تَسُدَّ عَنْ هذا الكلامِ الحَلْق، ستأتي نارٌ وستحْرِقُ الخَلْق؛
لو لَمْ تَكُنْ أتَتِ النَّارُ ما هذا الدُّخان، ما هذِهِ النَّفْسُ المُسْودَّةُ والرُّوحُ المَردودَة؛
إذا كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ اللهَ حاكِمٌ، كيفَ يكونُ اعتِقادُكَ لَغْواً وقَولاً بلا حياءٍ؛
مَحَبَّةُ الَّذي هُوَ بلا عَقْلٍ عَداوَةٌ، الحَقُّ تَعالى عَنْ مِثْلِ هذِهِ الخِدْمَةِ غَنِيٌّ؛
لِمَنْ تَقولُ هذا المَقالَ أَلِعَمٍّ وخال، هلِ الجِسْمُ والحاجَةُ مِنْ صِفاتِ ذي الجلال؛
يشرَبُ اللَّبَنَ مَنْ هوَ في نُشوٍّ وَنَماء، يلبَسُ النَّعْلَ مَنْ هوَ في حاجَةِ القَدَم؛
وإذا كانَ هذا الحديثُ والمَقالُ لِعَبْدِهِ، ذاكَ الَّذي قالَ الحَقُّ عَنْهُ هُوَ أنا وأنا هُوَ؛
ذاكَ الَّذي قالَ عَنْهُ إنِّي مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْ، مَرِضْتُ لَهُ ولمْ يَمْرَضْ لِوَحْدِه؛
ذاكَ الَّذي صارَ *بي يسمَعُ وبي يُبْصِرُ*، في حَقِّ ذلِكَ العَبْدِ أيضاً ذا بلا طائل؛
قَوْلُ هذا الحَديثِ بلا أَدَبٍ لِخاصَّةِ الحَقّ، يُميتُ القَلْبَ وَيُسَوِّدُ الوَرَق؛
إذا ما نادَيْتَ رَجُلاً يا فاطِمَةُ، ومَعَ أنَّ الرِّجالَ والنِّساءَ جِنْسٌ واحِدٌ؛
فإنَّهُ يَقْصِدُ دَمَكَ إذا كانَ لَهُ مُمْكِناً، رَغْمَ أنَّهُ حَسَنُ الطَّبْعِ وحليمٌ وساكِن؛
وفاطِمَةُ في حَقِّ النِّساء مَدْحٌ، وإنْ قُلْتَها لِرَجُلٍ كانَتْ طَعْنَةَ سِنان؛
الأيدي والأقدامُ في حَقِّنا لائقَة، وفي حَقِّ طَهارَةِ الحَقِّ غَيْرُ لائقَة؛
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ بِهِ لائق، الوالِدُ والمَولودُ خَلْقُ الخالِق؛
الوِلادَةُ وَصْفٌ لِكُلِّ جِسْمٍ جاءَ، وكُلُّ ما هُوَ مَولودٌ مِنْ هذِهِ الجِهَةِ اطْلُبْهُ؛
ذلِكَ لأنَّهُ كانَ مِنَ الكَوْنِ والفسادِ وَمَهيناً، هُوَ حادِثٌ لا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ يقيناً؛

قالَ يا موسى لَقَدْ خِطْتُ فَمِي، ومِنْ خَجَلي مِنْكَ احْتَرَقَتْ روحي؛
مَزَّقَ الثَّوْبَ وَأَطْلَقَ الآهَ حارِقَةً ، وَمَضى إلى البَيْداءِ هائماً على وَجْهِه؛

عِتابُ الحَقِّ تَعالى لِموسى عليهِ السَّلام مِنْ أجْلِ ذاكَ الرَّاعي

جاءَ الوَحْيُ إلى موسى مِنَ الله، أنْ عَبْدَنا لِماذا أبْعَدْتَ عَنَّا؛
أنتَ جِئتَ مِنْ أجْلِ أنْ تَصْنَعَ الوَصْل، أنتَ لَمْ تَجِئ لِكَيْ تُحْدِثَ الفَصْل؛
ما اسْتَطَعْتَ لا تَسِرْ خُطْوَةً في الفِراق، أبْغَضُ الأشياءِ عِنْديَ الطَّلاق؛
كُلُّ شَخْصٍ جَعَلْتُ لَهُ سِيْرَةً، كُلُّ شَخْصٍ أعْطَيْتُهُ اصطِلاحاً؛
في حَقِّهِ مَدْحٌ وفي حَقِّكَ ذَمٌّ، في حَقِّهِ شَهْدٌ وفي حَقِّكَ سُمٌّ؛
أنا مُبَرَّأٌ مِنْ كُلِّ طاهِرٍ ونَجِسٍ، ومِنْ كُلِّ ثقيلِ روحٍ وخفيفِ روح؛
أنا ما فَعَلْتُ أمْراً لِأجْلِ الرِّبْحَ، بَلْ فَعَلْتُ جُوداً على العِباد؛
اصْطِلاحُ الهِنْدِ لِلْهُنودِ مَدْحٌ، اصْطِلاحُ السِّنْدِ لأهْلِ السِّندِ مَدْحٌ؛
أنا لا أصيرُ طاهِراً مِنْ تَسْبيحِهِم، هُمْ يصيرونَ طاهِرينَ وناثِرينَ للدُّرّ؛
أنا لا أنْظُرُ إلى اللِّسانِ وإلى القال، أنا أنْظُرُ إلى الرُّوحِ وإلى الحال؛
نَحْنُ ناظِرونَ لِلقَلْبِ إنْ كانَ خاشِعاً، رَغْمَ أنَّ حَديثَ اللَّفْظِ لَمْ يَكُنْ خاضِعاً؛
ذاكَ لأنَّ القَلْبَ جَوْهَرٌ والمَقالَ عَرَضٌ، والطُّفَيْلُ عَرَضٌ والجَوهَرُ غَرَض؛
إلامَ هذِهِ الألْفاظُ والإضْمارُ والمَجاز، أُريدُ احتِراقاً احتَرِقْ مَنِ احْتَرَقَ فاز؛
أشْعِلِ النَّارَ مِنَ العِشْقِ في الرُّوح، أحْرِقِ الفِكْرَ والعِبارَةَ جُمْلَةً؛
ويا مُوسى العارِفونَ بالآدابِ قَومٌ، ومُحْتَرِقو النَّفْسِ والرُّوحِ آخَرون؛
العاشِقونَ لَهُمْ في كُلِّ نَفَسٍ احْتِراق، لا خِراجَ ولا عُشْرَ على قَرْيَةٍ خَراب؛
فلَو قالَ خَطَأً لا تَقُلْ خاطِئاً عَنْهُ، ولو كانَ مِلأَهُ دَمُ الشَّهيدِ لا تُغَسِّلْه؛
دَمُ الشُّهَداءِ هذا مِنَ الماءِ أولى، هذا الخَطَأُ مِنْ مِئَةٍ مِنَ الثَّوابِ أولى؛

في داخِلِ الكَعْبَةِ لا رَسْمَ لِلْقِبْلَة، لا غَمَّ لِلْغَوَّاصِ إنْ كانَ مِنْ دونِ حِذاء؛
أنتَ مِنَ السَّكارى لا تَبحَثْ عَنْ دليل، ما طَلَبُكَ رَفْوَ ثِيابِهِم المُمَزَّقَة؛
مِلَّةُ العِشْقِ مُفارِقَةٌ لِجَميعِ الأديان، مِلَّةُ وَمَذْهَبُ الْعاشِقينَ الله؛
الياقُوتُ إنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ خَتْمٌ لا ضَيْر، العِشْقُ في بَحْرِ الغَمِّ ليسَ فيهِ مَغْموم؛

نزولُ الوَحْيِ على موسى عَلَيْهِ السَّلامُ في عُذْرِ ذاكَ الرَّاعي

بَعْدَ ذلِكَ في سِرِّ موسى أسَرَّ الحَقُّ، بِأسرارٍ ليسَتْ بالَّتي تَجيءُ بالقَول؛
على قَلْبِ موسى الأحاديثَ صَبُّوا، الرُّؤيَةَ والقَولَ مَعاً مَزَجوا؛
فَكَمْ غابَ عَنِ الوَعْيِ وَكَمْ عادَ لَهُ الوَعْيُ، وكَمْ طارَ مِنَ الأزَلِ إلى جِهَةِ الأَبَد؛
بَعْدَ هذا إنْ أقُلْ شَرْحاً يكُنْ بلاهَةً، ذاكَ لِأَنَّ هذا وراءَ الإدراك؛
وإنْ قُلْتُ قَلَعَ العُقولَ، وإنْ كَتَبْتُ كَسَرَ الأقلام؛
عِنْدَما سَمِعَ موسى هذا العِتابَ مِنَ الحَقّ، جرى في الصَّحْراءِ خَلْفَ الرَّاعي؛
مُقْتَفِياً آثارَ أقْدامِ ذاكَ الهائم، يُثيرُ الغُبارَ مِنْ أعطافِ الصَّحْراء؛
آثارُ أقدامِ النَّاسِ الهائمين، مُمَيَّزَةٌ عَنْ آثارِ أقدامِ الآخَرين؛
فَقَدَمٌ كالرُّخِّ مِنْ أعلى إلى أسْفَلَ، وَقَدَمٌ كالفيلِ تَذْهَبُ مُعْوَجَّةً؛
تارَةً كأنَّها المَوجُ رافِعاً العَلَم، وتارَةً كأنَّها السَّمَكُ يَجْري على البَطْن؛
وتارَةً حالٌ محفورَةٌ على التُّرابِ، كمِثْلِ رَمَّالٍ يَضْرِبُ الرِّمال؛
وفي النِّهايَةِ وَجَدَهُ ورآهُ، قالَ البُشرى فَقَدْ جاءَ دَستورٌ؛
لا تَبْحَثِ عَن أيَّةِ آدابٍ وتَرتيب، وكُلَّ ما أرادَ قَلْبُكَ الضَّيِّقُ قُلْ؛
كُفْرُكَ دينٌ ودِينُكَ نُورُ روحٍ، آمِنٌ والعالَمُ مِنْكَ في أمان؛
أي مُعَافَ يَفْعَلُ اللهُ ما يشا، بلا مُحاباةٍ اِذْهَبْ وأطْلِقِ اللِّسان؛
قالَ يا موسى لَقَدْ تَجاوَزْتُ ذاك، أنا الآنَ مُضَرَّجٌ بِدَمِ القَلْب؛

أنا قَدْ تَجاوَزْتُ سِدْرَةَ المُنْتَهى، وسِرْتُ عَنْ ذلِكَ الصَّوْبِ مِئةَ أَلْفِ عامٍ؛
مِنْ ضَرْبَةِ سَوطِكَ انطَلَقَ جوادي، وَصَلَ إلى سِقْفِ السَّماءِ وَعَبَرَ الفَلَك؛
مُحْرِمُ ناسوتِنا كانَ لاهوتاً، مَرْحى لِيَدِهِ وَعَضُدِه؛
حالي أنا الآنَ خارِجَ مقالي، هذا الَّذي أقُولُ مهما يَكُنْ ليسَ أحوالي؛
النَّقْشُ ذاكَ الَّذي تراهُ في المِرآة، نَقْشُكَ أنتَ لَيْسَ نَقْشَ المِرآة؛
النَّفَسَ الَّذي أرسَلَ رَجُلُ النَّايِ في النَّاي، لائقٌ بالنَّايِ ليسَ لائقاً بالرَّجُل؛
سَواءً قُلْتَ حَمْداً أو شُكْراً حَذارِ، اِعْرِفْهُ غَيْرَ لائقٍ مِثْلَ ذاكَ الرَّاعي؛
حَمْدُكَ مِنْ نِسْبَةً إلى ذاكَ إنْ كانَ أفْضَل، إلا أنَّهُ مِنْ نِسْبَةٍ إلى الحَقِّ أبْتَر؛
كم تقولُ وعِنْدَما يَرفَعونَ الغِطاء، وهذا لَمْ يَكُنْ ذلِكَ الَّذي يظُنُّون؛
قَبولُ ذِكْرِكَ هذا مِنَ الرَّحْمَة، بِما أنَّ صلاةَ المُسْتَحاضَةِ رُخْصَة؛
صلاتُها مُلَوَّثَةٌ بالدِّماء، وذِكْرُكَ مُلَوَّثٌ بالتَّشْبيهِ والتَّكييف؛
الدَّمُ نَجاسَةٌ وَيَذْهَبُ بالماء، لكِنَّ الباطِنَ لَهُ نجاساتٌ؛
تِلْكَ بِغَيْرِ ماءِ اللُّطْفِ مِنَ الفَعَّال، لا تَقِلُّ مِنْ باطِنِ الرَّجُلِ العامِل؛
في سُجودِكَ لَيْتَكَ تَصيرُ مُتَّجِهاً، وَتَعْلَمُ *معنى سُبحانَ رَبِّي*؛
أي مَنْ سُجودي كوجودي لا يليقُ بِكَ، جَزاءً للسوءِ مِنّي أعْطِني الخَيْرَ مِنْكَ؛
هذِهِ الأرْضُ بِها مِنْ حِلْمِ الحَقِّ أثَر، لِتَنْفِيَ النَّجاسَةَ وتُعطيَ الوَرْدَ والثَّمَر؛
مِنْ أجْلِ أنْ تقومَ بِتَغْطِيَةِ نَجاساتِنا، عِوَضاً تنمو البراعِمُ على وَجْهِها؛
حينَ رأى الكافِرُ أنَّهُ في العَطاءِ والجود، كانَ أفْقَرَ وأقَلَّ مِنَ التُّراب؛
لَمْ يَنْضَجْ مِنْ وجودِهِ ثَمَرٌ ووَرْدٌ، ولَمْ يَنْهَضْ مِنْهُ غَيْرُ فَسادِ جُمْلَةِ الطَّهارات؛
قالَ إنّي كُنْتُ أمشي القَهْقرى حسرَتا يا ليتني كُنتُ الثَّرى
يا ليتني لَمْ أخْتَرِ السَّفَرَ عَنِ التُّراب، ليتَني كُنْتُ كالتُّرابِ تُقْطَفُ مِنّي الحَبَّة؛
عِنْدَما قُمْتُ بالسَّفَرِ اخْتَبَرَني الطَّريق، مِنْ قيامي بالسَّفَرِ لم أحْصَلْ على شيء؛

كانَ مَيْلُهُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ إلى التُّراب، هُوَ في السَّفَرِ لَمْ يُشاهِدْ نَفْعاً أمامَ وَجْهِه؛
يُديرُ وَجْهَهُ إلى الْخَلْف حِرْصٌ وطَمَعٌ، ويُديرُ وَجْهَهُ للأمامِ صِدْقٌ وافتِقارٌ؛
كُلُّ نَبْتَةٍ كانَ لها مَيْلٌ إلى الْعُلا، هِيَ في مزيدٍ وفي حياةٍ وفي نما؛
وحينَ يصيرُ مَيْلُ رَأسِها جِهَةَ الأرْض، تَصيرُ في قِلَّةٍ ويَبْسٍ ونَقْصٍ وغُبْن؛
مَيْلُ روحِكَ إذا كانَ إلى جِهَةِ الأعلى، كانَ مَرْجِعُكَ إلى هُناكَ في تَزايُد؛
وإذا كُنْتَ مِثْلَ مائلِ الرَّأْسِ إلى الأرْض، كُنْتَ آفِلاً والحَقُّ لا يُحِبُّ الآفِلين؛

استِفْسارُ موسى مِنَ الحَقِّ تَعالى عَنْ سِرِّ غَلَبَةِ الظَّالِمين

قالَ موسى أيْ كَريمُ أيْ فَتَّاحُ، أي مَنْ لَحْظَةٌ مِنْ ذِكْرِكَ عُمْرٌ طويل؛
رَأيتُ نَقْشاً أعْوَجَ في الماءِ والطِّين، قامَ قلبي مِثْلَ الملائكةِ بالإعْتِراض؛
أنْ ما هُوَ المَقصودُ مِنْ إيجادِ النَّقْش، وإلقاءِ بِذْرَةِ الفَسادِ في داخِلِه؛
إشعالُ نارِ الظُّلْمِ والفَساد، إحْراقُ المَسْجِدِ والسَّاجِدين؛
جَعْلُ الدَّمِ والصَفْراء يجيشان، هُوَ مِنْ أجْلِ الضَّراعَةِ والإفْتِقار؛
أنا أعْلَمُ يقيناً أنَّهُ عَيْنُ الحِكْمَة، لكِنَّ مَقصودي العِيانُ والرُّؤيَة؛
ذاكَ اليَقينُ كانَ يقولُ لي كُنْ مُطْفِئاً، حِرْصُ الرُّؤيَةِ كانَ يقولُ لي كُنْ مُجيشاً؛
لِكُلِّ الملائكِ أظْهَرْتَ سِرَّ النَّفْس، أنْ مِثْلُ هذا الشَّهْدِ ثَمَنُهُ الوَخْز؛
لَقَدْ عَرَضْتَ نُوْرَ آدَمَ عِياناً، فَصارَتِ المُشْكِلاتُ للملائِكَةِ بياناً؛
الحَشْرُ تقولُ لَكَ سِرُّ المَوت ما يكون، الأثمارُ تقولُ لَكَ سِرُّ الأوراقِ ما يكون؛
سِرُّ الدَّمِ والنُّطْفَةِ حُسْنُ الآدمِيّ، سابِقُ كُلِّ سَبْقٍ متى يكونُ لَهُ آخِر؛
أوّلاً لِيَغْسِلِ اللَّوحَ بلا وقوف، ثُمَّ آنَذاكَ فَلْيَكتُبْ عَلَيْهِ الحُروف؛
يَجْعَلُ القَلْبَ دَماً وذاكَ الزَّمان، يكْتُبُ عَلَيْهِ الأسرارَ بالدَّمْعِ المُستَهان؛
وَقْتَ غَسْلِ اللَّوحِ تَجِبُ المَعْرِفَةُ، أنَّهُمْ سَوفَ يَجْعَلونَ مِنْهُ دَفْتَراً؛

كمِثْلِ أساسِ مَنْزِلٍ يَبنون، أوَّلَ البناءِ الأساسَ يَجْعَلونَ؛
يُخْرِجونَ الطِّيْنَ مِنْ قَعْرِ الأرْض، حتَّى أخيراً يَستَخْرِجوا الماءَ المَعين؛
الأطْفالُ مِنَ الحِجامَةِ بِحُرْقَةٍ يَبكون، لِأَنَّهُمْ سِرَّ هذا العَمَلِ يَجْهَلون؛
والرَّجُلُ يَدْفَعُ بِنَفْسِهِ الذَّهَبَ لِلْحَجَّام، مَسروراً بِذلِكَ المَيْسَمِ الَّذي يَشْرَبُ الدَّمّ؛
الحَمَّالُ يُسْرِعُ إلى جِهَةِ الحِمْلِ الثَّقيل، يخْتَطِفُ الحِمْلَ اخْتِطافاً مِنَ الآخرين؛
أُنْظُرْ إلى حَرْبِ الحَمَّالينَ طَلَبَ الحِمْل، وانْظُرْ لِمِثْلِ هذا الاِجْتِهادِ في العَمَل؛
حيثُ أنَّ الأثْقالَ أساسُ الرَّاحَة، والمراراتُ أيضاً مُقدّماتُ النِّعْمَة؛
حُفَّتِ الجَنَّةُ بِمَكروهاتِنا حُفَّتِ النِّيرانُ مِنْ شَهَواتِنا
بِذْرَةُ أصْلِ نارِكَ رُطوبَةُ الغُصْن، المُحْتَرِقُ بالنَّارِ قَرينُ الكَوثَر؛
كُلُّ مَنْ هُوَ في السِّجْنِ قَرينُ مِحْنَة، ذاكَ جَزاءُ لُقْمَةٍ وَشَهْوَة؛
كُلُّ مَنْ هُوَ في قَصْرٍ قَرينُ دَولَة، ذاكَ جَزاءُ مَشَقَّةٍ وَمِحْنَة؛
وكُلَّ فَرْدٍ رَأيتَ ذا ذَهَبٍ وفِضَّة، اِعْلَمْ أنَّهُ كانَ صابِراً في الكَسْب؛
مَنْ هُوَ بلا نَظَرٍ رأى ذاكَ بلا سَبَبٍ، أنتَ ذو الحِسّ فاسْتَمِعْ للسَّبَب؛
ذاكَ الَّذي خارِجَ الطَّبائِعِ رُوحُهُ، مَنْصَبُ خَرْقِ الأسبابِ ذاكَ لَهُ؛
بلا سَبَبٍ رأى، بِلا عُشْبٍ وماء، رأى عَيْنَ عَيْنِ مُعْجِزاتِ الأنبياء؛
هذا السَّبَبُ كمِثْلِ الطَّبيبِ والعَليل، هذا السَّبَبُ كَمِثْلِ السِّراجِ والفَتيل؛
في اللَّيلِ أشْعِلْ لِسِراجِكَ فتيلاً جَديداً، واعْرِفْ سِراجَ الشَّمْسِ عَنْ هَذا مُنَزَّهاً؛
امضِ وهَيِّئْ لِسَقْفِ دارِك الطِّيْنَ والقَشَّ، ونَزِّهْ سَقْفَ الفَلَكِ عَنِ الطِّينِ والقَشّ؛
آهٍ عِنْدَما صارَ مَحبوبُنا حارِقَ غَمِّنا، خَلْوَةُ اللَّيْلِ انتَهَتْ والنَّهارُ طَلَعَ؛
في غَيْرِ اللَّيْلِ لا تَكُونُ جَلْوَةُ القَمَر، في غَيْرِ الألَمِ لا تَبْحَثْ عَنْ سَعادَةِ القَلْب؛
تَرَكْتَ عيسى وقُمْتَ بِتَرْبِيَةِ الحِمار، لا جَرَمَ أنتَ خارِجَ الحِجابِ كالحِمار؛
طالِعُ عيسى هُوَ العِلْمُ والمَعْرِفَة، الحِمارُ لا طالِعَ لَهُ يا حِمارَ الصِّفَة؛

أنينَ الحِمارِ سَمِعْتَ فجاءَتْكَ رَحْمَةٌ، لَمْ تَعْلَمْ إذَنْ أنَّ الحِمارَ دعاكَ حِماراً؛
كُنْ ذا رَحْمَةٍ على عيسى لا على الحِمار، لا تَجْعَلِ الطَّبْعَ سَيّداً على عَقْلِك؛
أُتْرُكِ الطَّبْعَ حتى تَبكيَ مِنَ الضَّعْف، خُذِ النَّفْسَ مِنْهُ وادْفَعْ قَرْضَ الرُّوح؛
سِنينَ كُنْتَ عَبْدَ الحِمار فكفاكَ، لأنَّ عَبْدَ الحِمارِ كانَ خَلْفَ الحِمار؛
مُرادُهُ مِنْ *أَخِّروهُنَّ* نَفْسُكَ أنْتَ، نَفْسُكَ يَجِبُ أنْ تكونَ آخِراً وَعَقْلُكَ أوَّلاً؛
هذا العَقْلُ السَّافِلُ صارَ في مِزاجِ الحِمار، فِكْرُهُ كَيْفَ أحْصَلُ على العَلَف؛
ذاكَ الحِمارُ أَخَذَ عِيسى مِزاجِ القَلْب، أخَذَ مَنْزِلَ مَقامِ العُقول؛
كانَ العَقْلُ غالِباً والحِمارُ ضَعيفاً، ومِنَ الفارِسِ الضَّخْمِ صارَ الحِمارُ نَحيفاً؛
مِنْ ضَعْفِ عَقْلِكَ أي عِدْلَ الحِمارِ ثَمَناً، هذا الحِمارُ المَهْمومُ صارَ ثُعْباناً؛
إذا كُنْتَ صِرْتَ مِنْ عِيسى مُتَأَلِّمَ القَلْب، الصِّحَّةُ أيضاً تَجيءُ مِنْهُ فلا تَتْرُكْه؛
كيفَ أنْتَ أي عيسَويّاً بِنَفَسِ عيسى مِنَ العَياء، وليسَ في الكَونِ كَنْزٌ بلا حَيَّة؛
كيفَ أنْتَ أي عيسى مِنْ نَظَّارِ اليَهود، كيفَ أنْتَ أي يُوسُفُ مِنْ مَكَّارٍ حسود؛
أنتَ إثْرَ هؤلاءِ الأغْمارِ اللَّيْلَ والنَّهارَ، مَدَدٌ واهِبُ العُمْرِ كاللَّيْلِ والنَّهار؛
كَيْفَ أنتَ مِنْ صَفراويّينَ بلا فَضْل، أيُّ فَضْلٍ يُولَدُ مِنَ صَفراءِ وَجَعِ الرَّأس؛
أنتَ فاعْمَلْ عَيْنَ عَمَلِ شَمْسِ الشَّرْق، فنحنُ النِّفاقُ والحِيْلَةُ والسَّرِقَةُ والرِّياء؛
أنتَ عَسَلٌ ونَحْنُ خَلٌّ دِينٍ ودُنيا، دَفْعُ هذي الصَّفْراءِ يكونُ بِالخلِّ والعَسَل؛
نَحْنُ زِدْنا في الخَلِّ نَحْنُ قَومُ الكَبَد، زِدْ أنْتَ في العَسَلِ ولا تَمْنَعْ عَنَّا الكَرَم؛
هذا يَليقُ بنا بِما أنَّهُ جاءَ مِنَّا، إنَّما الرَّمْلُ في العَيْنِ زِيادَةٌ في العَمى؛
وذاكَ يليقُ بِكَ يا كُحْلَ العَزيز، لِيَجِدَ كُلٌّ لا شَيءٍ مِنْكَ شَيْئاً؛
مِنْ نارِ ظَالِميكَ هؤلاءِ قَلْبُكَ كَباب، مِنْكَ لِلْجَميعِ كانَ *اِهْدِ قَومي* الخِطاب؛
العُودُ فيكَ ذاكَ لَوْ أشْعَلوا بِهِ النَّار، امْتَلأَ الكَوْنُ مِنْهُ بالعِطْرِ والرَّيْحان؛
أنْتَ لَسْتَ عُوداً تُنْقِصُهُ النَّارُ، أنتَ لَسْتَ رُوحاً يَصيرُ أسيرَ غَمّ؛

أحْرَقَ العُودَ ذاكَ عُودٌ بَعيدٌ عَنِ الحَرْقِ، متى الرِّيْحُ حَمَلَتْ على أصْلِ النُّور؛
أي مِنْكَ للسَّمٰواتِ صَفاء، أي جَفاكَ أجْمَلُ مِنَ الوَفاء؛
لِأنَّ الجَفاءَ مِنَ العاقِلِ إذا جرى، مِنْ وفاءِ الجاهِلينَ خَيْرٌ وأحْرى؛
قالَ النَّبيُّ عَداوَةٌ مِنْ عاقِلٍ ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ مَحَبَّةٍ مِنْ جاهِلٍ؛

إيذاءُ أميرٍ نائمٍ كانَتْ حَيَّةٌ قَدْ دَخلَتْ في فَمِه

عاقِلٌ فارِسٌ كانَ مُقْبِلاً على جَوادٍ، وكانَتْ حَيَّةٌ تَدْخُلُ في فَمِ نائمٍ؛
الفارِسُ ذاكَ رأى تِلْكَ الحَيَّةَ فَأَسْرَعَ، ليُمْسِكَ بِها فَلَمْ يَجِدِ فُرْصَةً؛
ولَمَّا كانَ لَهُ مِنْ عَقْلِهِ كَثيرُ مَدَدٍ، ضَرَبَ النَّائمَ بِقُوَّةٍ بِضْعَ دبابيس؛
أوجَعَتْهُ ضَرْبَةُ ذلِكَ الدَّبُّوسِ وَجَعاً شديداً، فَفَرَّ مِنْها هارِباً إلى تَحْتِ شَجَرَة؛
كانَتِ الشَّجَرَةُ قَدْ ألْقَتْ كثيراً مِنَ التُّفَّاحِ الفاسِدِ، قالَ كُلْ مِنْ هذا أيُّها المُتَألِّم؛
جَعَلَهُ يَأكُلُ رَغْماً كَثيراً مِنَ التُّفَّاحِ، حَتَّى صارَ التُّفَّاحُ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ خارِجاً؛
آخِراً صَرَخَ قائلاً أي أميرُ لِماذا، قُمْتَ بِقَصْدي ولم تَرَ مِنِّي جَفاءً؛
إنْ كُنْتَ ذا عداوَةٍ مَعَ روحي مِنَ الأصْلِ، اضرِبْني ضَرْبَةً بالسَّيْفِ أرِقْ دَمي؛
ساعَةُ رؤيَتِكَ لي ساعَةٌ مَشؤومَةٌ، أي هَنيئاً لِذلِكَ الَّذي لَمْ يَرَ لكَ وَجْهاً؛
بلا جِنايَةٍ بِلا ذَنْبٍ بلا كَثيرٍ ولا قليلٍ، المُلْحِدُونَ لا يَرَونَ جائزاً هذا الظُّلْم؛
الدَّمُ مُنْبَجِسٌ مِنْ فَمِي مَعَ الكلِمات، إلهي أخيراً جازِهِ المُجازاة؛
وكُلَّ لَحْظَةٍ ذاكَ يقولُ اللَّعْنَةُ عَلَيْك، ويَضْرِبُهُ حَتّى جَرى في الصَّحْراء؛
جَرى كالرِّيحِ مِنْ أذى الدَّبُّوسِ والفارِسِ، يَقَعُ على وَجْهِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرى؛
كانَ مُمْتَلئاً مُخالَطاً بالنَّومِ ومُتْعَباً، ومئةُ ألْفِ جِراحَةٍ أصابَتْ وَجْهَهُ وقَدَمَه؛
إلى وَقْتِ اللَّيْلِ يَسْحَبُهُ ويُطْلِقُهُ، حتَّى مِنَ الصَّفْراءِ وَقَعَ لَهُ القَيْء؛
خَرَجَ مِنْهُ ما أكَلَ مِنْ طَيِّبٍ وفاسِدٍ، والحَيَّةُ مَعَ تِلْكَ المأكولاتِ خَرَجَتْ مِنْه؛

حينَ رأى مِنْ نَفْسِهِ تِلْكَ الحَيَّةَ خارِجاً، قامَ بالسُّجودِ لذاكَ الفاعِلِ المُحسِن؛
ذَهَبَتْ مِنْهُ تِلْكَ الآلامُ حينَ رأى، هَوْلَ تِلْكَ الحَيَّةِ القَبيحَةِ الضَّخْمَة؛
قالَ هل أنتَ نَفْسُكَ جِبريلُ الرَّحْمَةِ، أمْ إلٰهِيٌّ فأنتَ وليُّ نِعْمَة؛
مُبارَكَةٌ السَّاعَةُ الَّتي رأيتَني بِها، كُنْتُ مِتُّ لولاكَ أعطيتَني حياةً جَديدَةً؛
كُنْتَ في طَلَبي تَجْري مِثالَ الأُمَّهاتِ، وكُنْتُ أهْرَبُ مِنْكَ مِثالَ الحَمير؛
الحِمارُ فَرَّ مِنْ صاحِبِهِ مِنْ دناءَةِ أصْلِه، وصاحِبُهُ في إثْرِهِ مِنْ حُسْنِ جَوْهَرِه؛
يَبْحَثُ عَنْه لا طَلَبَ النَّفْعِ والضُّرِّ، بل لِئلَّا يُمَزِّقَهُ الذِّئبُ أو وَحْشٌ مُفْتَرِس؛
أي سَعيدٌ ذلِكَ الَّذي وَجْهَكَ رأى، أو أنَّهُ مَرَّ صُدْفَةً في حِماك؛
أي طاهِرَ الرُّوحِ الجَديرَ بالثَّنا، كمْ قُلْتُ في حَقِّكَ مِنْ هَذْرٍ ومِنْ أذى؛
أي مَليكٌ ومَلِكُ مُلوكٍ وأمير، أنا لَمْ أقُلْ، قالَ جَهْلي، فلا تؤاخِذْني؛
لو كُنْتُ عالِماً بِشُمَّةٍ مِنْ هذِهِ الحالِ، ما كُنْتُ بِمِثْلِ هذا القَولِ بلا طائلٍ قائلاً؛
كُنْتُ قُلْتُ بالثَّناءِ عَلَيْكَ أي حَسَنَ الخِصال، لو كُنْتَ قُلْتَ لي رَمْزاً مِنَ الحال؛
لكِنْ كُنْتَ بِصَمْتِكَ تُثيرُ اضطِرابي، تَدُقُّني وأنتَ صامِتٌ على رَأسي؛
رأسي ضاعَتْ وخَرَجَ مِنها عَقْلي المُخالَطُ، هذهِ الرَّأسُ خاصَّةً عَقْلُها قليلٌ؛
أُعْفُ عَنِّي أي حَسَنَ الوَجْهِ حَسَنَ الفِعْل، كُلُّ ما قُلْتُ مِنْ جُنونٍ تَجاوَزْ عَنْه؛
قالَ لو أنَّني قُلْتُ لَكَ رَمْزاً مِنْ ذاك، كانَتْ مَرارَتُكَ استَحالَتْ ماءً في الحال؛
ولو أنَّني قُلْتُ لَكَ أوصافَ الحَيَّة، كانَ رُعْبُ روحِكَ جَلَبَ لَكَ الدَّمار؛
قالَ المُصْطَفى لو قُلْتُ حَقَّاً لكُم، شَرْحَ ذاكَ العَدُوِّ الَّذي هُوَ في رُوحِكُم؛
لَمَزَّقَ مَراراتِ شُجْعانِكُم، وما سارَ أحَدُكُم في دَرْبٍ و لا أكَلَ غَمَّ عَمَلٍ؛
وما بَقِيَتْ لِقَلْبِهِ طاقَةُ الابْتِهال، ولا لِجِسْمِهِ قُوَّةُ الصَّومِ والصَّلاة؛
ولصارَ مَعْدوماً مِثْلَ فَأْرٍ أمامَ قِطَّةٍ، ولصارَ مُرتَعِداً مِثْلَ حَمَلٍ أمامَ ذِئبٍ؛
ولَما بَقِيَتْ في داخِلِهِ حِيلَةٌ ولا مَسْلَكٌ، فقُمْتُ بِكِتْمانِ ذاكَ رِعايَةً لَكُم؛

مِثْلَ أبي بَكْرٍ الرَّبابيّ ضَرَبْتُ الجَسَد، مِثْلَ داؤودَ أعْمَلْتُ اليَدَ بالحَديد؛
حتَّى يَصيرَ المحالُ مِنْ يدي حالاً، ويصيرَ للطَّائِرِ مَقصوصِ الرِّيشِ جَناحٌ؛
كما *يَدُ اللهِ فَوقَ أيديهِمْ*، دعا يَدَنا يَدَهُ الأحَد؛
فَصارَ اليَقينُ لنا يَداً طويلَةً، عَبَرَتْ مِنَ السَّماءِ السَّابِعَة؛
يَدُنا أظْهَرَتِ الفَضْلَ لِلْفَلَكْ، مُقْرِئا اِقْرَأْ قَدِ *انشَقَّ القَمَر*؛
هذِهِ الصِّفَةُ أيضاً مِنْ أجْلِ ضَعْفِ العُقول، شَرْحُ القُدْرَةِ للضُّعفاءِ متى يُتاح؛
اِعْرِفِ النَّفْسَ حِينَ تَرْفَعُ الرَّأْسَ مِنَ النَّوم، صارَ خَتْمٌ *واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب*؛
فَلَمْ تَكُنْ لَكَ قُوَّةٌ على الأكْل، ولا طَريقَ كانَ لَك ولا مَجالَ للقَيء؛
كُنْتُ أسْمَعُ الفُحْشَ وأسوقُ الحِمار، كُنْتُ أقْرَأُ تَحْتَ الشَّفَةِ *ربِّ يَسِّرْ*؛
ذِكْرُ السَّبَبِ لَكَ لَمْ يَكُنْ لي دَستوراً، واختيارُ تَرْكِكَ لَمْ يَكُنْ لي مَقْدوراً؛
كُلَّ لَحْظَةٍ مِنَ الألَمِ كُنْتُ أقولُ في داخِلي، *اهْدِ قَومي إنَّهُمْ لا يَعْلَمون؛*
سَجَدَ سَجداتٍ ذاكَ المُحَرَّرُ مِنَ الألَم، أنْ أيْ أنتَ سَعادَةٌ وأنتَ لي إقبالٌ وكَنْز؛
مِنَ اللهِ فَلتَجِدِ الجَزاءَ أيُّها الشَّريفْ، قُوَّةَ شُكْرِكَ لا يَمْلِكُ هذا الضَّعيف؛
كي أقولَ لَكَ الشُّكْرَ بالحَقّ أيْ وَجيه، الشَّفَةَ والفَكَّ لا أملكُ لِذلِكَ ولا الصَّوت؛
عَداوَةُ العاقِلينَ مِنْ هذِهِ الشَّاكِلَة، السُّمُّ مِنْهُمُ ابتِهاجٌ للرُّوح؛
مَحَبَّةُ الأبْلَهِ ألَمٌ وضَلال ، اِسْتَمِعْ لِهذِهِ الحِكايَةِ مِنْ أجْلِ المِثال؛

الاعْتِمادُ على تَمَلُّقِ ووفاءِ الدُّبّ

كانت أفْعى تَبْتَلِعُ دُبّاً، ذَهَبَ رَجُلٌ شُجاعٌ وأنْقَذَهُ؛
الرِّجالُ الشُّجْعانُ في العالَمِ مَددٌ، زَمانَ يُلَبُّونَ صَرْخَةَ المَظلومين؛
صَرْخَةَ المَظلومينَ إذْ يسمعونَ، كَرَحْمَةِ الحقّ جِهَتَها يَجْرونَ؛
أولئكَ عَمَدُ خِلالِ العالَم، أولئكَ أطِبَّاءُ الأمراضِ الخَفِيَّة؛

مَحْضُ مَحَبَّةٍ وعَدْلٍ ورَحْمَة، كالحَقّ هُمْ بلا عِلَّةٍ ولا رَشْوَة؛
قيلَ ما عَونُكَ هذا لهُ فَجْأةً، قالَ مِنْ أجْلِ غَمّهِ وَمِسْكَنَتِه؛
الرَّحْمَةُ صارَتْ صَيْدَ الرَّجُلِ الشُّجاع، الدَّواءُ في الدُّنيا لا يَبْحَثُ إلّا عَنِ الألَم؛
حيثُما كانَ ألَمٌ يَذْهَبُ الدَّواء، حيثُما كانَ مُنْخَفَضٌ يَذْهَبُ الماء؛
ماءُ الرَّحْمَةِ لازِمٌ اجْعَلِ الوَجْهَ مُنْخَفِضاً، وآنَذاكَ خَمْرَ الرَّحْمَةِ اشْرَبْ واسكَرْ؛
تأتيكَ رَحْمَةٌ بِرَحْمَةٍ إلى الرَّأس، لا تَقْتَصِرْ على رَحْمَةٍ واحِدَةٍ أيْ وَلَد؛
اِجْعَلِ الفَلَكَ تَحْتَ قَدَمَيكَ أيْ شُجاع، واسْتَمِعْ مِنْ فَوقِ الفَلَكِ لِألْحانِ السَّماع؛
أخْرِجْ خارِجَ الأُذُن قِطْنَ الوَسواسِ، حتَّى يَصِلَ إلى أُذُنِكَ مِنَ الفَلَكِ الصَّخَب؛
طَهِّرْ كِلتا العَينَيْنِ مِنْ شَعْرَةِ العَيْب، حتَّى ترى بُستانَ وَسَرْوَ بُستانِ الغَيْب؛
وادْفَعْ عَنِ الدِّماغِ وعَنِ الأنْفِ الزُّكام، حتَّى تَصِلَ إلَيْكَ رِيحُ اللهِ إلى المَشامّ؛
لا تَذَرْ فيكَ أثَراً مِنَ الحُمَّى والصَّفْراءِ، حَتَّى تَجِدَ مِنَ العالَمِ طَعْمَ السُّكَّر؛
خُذْ دواءَ الرُّجولَةِ ولا تَسِرْ عِنِّيناً، لِيَطْلَعَ مِنْكَ مِئةُ نَباتٍ حَسَنِ الوجهِ؛
انْزَعْ خَشَبَةَ البَدَنِ مِنْ قَدَمِ الرُّوحِ، حَتّى تَقومَ بالجَوَلانِ حَوْلَ ذلِكَ الرَّوض؛
أبْعِدْ غِلَّ البُخْلِ عَنْ يَدِكَ وَعَنْ عُنُقِكَ، أُطْلُبِ البَخْتَ الجَديدَ في الفَلَكِ القَديم؛
إنْ كُنْتَ لا تَستَطيعُ الطَّيَرانَ في كَعْبَةِ اللُّطْفِ، اِعْرِضْ مَسكَنَتَكَ على المُدَبِّر؛
التَّضَرُّعُ والبُكاءُ القَويُّ رَأْسُمالٍ، الرَّحْمَةُ الكُلِّيَّةُ أقوى مِنَ المُرَبِّيَة؛
المُرَبِّيَةُ والأُمُّ باحِثَتانِ عَنِ الذَّريعَةِ، إلى أنْ يقومَ ذلِكَ الطِّفْلُ بالبُكاء؛
خَلَقَ اللهُ طِفْلَ حاجاتِكُم، اِبْكوا لِيصيرَ اللَّبَنُ لَهُ ظاهِراً؛
قالَ *أُدْعُوا اللَّهَ* لا تَكُنْ نافِراً، ليجيشَ لَبَنُ كُلِّ مَحَبَّةٍ مِنْه؛
هوى هوى الرِّيحِ والغَيْمُ ناثِرُ اللَّبَنِ، كائنانِ في غَمِّنا، اِصْبِرْ ساعَةً واحِدَةً؛
في السَّماءِ رِزْقُكُمْ قد سَمِعْتَ، علامَ في هذِهِ الحُفْرَةِ التَصَقْتَ؛
خَوفُكَ ويأسُكَ اعْلَمْهُما صَوتَ غول، يشُدُّكَ مِنْ أُذُنِكَ إلى قَعْرٍ سُفُول؛

كُلُّ نِداءٍ يَشُدُّكَ إلى أعْلى، ذاكَ نِداءٌ اعْلَمْهُ جاءَ مِنْ أعْلى؛
كُلُّ نِداءٍ جَلَبَ لَكَ حِرْصاً، اعْرِفْهُ صَوتَ ذِئبٍ مَزَّقَ آدَمِيَّاً؛
هذا العُلُوُّ ليسَ مِنْ قِبَلِ المَكان، هذِهِ معالي جِهَةِ العَقْلِ والرُّوح؛
كُلُّ سَبَبٍ جاءَ أعلى مِنَ الأثَر، الْحَجَرُ والحَديدُ فائقانِ على الشَّرَر؛
ذاكَ فُلانٌ فَوقَ رَأسِ ذاكَ الجالِسِ إلَيه، رَغْمَ أنَّهُ في الصُّورَةِ جالِسٌ أمامَه؛
الفَوقُ هُناكَ فَوقٌ مِنْ قَبيلِ الشَّرَف، المَكانُ البَعيدُ عَنِ الصَّدْرِ مَكانٌ مُسْتَخَفّ؛
الحَجَرُ والحَديدُ مِنْ هذِهِ الجِهَةِ سابِقانِ، لكِنْ مِنْ حَيْثُ العَمَلُ بالفَوقِيَّةِ لائقان؛
وذاكَ الشَّرَرُ مِنْ وَجْهِ مَقصودِيَّتِهِ، سابِقٌ الحَديدَ والحَجَرَ مِنْ هذا الوَجْهِ كَثيراً؛
الحَجَرُ والحَديدُ أوَّلٌ والشَّرَرُ آخِرٌ، لكِنَّ هذينِ الاثنَينِ بَدَنٌ والرُّوحُ شَرَر؛
ذاكَ الشَّرَرُ إنْ كانَ لاحِقاً في الزَّمان، أفْضَلُ في الصِّفَةِ مِنَ الحَجَرِ والحديد؛
في الزَّمانِ الغُصْنُ سابِقٌ الثَّمَرَ، وفي الفَضْلِ الثَّمَرُ فائقٌ الغُصْن؛
ولمَّا كانَ المَقصودُ مِنَ الشَّجَرِ هُوَ الثَّمَر، فالثَّمَرُ كانَ أوَّلاً إذَنْ والشَّجَرُ آخِراً؛
لَمَّا صَرَخَ الدُّبُّ مُستَغيثاً مِنَ الأفعى، حَرَّرَهُ الرَّجُلُ الشُّجاعُ مِنْ قَبْضَتِها؛
الحِيلَةُ والبُطولَةُ مَعاً تعاضَدا، هُوَ بِهذِهِ القُوَّةِ قَتَلَ الأفعى؛
الأفعى لَها قُوَّةٌ ولَيْسَ لها حِيْلَةٌ، وفَوقَ حِيلَتِكَ تُوجَدُ حِيْلَةٌ أيضاً؛
حِيلَتَكَ إذْ رَأَيْتَ عُدْ راجِعاً، مِنْ حَيْثُ أتَيْتَ، اِمْضِ إلى جِهَةِ المَبْدَأ؛
كُلُّ ما في الأسْفَلِ جاءَ مِنْ أعلى، ألا فاجْعَلِ النَّظَرَ إلى جِهَةِ الأعلى؛
النَّظَرُ في العُلى وَهَبَ ضياءاً، رَغْمَ أنَّهُ أوَّلاً جَلَبَ حَيْرَةً؛
عَوِّدِ العَيْنَ على النَّظَرِ في الضِّياء، إنْ لَمْ تَكُنْ خفَّاشاً أُنْظُرْ تِلْكَ الجِهَةَ؛
في العاقِبَةِ تَرى إشارَةَ نورِك، شَهْوَةُ الحالِ حَقيقَةُ قَبْرِك؛
في العاقِبَةِ ترى أنَّ مَن رأى مِئةَ لُعْبَةٍ، لَيْسَ كذاك الَّذي سَمِعَ بِلُعْبَةٍ واحِدَة؛
مِنْ تِلْكَ اللُّعْبَةِ الواحِدَةِ كم صارَ مَغروراً، حتَّى مِنَ التَّكَبُّرِ ابتَعَدَ عَنِ الأساتِذَة؛

كالسَّامِرِيِّ إذْ رأى ذلِكَ الفَضْلَ في نَفْسِه، قامَ مِنَ التَّكَبُّرِ بالتَّمَرُّدِ على موسى؛

هُوَ مِنْ موسى تَعَلَّمَ ذلِكَ الفَضْلَ، ثُمَّ أغْلَقَ العَيْنَ عَنِ المُعَلِم؛

لا جَرَمَ موسى أظْهَرَ لَعِباً آخَرَ، لِيَخْتَطِفَ ذاكَ اللاعِبَ وَيَخْتَطِفَ روحَه؛

أيْ كَمْ مِنْ عِلْمٍ سرى في الرَّأس، حتَّى كانَ مِنْهُ كِبْرٌ أودى بتِلْكَ الرَّأس؛

إنْ كُنْتَ لا تُريدُ أنْ تَذهَبَ رَأسُكَ كُنْ قَدَماً، كُنْ في حِمى قُطْبٍ صاحِبِ رأيٍ؛

ولو كُنْتَ مَلِكاً لا تَرَ نَفْسَكَ فَوقَهُ، ولو كُنْتَ شَهْداً لا تَجْنِ غَيْرَ نَباتِه؛

فِكْرُكَ رَسْمٌ وَفِكْرُهُ روحٌ، نَقْدُكَ زَيْفٌ وَنَقْدُهُ مَنْجَمٌ؛

هُوَ أنتَ فابْحَثْ عَنْ نَفْسِكَ فيه، أينَ أينَ قُلْ وصِرْ كالحَمامَةِ إلَيه؛

إذا كُنْتَ لا تَطْلُبُ خِدْمَةَ أبناءِ الجِنْس، في فَمِ الأفعى كذلِكَ الدُّبّ؛

فَرُبَّما يقومُ بِتَحْريرِكَ أُستاذٌ، يقومُ بِسَحْبِكَ خارِجاً مِنَ الخَطَر؛

كُنْ باكياً إذا كُنْتَ بلا قُوَّةٍ تَنَبَّهْ، وأنْتَ أعمى لا تَعْصِ مُبْصِرَ الطَّريقِ؛

لا تَكُنْ أقَلَّ شكاةً مِنَ الدُّبِّ مِنَ الألَمِ، الدُّبُّ نجا مِنَ الألَمِ عِنْدما قامَ بالصُّراخ؛

إلهي اجْعَلْ مِنْ هذا القَلْبِ مِنَ الصَّخْرِ شَمْعاً ، اِجْعَلْ بُكاءنا جَميلاً وَمَرْحوماً؛

قولُ أعْمىً سائلٍ أنا أعْمىً مَرَّتَين

كانَ أعْمىً دائمَ القَوْلِ الأمانْ إنَّ بي نَوْعَيْ عَمىً، أهْلَ الزَّمان؛

رَحْمَةً بي فارْحَموني مَرَّتَين حَيْثُ أنّي واقِعٌ في عَمَيَين؛

واحِدٌ قالَ نرى مِنْكَ عَمىً واحِداً فما ذلِكَ العَمى الآخَرُ أبْدِهِ لنا؛

قالَ أنا قَبيحُ صَوتٍ ورديءُ لَحْنٍ، وقُبْحُ الصَّوتِ والعَمى زوجٌ؛

صَوتيَ القَبيحُ يصيرُ مَورِدَ غَمٍّ، مِنْ صَوتي تَنْقُصُ مَحَبَّةُ الخَلْقِ لي؛

صَوتيَ القَبيحُ إلى أيِّ مكانٍ ذَهَبَ، صارَ مَصْدَرَ غَضَبٍ وَغَمٍّ وَحِقْدٍ؛

ارحَموا ذا العَمَيَينِ رَحْمَتَينِ اثنَتَين، مِثْلَ هذا المُشَرَّدِ بلا مأوىً آووا؛

قُبْحُ الصَّوتِ قَلَّ مِنْ هذِهِ الشِّكايَة، صارَ الخَلْقُ في رَحْمَتِهِ قَلْباً واحِداً؛
عِنْدَما قامَ هُوَ بِقَوْلِ هذا السِّرّ، لُطْفُ صَوتِ قَلْبِهِ جَعَلَ صَوتَهُ جَميلاً؛
وذاكَ الَّذي صَوتُ قَلْبِهِ كانَ سَيِّئاً أيضاً، كانَ أعْمىً ثلاثاً وكانَ بُعْدُهُ سَرْمَدِيّاً؛
لكِنَّ الوَهَّابينَ يُعطونَ بلا عِلَّةٍ، فقَدْ يَضَعونَ اليَدَ على رَأسِ قُبْحِه؛
عِنْدَما صارَ صَوتُهُ جَميلاً ومظلوماً، صارَ قَلْبُ قُساةِ القلوبِ عليهِ كالشَّمْع؛
ولمَّا كانَ أنينُ الكافِرِ قبيحاً وَشَهيقاً، لم تَصِرِ الإجابَةُ مِنْ ذلِكَ لَهُ رفيقاً؛
اخْسَؤوا جاءَتْ لِكُلِّ قَبيحِ صَوتٍ، كانَ كالكَلْبِ سَكْرانَ مِنْ دَمِ الخَلْق؛
أنينُ الدُّبِّ كانَ جاذِباً للرَّحْمَةِ، وأنينُكَ لَمْ يَكُنْ كذلِكَ لأنَّهُ كانَ قبيحاً؛
اِعْلَمْ أنَّكَ عَمِلْتَ ذِئباً لِيوسُفِك، أو أنَّكَ شَرِبْتَ مِنْ دِماءِ الأبرياء؛
فقُمْ بالتَّوبَةِ وقُمْ بالاِستِفْراغِ مِمَّا شَرِبْتَ، وإنْ كانَتِ الجِراحَةُ قديمَةً فَقُمْ بالكَيّ؛

تَتِمَّةُ حِكايَةِ الدُّبِّ وذلِكَ الأبْلَهِ الَّذي كانَ قَدِ اعْتَمَدَ على وَفائه

الدُّبُ أيضاً عِنْدَما نَجا مِنَ الأفْعى، ورأى ذاكَ الكَرَمَ مِنْ ذلِكَ الرَّجُلِ الشُّجاع؛
صارَ ذلِكَ الدُّبُّ الضَّعيفُ مُلازِماً أثَرَ ذلِكَ الحَليم، مِثْلَ كَلْبِ أصحابِ الكَهْفِ؛
المُسْلِمُ ذاكَ وَضَعَ الرَّأسَ مِنَ التَّعَبِ، والدُّبُّ مِنَ التَّعَلُّقِ بِهِ صارَ حارِساً له؛
مرَّ واحِدٌ قالَ لَهُ ما هذِهِ الحال، أي أخي هذا الدُّبُّ ما يكونُ بالنِّسْبَةَ لَكَ؛
فروى لَهُ القِصَّةَ وحديثَ الأفْعى، قالَ لا تُعْطِ قَلْبَكَ لِلدُّبِّ أيْ أبْلَه؛
مَحَبَّةُ الدُّبِّ أسْوَأُ مِنْ عَداوَتِه، أبْعِدْهُ عَنْكَ بِكُلِّ حِيْلَةٍ تَعْرِفُها؛
قالَ واللهِ قُلْتَ هذا مِنَ الحَسَد، ما ترى فيهِ مِنْ طَبْعِ الدُّبِّ، انظُرْ إلى عَطْفِه؛
قالَ مَحَبَّةُ البُلَهاءِ خادِعَةٌ، هذا الحَسَدُ مِنِّي أفْضَلُ مِنْ مَحَبَّتِه؛
هيَّا تَعالَ مَعي نُبْعِدِ الدُّبَّ، لا تَخْتَرِ الدُّبَّ وتُبعِدْ أهْلَ جِنْسِك؛
قالَ اِذْهَبِ اذْهَبْ وَكُنْ بِشُغْلِكَ أي حسود، قالَ شُغلي هذا ليسَ سوءاً ورياءً؛

أنا لَسْتُ أَقَلَّ مِنَ الدُّبِّ أيْ شَريف، قُمْ بِتَرْكِ الدُّبِّ لِأصيرَ لَكَ رفيقاً؛
قلبي يَرْتَجِفُ عَلَيكَ رَحْمَةً مِنْ فِكْري، مَعَ مِثْلِ هذا الدُّبِّ لا تَذْهَبْ إلى غابَةٍ؛
قلبي هذا ما ارتَجَفَ أبَداً جُزافاً، هذا نورُ الحَقِّ ليسَ دَعوى وليسَ جُزافاً؛
صِرْتُ المُؤمِنَ *يَنْظُرُ بنورِ الله*، حَذارِ حَذارِ فُرَّ مِنْ مَوقِدِ النَّارِ هذا؛
قالَ هذا كُلَّهُ وما دَخَلَ في أُذُنِهِ، سوءُ ظَنِّ المَرْءِ سَدٌّ غليظٌ؛
وأمْسَكَ يَدَهُ فَسَحَبَها مِنْهُ، قالَ ذَهَبْتُ أنتَ لَسْتَ بِصَديقٍ رَشيد؛
قالَ اِذْهَبْ ولا تَكُنْ عَلَيَّ بالمَغْمومِ، وأقِلَّ مِنْ ادِّعاءِ المَعْرِفَة أي أبا الفُضول؛
فأعادَ لَهُ القَولَ لَسْتُ لَكَ عَدُوّاً، وسيكونُ لُطْفاً مِنْكَ لَو لَحِقْتَ بي؛
قالَ سَوفَ أنامُ دَعْني وامْضِ، قالَ أخيراً فلْتَصِرْ مُنقاداً للصَّديق؛
لِكي تنامَ في حِمى عاقِلٍ، في جِوارِ صَديقٍ صاحِبِ قَلْبٍ؛
سَقَطَ الرَّجُلُ في الخيالِ مِنْ جَدِّه، وصارَ غاضِباً سَريعاً وأدارَ وَجْهَهُ؛
أنْ لَعَلَّ هذا جاءَ يَقْصِدُ دَمي، أو أنَّهُ عِنْدَهُ طَمَعٌ فَهُوَ شَحَّاذٌ ومُسْتَجْدٍ؛
أو أنَّهُ تَشارَطَ مَعَ أصْدِقائِهِ على هذا، بأنْ يُخَوِّفَني مِنْ جَليسي هذا؛
مِنْ خُبْثِ سِرِّهِ لَمْ يَرِدْ إلَيْهِ أبَداً، ظَنٌّ واحِدٌ حَسَنٌ إلى خاطِرِهِ؛
ظَنُّهُ الحَسَنُ كانَ جُمْلَةً بالدُّبِّ، كما لو أنَّهُ كانَ مِنْ جِنْسِ الدُّبّ؛
جَعَلَ التُّهْمَةَ على العاقِلِ مِنْ وَحْشِيَّتِه، ورأى الدُّبَّ أهْلاً للمَحَبَّةِ والإنْصاف؛

قَولُ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ لِعابِدِ العِجْلِ ذاكَ تَفْكيرٌ خَيالٌ أينَ حَزمُك

قالَ موسى لِواحِدٍ بِهِ سُكْرُ الخيال، أيْ سَيِّءَ الفِكْرِ مِنَ شقاوَةٍ ومِنْ ضلال؛
مِئةُ ظَنٍّ كانَ لَكَ في نُبُوَّتي، بِمِثْلِ هذا البُرْهانِ وهذا الخُلُقِ الكَريم؛
مِئَةَ ألْفِ مُعْجِزَةٍ رَأيْتَ مِنّي، فزادَ عِنْدَكَ الخيالُ والشَّكُّ والظَّنُّ مِئة مَرَّةٍ؛
صِرْتَ في ضِيقٍ مِنَ الخَيالِ والوَسْوَسَةِ، فَقُمْتَ بالطَّعْنِ في نُبُوَّتي؛

جَعَلْتُ لَكَ مِنَ البَحْرِ تُراباً عِياناً، لِأُحَرِّرَكَ مِنْ شَرِّ الفَرْعونِيّين؛
أربعينَ عاماً الكأسُ والخُوانُ مِنَ السَّماء، مِنْ دُعائي جَرى مِنَ الصَّخْرِ الماء؛
هذا ومِثْلَهُ مِئةٌ وكَم وكم مِنْ بارِدٍ وحارٍّ، ومِنْكَ أيْ بارِدُ ذاكَ التَّوَهُّمُ لا يَقِلّ؛
عِجْلٌ أرْسَلَ الصَّوتَ مِنَ السِّحْرِ، فقُمْتَ لَهُ بالسُّجودِ أنْ أنتَ رَبّي؛
تِلْكَ التَّوَهُّماتِ جَرَفَ السَّيْلُ، ذُكاءَكَ البارِدَ أَخَذَ النَّوم؛
كَيْفَ لَمْ تَظُنَّ في حَقِّهِ ظَنَّ سُوءٍ، كَيْفَ وَضَعْتَ الرَّأْسَ هكذا أيْ قَبيحَ الوَجْه؛
كَيْفَ لَمْ يَأتِكَ الخيالُ مِنْ تَزويرِهِ، ومِنْ فَسادِ سِحْرِهِ الَّذي يَأْخُذُ الأحْمَق؛
أيْ كِلابُ السَّامِرِيُّ نَفْسُهُ ما يكونُ، كَي يَدَّعي الرُّبوبيَّةَ في الدُّنيا؛
كيفَ صِرْتَ واحِدَ القَلْبِ بِهذا التَّزويرِ، وصِرْتَ عاطِلاً مِنْ جِميعِ الإشكالات؛
العِجْلُ قدْ يكونُ رَبّاً بِدَعواهُ، وفي رِسالَتي قُمْتَ بالخِلاف؛
قُمْتَ بالسُّجودِ أمامَ العِجْلِ مِنْ سَفَهٍ، صارَ عَقْلُكَ صَيْدَ سِحْرِ السَّامِري؛
سَرَقْتَ عَيْنَكَ مِنْ نورِ ذي الجلال، هذا مِنْكَ جَهْلٌ وافِرٌ وَعَيْنُ ضلال؛
ساءَ مِنْكَ ذلِكَ الاِختيارُ والعَقْل، ما دُمْتَ مَنْجَمَ جَهْلٍ جزاؤكَ القَتْل؛
عِجْلُ الذَّهَبِ صَوَّتَ آخِراً ما قالَ، حَتّى تَفَتَّحَتْ للحَمقى كُلُّ هذِهِ الرَّغْبَة؛
رأيْتَ أعْجَبَ مِنْ ذاكَ مِنّي كَثيراً، لكِنْ متى يَقْبَلُ الحَقَّ كُلُّ خَسيس؛
كَم خَطَفَ الباطِلُ مِنْ بطّالين، كم حلا العَطَلُ للعاطِلين؛
لأنَّ كُلَّ جِنْسٍ جاذِبٌ إلَيْهِ جِنْسَه، مَتى وَجَّهَ العِجْلُ للأسَدِ وَجْهَه؛
الذِّئبُ مِنْ أيْنَ يكونُ عاشِقاً لِيوسُف، إلّا أنْ يكونَ مِنْ مَكْرٍ بِهِ لِيَأكُلَهُ؛
حينَ تَحَرَّرَ مِنَ الذِّئبيَّةِ صارَ مَحْرَماً، كما صارَ كَلْبُ الكَهْفِ آدَميّاً؛
حينَ شَمَّ مِنْ مُحَمَّدٍ العَبيرَ أبو بَكْرٍ، *قالَ هذا ليسَ وَجْهَ كاذِبٍ*؛
ولَمّا لَمْ يَكُنْ صاحِبَ أَلَمٍ أبو جَهْلٍ، رأى مِئةَ شَقِّ قَمَرٍ فَلَمْ يُصَدِّقْ؛
ذو الأَلَمِ الَّذي وَقَعَ عَلَيهِ مِنَ السَّماءِ طَسْتٌ، لَمْ يَخْفَ عَلَيْه الحَقُّ وإن أخْفَيناه؛

وذلِكَ الَّذي كانَ جاهِلاً عَنْ أَلَمِهِ بِعيدٌ، كم أظْهَروا لَهُ ذاكَ فَلَمْ يَرَه؛
مِرْآةُ القَلْبِ يَجِبُ أنْ تكونَ صافِيَةً ، لِتُمَيِّزَ بِها صُورَةِ القَبيحِ مِنَ الجَميل؛

تَرْكُ ذلِكَ الرَّجُلِ النَّاصِحِ لِمَغْرُورِ الدُّبّ بَعْدَ المُبالَغَةِ في نُصْحِه

ذلِكَ المُسْلِمُ تَرَكَ الأبلَهَ وعادَ، قائلاً مِنْ تَحْتِ الشَّفَةِ لا حَولَ وَمَضى؛
قالَ كَيْفَ مِنْ جِدِّي ونُصْحي ومِنَ الجِدال، في قَلْبِهِ يُولَدُ ويزدادُ الخَيال؛
إذَنْ طَريقُ النُّصْحِ والنَّصيحَةِ مَسدودٌ، أمْرُ *أعْرِضْ عَنْهُمْ* صارَ مُسْتَحِقَّاً؛
بما أنَّ الدَّواءَ يزيدُ الألَمَ فيكَ، قِصَّةً لِلطَّالِبِ قُلْ اِقْرَأْ ***عَبَسَ***؛
بِما أنَّ الأعْمى جاءَ طالِباً للحَقّ، لا يجْدُرُ مِنْ أجْلِ فَقْرِهِ أنْ يضِيْقَ الصَّدْر؛
أنتَ حَريصٌ على رَشادِ العُظَماء، ليتَعَلَّمَ العوامُّ مِنَ الرُّؤساء؛
أحْمَدا رَأيْتَ أنَّ قَوماً مِنَ المُلوك، صاروا مُسْتَمِعينَ فَسَعِدْتَ أنْ عسى؛
ليصيرَ أولاءِ الرُّؤساءُ أعْوانَ دينٍ، هؤلاءِ رؤساءٌ على العَرَبِ وعلى الحَبَش؛
لِيعْبُرَ هذا الصِّيتُ بَصْرَةَ وتَبوك، ذلِكَ أنَّ *النَّاسَ على دينِ المُلوك*؛
لِهذا السَّبَبِ أنْتَ عَنِ الضَّريرِ المُهْتَدي، أدَرْتَ الوَجْهَ وأصابَكَ الضِّيْق؛
ففي هذِهِ الفُرْصَةِ قَلَّ هذا المناخ، وأنتَ مِنَ الأصْحابِ ووقْتُكَ مُتَّسِع؛
صِرنا مُزْدَحِمينَ في ضِيق وَقْتٍ، هذِهِ نَصيحَةٌ ليسَتْ عَنْ غَضَبٍ وعن نِزاع؛
أحْمَدا عِنْدَ اللهِ هذا الضَّرير، خَيْرٌ مِنْ مِئةِ قَيْصَرٍ ومِنْ مِئةِ وزير؛
تَذَكَّرِ *النَّاسُ مَعادِنُ* هَيَّا واجْلِبْ، مَعْدِناً يكونُ خيراً مِنْ مِئةِ ألْفٍ؛
مَعْدِنُ اللَّعْلِ والعَقيقِ المُكْتَنِز، خَيْرٌ مِنْ مِئةِ ألْفِ مَنْجَمِ نُحاس؛
أحْمَدا ها هُنا لا نَفْعَ للمال، يَجِبُ صَدْرٌ مِلْؤُهُ العِشْقُ والألَمُ والدُّخان؛
لا تُغْلِقِ البابَ لِأعْمىً أتى مُضيءَ القَلْب، أعْطِهِ المَوْعِظَةَ فالمَوْعِظَةُ حَقُّه؛
إذا صارَ أبلَهانِ أو ثلاثَةٌ لكَ مُنكِرينَ، متى يَصيرُ مُرَّاً ما وُجِدَ مَنْجَمُ القَنْدِ؛

إذا صارَ أبلَهانِ أو ثلاثَةٌ لكَ مُتَّهِمين، الحَقُّ يصيرُ مِنْ أجْلِكَ مِنَ الشَّاهِدين؛
لو كانَ لِخَفَّاشٍ مِنْ شَمْسٍ انتِفاعٌ، كانَ ذلِكَ دليلاً على أنَّ تِلْكَ لَيْسَتْ بِشَمْس؛
فَنَفْرَةُ الخفافيشِ مِنِّي الدَّليل، على أنَّني الشَّمْسُ المُضيئةُ للجَليل؛
لو كانَ لِلْجُعَلِ رَغْبَةٌ بِماءِ وَرْدٍ، يكونُ ذلِكَ دليلاً على أنَّهُ ليسَ ماءَ وَرْد؛
إذا كانَ ذو تَزييفٍ شارِياً لِمَحَكّ، على مَحَكِّهِ يَرِدُ النَّقْصُ والشَّكّ؛
اللِّصُّ يَطْلُبُ اللَّيْلَ لا النَّهارَ اعْلَمْ هذا، أنا لَسْتُ اللَّيلَ أنا النَّهارُ أُشِعُّ في العالَم؛
أنا الفارِقُ أنا الفاروقُ أنا كالغِربالِ، حتَّى لا يَجِدَ القَشُّ المَجالَ للعُبورِ مِنّي؛
أُخَلِّصُ الدَّقيقَ مِنَ النُّخالَة، لأُظْهِرَ أنَّ هذِهِ نُقوشُ تِلْكَ النُّفوس؛
أنا كميزانِ اللهِ في العالَم، أُمَيِّزُ كُلَّ خَفيفٍ مِنَ الثَّقيل؛
العِجْلُ يرى الثَّورَ إلٰهاً، كمُشْتَرٍ حِماراً ولاقَ بِهِ بِضاعَةً؛
أنا لَسْتُ ثَوراً لِيَشْتَرِيَنِيَ عِجْلٌ، أنا لَسْتُ شَوكاً لِيَرعانِيَ بَعير؛
هُوَ قد ظَنَّ أنَّهُ قامَ بالجَوْرِ عَلَيَّ ، لا بَلْ هُوَ قامَ بِمَحْوِ الغُبارِ عَنْ مِرْآتي؛

تَمَلُّقُ مَجْنونٍ لِجالينوس وَخَوْفُ جالينوس

قالَ جالينوس لأصْحابِهِ، أعينوني لأُعْطِيَ ذاكَ الفُلانَ الدَّواءَ؛
فقالَ لَهُ ذاكَ أي ذا الفُنون، هذا الدَّواءُ يُعْطى مِنْ أجْلِ الجُنون؛
بَعيدٌ عَنْ عَقْلِكَ لا تَقُلْ هذا ثانِيَةً، قالَ لَقَدْ وَجَّهَ إلَيَّ أحَدُ المَجانينِ وَجْهَه؛
ساعَةً وَهُوَ يَنْظُرُ في وَجْهي بإمعان، غَمَزَني غَمْزَةً وَمَزَّقَ كُمِّي؛
لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيَّ جِنْسِيَّةٌ مِنْهُ، متى كانَ يُوَجِّهُ إلَيَّ الوَجْهَ ذاكَ القبيحُ الوَجْه؛
لو لَمْ يكُنْ رأى جِنْسَ نَفْسِهِ متى كانَ يجيء، متى كانَ مَعَ غَيْرِ جِنْسِهِ يتعامل؛
شَخْصانِ يعيشانِ مَعاً بِلا شكّ، يكونُ بينَهُما قَدرٌ مُشْتَرَك؛
متى يطيرُ طائرٌ إلَّا مَعَ جِنسِهِ، صُحْبَةُ غريبِ الجِنْسِ قَبْرٌ وَلَحْدٌ؛

سَبَبُ طَيَرانِ طائرٍ والتِقاطِهِ الحَبَّ مَعَ طائرٍ مِنْ غَيرِ جِنْسِه

ذاكَ حَكيمٌ قالَ رَأَيْتُ في سَعْيٍ، وَسَطَ الصَّحْراءِ غُراباً ولَقْلَقاً؛
بَقَيْتُ في العَجَبِ وَبَحَثْتُ عَنْ حالِهِما، لأجِدَ إشارَةً عَنِ القَدرِ المُشْتَرَكِ بَيْنَهُما؛
حينَ صِرْتُ قُرْبَهُما حَيرانَ دَهِشاً، رَأَيْتُ أنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما كانَ أعرَجاً؛
خاصَّةً وبازٌ مَلَكِيٌّ مِنْ أهْلِ العَرْشِ، كانَ مَعَ بومٍ مِنْ أهْلِ الخرائِب؛
ذاكَ الواحِدُ كانَ شَمْساً في عِلِّيين، وذاكَ الواحِدُ كانَ خَفَّاشاً مِنْ سِجِّين؛
ذاكَ الواحِدُ نُورٌ بريءٌ مِنْ كُلِّ عَيْب، وهذا الواحِدُ أعْمىً شَحَّاذُ كُلِّ باب؛
ذاكَ الواحِدُ قَمَرٌ فَوقِ الثُّرَيَّا، وهذا الواحِدُ دودَةٌ فَوقَ مَزْبَلَة؛
ذاكَ الواحِدُ يوسُفُ وَجْهٍ عِيسى نَفَس، وهذا الواحِدُ ذِئبٌ أو حِمارٌ مَعَ جَرَس؛
ذاكَ الواحِدُ صارَ مُحَلِّقاً في اللامكان، وهذا الواحِدُ في المَعْلَفِ كالكِلاب؛
الوَرْدُ للجُعَلِ كانَ يقولُ، باللِّسانِ المَعْنَوِيّ أيْ مُنْتِنَ الإبْط؛
إنْ نَفَرْتَ مَنَ الرَّوضِ لا رَيب، تِلْكَ النَّفْرَةُ كمالُ البُستان؛
غَيرَتي تَضرِبُ رَأسَك ابتَعِدْ، أنْ أيُّها الخسيسُ مِنْ هُنا ابتَعِدْ؛
وإنْ خلَطْتَ نَفْسَكَ بي أي دَني، وجاءَكَ الوَهْمُ أنَّكَ مِنْ مَنجَمي؛
فالرّوْضُ مكانٌ لائقٌ بالبلابِل، وأجْمَلُ وَطَن للجُعَلِ الكَنيف؛
الحَقُّ جَعَلَني طاهِراً مِنَ الدَّنَس، فكيفَ يليقُ بي أنْ أختارَ الدَّنِس؛
كانَ بي عِرْقٌ مِنْهُمَ فقطَعَ ذاك، مِنْ أيْنَ يَصِلُ إلَيَّ سَيِّئُ العِرْقِ ذاكَ؛
إحدى علائِمِ آدَمَ كانَتْ مِنَ الأزَل، أنْ تَضَعَ الملائكَةُ لَهُ الرَّأسَ مِنَ المَحَلّ؛
علامَةٌ أُخْرى كانَتْ أنَّ إبليس، لا يَضَعُ الرَّأْسَ أنْ أنا شاهٌ ورئيس؛
فلو أنَّ إبليسَ كانَ سَجَدَ لَهُ أيضاً، لَما كانَ هُوَ آدَمَ بَلْ كانَ غَيْرَ آدَم؛

مِثْلما هُوَ سُجودُ كُلِّ مَلَكٍ مِيزانُه، كذلِكَ جُحودُ ذلِكَ العَدُوّ بُرْهانُه؛
مِثْلما إقرارُ المَلَكِ شاهِدٌ لَهُ ، كُفْرانُ الكُلَيْبِ أَيْضاً شاهِدٌ لَهُ؛

تتِمَّةُ اعتِمادِ ذلِكَ المَغْرورِ على تَمَلُّقِ الدُّبّ

نامَ الشَّخْصُ والدُّبُّ يَطْرُدُ ذُبابَةً عَنْهُ، ومِنَ العِنادِ عادَتْ الذُّبابَةُ مُجَدَّداً إليه؛
ومَرَّاتٍ عديدَةً أبْعَدَها عَنْ وَجْهِ الشَّابّ، وكانَتِ الذُّبابَةُ تَعودُ مُجَدَّداً بِسُرْعَة؛
صارَ الدُّبُّ في غَضَبٍ مِنَ الذُّبابَةِ، ذَهَبَ للجَبَلِ وجاءِ بِصَخْرَةٍ غليظَةٍ قاسيَةٍ؛
جَلَبَ الصَّخْرَةَ ورأى الذُّبابَةَ مِنْ جَديدٍ، مُسْتَقِرَّةً على وَجْهِ ذلِكَ النَّائم؛
أَخَذَ تِلْكَ الصَّخْرَةَ كَحَجَرِ الطَّاحونِ، وَرَمى بِها تِلْكَ الذُّبابَةَ لِيُبْعِدَها عَنْه؛
فَهَشَّمَتِ الصَّخْرَةُ وَجْهَ ذاكَ النَّائم، وصارَ هذا المَثَلُ فاشياً في جُمْلَةِ العالَم،
مَحَبَّةُ الجاهِلِ يقيناً كَمَحَبَّةِ الدُّبّ، عَداوَتُهُ مَحَبَّةٌ ومَحَبَّتُهُ عَداوَة؛
عَهْدُهُ واهِنٌ وبائرٌ وضَعيف، مقالُهُ غَليظٌ ووفاؤهُ نَحيف؛
حَتّى ولو أَقْسَمَ اليَمينَ لا تُصَدِّقْه، فالرَّجُلُ أعْوَجُ الحَديثِ يحنِثُ بالقَسَم؛
بِما أنَّ قَوْلَهُ كانَ كَذِباً بلا يمينٍ، لا تَقَعْ مِنْ مَكْرِهِ وَيمينِهِ في المَخيض؛
نَفْسُهُ أميرٌ وَعَقْلُهُ أسير، بِمِئَةِ أَلْفِ مَصْحَف يستَهين؛
بِما أنَّهُ ناقِضٌ لِلعَهْد بلا يَمينٍ، فإنَّهُ مَعَ اليَمينِ أيضاً يَنْقُضُ العَهْد؛
ذلِكَ لأنَّ النَّفْسَ صارَتْ أَكْثَرَ اضطِراباً، عِنْدَما قَيَّدْتَها بالقَسَمِ الثَّقيل؛
ولَمَّا جَعَلَ أسيرٌ العَهْدَ للحاكِمِ، قامَ الحاكِمُ بِتَمزيقِ ذاكَ والخُروجِ مِنْهُ؛
ورمى على رَأسِهِ بِذلِكَ العَهْدِ مِنَ الغَضَب، وَضَرَبَ على وَجْهِهِ بِذَلِكَ القَسَم؛
مِنْ *أوفوا بالعُقودِ* مِنْهُ اغْسِلِ اليَدَ، *واحْفَظوا أيمانَكُمْ* لا تَقُلْ لَهُ؛
ذاكَ الَّذي جَعَلَ الحَقَّ سَنَداً لِيَمينِهِ، جَعَلَ جَسَدَهُ كالخَيْطِ وَنَسَجَ حَولَه؛

ذهابُ المُصطفى عليه السّلام لعيادَةِ صحابيّ وبيان فائدَة العيادَة

سَيّدٌ مِنَ الصَّحابَةِ مَرِض، وفي مَرَضِهِ ذاكَ صارَ كالخَيط؛
جاءَ للعِيادَةِ إلَيْه المُصْطفى، فَطَبْعُهُ كانَ كُلَّ اللُّطْفِ والكَرَم؛
في ذَهابِكَ إلى العِيادَةِ فائدَة، تِلْكَ الفائدَةُ راجِعَةٌ إلَيْكَ عائدَة؛
أوَّلُ الفائدَةِ أنَّ ذلِكَ الشَّخْصَ العليل، رُبَّما هُوَ قُطْبٌ وشاهٌ جليل؛
وإنْ لَمِ يَكُنْ قُطْباً فرَفيقَ طريق، وإنْ لَمْ يكُنْ شاهاً ففارِسُ جَيْش؛
صِلَةَ رِفاقِ الطَّريقِ اعْتَبِرْ لازِمَة، لِأيّ كانَ راجِلاً كانَ أمْ راكِباً؛
والإحسانُ جَميلٌ كذلِكَ وإنْ كانَ عَدُوَّاً، فكَمْ مِنْ عَدُوٍّ صارَ بالإحسانِ صَديقاً؛
وإنْ لَمْ يَصِرْ صَديقاً فإنَّ بُغْضَهُ يَقِلُّ، ذلِكَ لأنَّ الإحسانَ للضَّغينَةِ مَرْهَمٌ؛
وهُناكَ فوائدُ كثيرَةٌ غَيْرُ هذا لكِنْ، أنا خائفٌ مِنَ الإطالَةِ أيْ صَديقي الطَّيّب؛
الحاصِلُ هُوَ أنْ كُنْ للجَميعِ رَفيقاً، اِنْحَتْ مِثْلَ النَّحَّاتِ مِنَ الحَجَرِ رَفيقاً؛
ذلِكَ أنَّ الكَثْرَةَ وَجَمْعَ القافِلَة، يكسِرونَ قُطَّاعَ الطُّرُقِ ظَهْراً وَسِناناً؛
ما دُمْتَ لا تَمْلِكُ عَيْنَيِ القَلْبِ أيْ عَنود، فأنْتَ لا تُمَيّزُ الحَطَبَ مِنَ العُود؛
لا تأْلَمْ ما دامَ في العالَمِ كَنْزٌ، أيَّ خَرابٍ لا تَعْتَبِرْ خالياً مِنَ الكَنْز؛
وقُمْ بِقَصْدِ كُلِّ دَرويشٍ مِنْ جُزاف، وإذا ما وَجَدْتَ إشارَةَ جُدَّ في الطَّواف؛
وإنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ عَيْنُ رؤيَةِ الباطِنِ تِلْكَ، فاعْتَقِدْ أنَّ الكَنْزَ في كُلِّ وجود؛

وَحْيُ الحَقّ تَعالى لِموسى عَلَيْهِ السَّلام أنْ لِماذا لَمْ تأتِ لِعِيادَتي

جاءَ مِنَ الحَقّ لِموسى هذا العِتابُ، أنْ أيْ مَنْ رَأَيْتَ طُلوعَ القَمَرِ مِنَ الجَيْب؛
جَعَلْتُ مَشْرِقَكَ مِنْ نورِ الله، أنا الحَقُّ مَرِضْتُ فَلَمْ تعُدْني؛
قالَ سُبْحانَكَ أنْتَ مُنَزَّهٌ أنْ يُصيبَكَ الأذىَ، ما هذا الرَّمْزُ اجْعَلْهُ يا ربّ بياناً؛

وعادَ فقالَ عِنْدَما أصابَني الألَم، كيفَ لَمْ تَسْألْ عَنّي مِنْ وَجْهِ الكَرَم؛
قالَ يا رَبِّ أنْتَ ما بِكَ نُقْصان، ضاعَ عَقلي اِكْشِفْ الغِطاءَ عَنْ هذا الكلام؛
قالَ نَعَمْ عَبْدِيَ الخاصُّ المُنْتَخَب، صارَ مَريضاً، وهُوَ أنا، اُنْظُرْ حَسَناً؛
عُذْرُهُ يكونُ عُذري أنا، مَرَضُهُ يكونُ مَرَضي أنا؛
كُلُّ مَنْ أرادَ أنْ يكونَ جَليساً لله، عليهِ أنْ يَجْلِسَ في حَضْرَةِ الأولياء؛
إذا انْفَصَلْتَ مِنْ حَضْرَةِ الأولياء، أَنْتَ هالِكٌ لأنَّكَ جُزْءٌ بلا كُلّ؛
كُلُّ مَنْ فَصَلَهُ الشَّيطانُ عَنِ الكُرَماء، وَجَدَهُ وحيداً بلا شَخْصٍ فأَكَلَ رَأْسَهُ؛
تَرْكُ الجَمْعِ والذَّهابُ لَحْظَةً واحِدَةً ، مَكْرَ شَيْطانٍ كانَ فاعْلَمْ هذا حَسَناً؛

تَفريق البُستانيّ الصُّوفِيَّ والفقيهَ والعَلَوِيَّ بَعْضَهُم عَنْ بَعْض

البُستانِيُّ حِينَ نَظَرَ في البُستان، رأى كاللُّصوصِ في البُستانِ ثلاثَةَ رِجال؛
فقيهاً واحِداً وشريفاً واحِداً وصوفِيّاً، وَكُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ كانَ ذا فُكاهَةٍ بلا وفاء؛
فقالَ إنَّ لي عَلَيْهِمْ مِئةَ حُجَّةٍ، لكِنَّهُمْ جَمْعٌ والجَماعَةُ قُوَّةٌ؛
لَنْ أقوى عَلَيْهِمْ وأنا واحِدٌ وهُمْ ثلاثَةٌ، لكِنَّني سَأُفَرِّقُهُمْ الواحِدَ عَنِ الآخَر؛
سَأُلقي كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمْ إلى جِهَةٍ، ومتى صارَ مُفْرَداً قَلَعْتُ شارِبَه؛
فقامَ بالحيلَةِ وَصَرَفَ الصُّوفِيَّ، لِيَجْعَلَ رَفيقَيْهِ ضائعَيْنَ عَنْهُ؛
قالَ للصُّوفِيّ اِذْهَبْ إلى المَنْزِل، واجْلِبْ سَجَّادَةً لِهؤلاءِ الرِّفاق؛
ذَهَبَ الصُّوفِيُّ قالَ في خَلْوَةٍ للرَّفيقَين، أنتَ فَقيهٌ وهذا شَريفٌ مَشْهور؛
نَحْنُ بِفَتواكَ نأكُلُ الخُبْز، نَحْنُ بِجَناحِ عِلْمِكَ نَطير؛
وهذا الآخَرُ ابنُ سُلطانٍ وسُلْطانُنا، سَيِّدٌ مِنْ أهْلِ بَيْتِ المُصطفى؛
مَنْ يكونُ هذا الصُّوفِيُّ النَّهيمُ الخَسيس، ليكونَ لأمثالِكُما مِنَ المُلوكِ الجَليس؛
فإذا ما جاءَ فاصْرِفاهُ عَنْكُما، وارْتَعا في بُستاني ورَوضَتي أسبوعاً؛

ما يكونُ البُستانُ إنَّ روحي لَكُما، أيْ أنتُما لي مِثْلَ عيني اليُمْنى؛
وسوَسَ لَهُما وقامَ بِخِداعِهِما، آهِ فالصَّبْرُ عَنِ الرِّفاقِ لا ينبغي؛
عِنْدَما صَرَفا الصُّوفِيَّ وراحَ في الطَّريق، تَتَبَّعَ أَثَرَهُ مُخاصِماً بِعصاً غَليظَةٍ؛
قالَ أيُّها الكَلْبُ أمِنَ الصُّوفيَّةِ أنْ، تَدْخُلَ بُستاني سريعاً عِناداً مِنْك؛
هَلِ الجُنَيْدُ وبايزيد رَسما لَكَ هذا الطَّريق، مِنْ أيِّ شَيْخٍ ومُرْشِدٍ وَصَلَكَ هذا؛
قامَ بِضَرْبِ الصُّوفِيِّ إذْ وَجَدَهُ وَحيداً، وجَعَلَهُ نِصْفَ مَيِّتٍ وَشَجَّ رأسَهُ؛
قالَ الصُّوفِيُّ ذاكَ لي مَرَّ لكِنْ، أي رَفيقَيَّ احْرِسا نَفْسَيْكُما جَيِّداً؛
اعتَبَرْتُماني غريباً مِنَ الأغيارِ، لَسْتُ أكثَرَ غُرْبَةً عَنْكُما مِنْ هذا الوَغْد؛
ذاكَ الَّذي تَجَرَّعْتُ سَوفَ تَتَجَرَّعان، شُرْبَةً جزاءً كُلِّ دَنِيءٍ كهذِهِ سَتَشرَبان؛
هذا العالَمُ جَبَلٌ وَقَولُكَ وَمَقالُكَ فيهِ، يرْجِعانِ نَحْوَكَ أيضاً مِنَ الصَّدى؛
حينَ صارَ البُستانِيُّ فارِغاً مِنَ الصُّوفِيّ، قامَ بِحيلَةٍ أُخْرى مِنْ جِنْسِ تِلْك؛
أنْ أيْ شَريفُ اذْهَبْ إلى المَنْزِل، فقد خَبَزْتُ الرُّقاقَ مِنْ أجْلِ الغَداء؛
اِذْهَبْ إلى بابِ المَنْزِلِ وَقُلْ لِقَيماز، أنْ يَجْلِبَ الرُّقاقَ والإوَزَّة؛
عِنْدَما أرْسَلَهُ قالَ أي حادَّ النَّظَر، أنتَ فقيهٌ هذا ظاهِرٌ ويقين؛
أمَّا هُوَ فَإنَّهُ يَدَّعي أنَّهُ شَريفٌ، وأُمُّهُ مَنِ الَّذي يَدري ما فَعَلَتْ؛
أعلى المَرْأَةِ وفِعْلِ المَرْأَةِ لَكَ استِناد، أعَقْلٌ ناقِصٌ ثُمَّ آنَذاكَ اعتِماد؛
كَمْ في هذا الزَّمانْ مِنْ غَبِيّ، رَبَطَ النَّفْسَ بِعَلِيٍّ وبالنَّبِيّ؛
كُلُّ مَنْ كانَ مِنَ الزِّنا والزَّانين، ظَنَّ هذا في حَقِّ الرَّبَّانِيِّين؛
كُلُّ مَنْ دارَ رَأْسُهُ مِنَ الدُّوار، رأى مِثْلَ نَفْسِهِ تَدورُ الدَّار؛
كُلُّ ما قالَ ذاكَ البُستانِيُّ أبو الفُضول، حالُهُ هُوَ وبَعيدٌ عَنْ أولادِ الرَّسول؛
لو لَمْ يكُنْ هُوَ نَتيجَةَ مُرْتَدِّين، متى كانَ قالَ هذا عَنِ الآلِ الطَّاهِرين؛
قالَ أضاليلَ فسَمِعَ ذلِكَ الفَقيه، وسارَ خَلْفَ ذاكَ الظَّلومِ السَّفيه؛

قالَ أيْ حِمارُ مَنْ دَعاكَ لِهذا البُستان، هَلْ السَّرِقَةُ ميراثٌ لَكَ مِنَ النَّبِيّ؛
شِبْلُ الأَسَدِ يكونُ شبيهاً بالأَسَدِ، أنتَ ما لَكَ مِنَ الشَّبَهِ بالنَّبِيّ قُلْ؛
وفَعَلَ بالشَّريفِ ذلِكَ الرَّجُلُ الوَجِيّ، ما فَعَلَ بِآلِ ياسينَ خارِجِيٌّ؛
كالحِقْدِ الدَّائمِ لَدى الشَّيطانِ والغُول، كَفِعْلَ يزيدَ والشِّمْرِ مَعَ آلِ الرَّسول؛
صارَ الشَّريفُ مِنْ ضَرْبِ ذلِكَ الظَّالِمِ خَراباً، قالَ للفقيهِ نَحْنُ نَجَونا مِنَ الماء؛
فاثْبتْ الآنَ وقد بَقِيْتَ فَرْداً وقليلاً، وكُنْ كالطَّبْلِ واستَقْبِلْ بِبَطْنِكَ الضَّرَبات؛
إذا لَمْ أكُنْ شَريفاً ولائقاً ورفيقاً، لَسْتُ أَقَلَّ لَكَ مِنْ مِثْلِ هذا الظَّالِم؛
بَعْدَ أنْ صارَ فارِغاً مِنْهُ جاءَ للفَقيهِ أي فقيه، أيُّ فَقيهٍ أنتَ أنتَ عارُ كُلِّ سَفيه؛
أهذِهِ فَتواكَ أي مَقْطوعَ اليَد، أنْ تَدْخُلَ ولا تَقولَ هُناكَ أمْر؛
مِثْلَ هذِهِ الرُّخْصَةِ قَرَأْتَ في الوسيط، أو هذِهِ المَسْأَلَةَ وَجَدْتَ في المُحيط؛
قالَ الحَقُّ مَعَكَ اضْرِبْ طالَتْ يَدُكَ، هذا جَزاءُ ذاكَ الَّذي انْفَصَلَ عَنِ الرِّفاق؛

رَجْعَةٌ إلى قِصَّةِ المَريضِ وعيادَةِ النَّبِيّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه

هذِهِ العِيادَةُ مِنْ أجْلِ هذهِ الصِلَة، وهذِهِ الصِّلَةُ لِمِئةِ مَحَبَّةٍ حامِلَة؛
ذَهَبَ لِلْعيادَةِ الرَّسولُ بلا نَديد، رأى ذلِكَ الصَّحابِيَّ في حالِ النَّزْعِ الشَّديد؛
إذا صِرْتَ بَعيداً عَنْ حُضورِ الأولياء، فقدْ صِرْتَ في الحَقيقَةِ بَعيداً عنِ الله؛
إنْ كانَ هَجْرُ رِفاقِ الطَّريقِ يُنْتِجُ الغَمّ، متى كانَ فِراقُ وجوهِ المُلوكِ مِنْهُ أَقَلَّ؛
أُطْلُبْ ظِلَّ المُلوكِ كُلَّ لَحْظَةٍ عَجِلاً، لِتَصيرَ مِنْ ذاكَ الظِلِّ أفْضَلَ مِنَ الشَّمْس؛
إنْ كُنْتَ في سَفَرٍ اذْهَبْ بِهذِهِ النِّيَّة، أو كُنْتَ في حَضَرٍ لا تَكُن غافِلاً عَنْ هذا؛

قولُ شَيْخٍ لِبايَزيد أنَّ الكَعْبَةَ تطوفُ حَولي

كانَ شَيْخُ الأُمَّةِ بايزيد يَجري مُسرِعاً، جِهَةَ مَكَّةَ لأجْلِ الحَجِّ والعُمْرَة؛
هُوَ إلى كُلِّ مَدينَةٍ ذَهَبَ كانَ، أوّلاً ما يَتَفَقَّدُ الأعِزاء؛
قالَ الحَقُّ في السَّفَرِ أيِّ مكانٍ تَقصِدُ، يَجِبُ علَيكَ أوّلاً أنْ تَطْلُبَ رَجُلاً؛
كُنْ قاصِدَ كَنْزٍ فإنَّ النَّفْعَ والضُّرَّ هذينِ، يأتيانِ تَبَعاً اِعْلَمْهُما فَرْعين؛
القَمْحُ قَصْدٌ لِكُلِّ مَنْ زَرَع، التِّبْنُ نَفْسُهُ يأتيهِ مِنْ تَبَع؛
زَرَعْتَ قَشّاً فَلَنْ يُعطِيَ قَمْحاً، اِبْحَثْ عَنْ رَجُلٍ اِبْحَثْ عَنْ رَجُلٍ، عَنْ رَجُلٍ؛
اِقْصِدِ الكَعْبَةَ إذا كانَ وَقْتُ الحَجِّ، وإذا ذَهَبْتَ فَسترى مَكَّةَ أيضاً؛
القَصْدُ في المِعْراجِ كانَ رؤيَةَ الحَبيب ، بالتَّبَعِ أظْهَرَ العَرْشَ والملائكَةَ أيضاً؛

حِكايَة

مُريدٌ جَديدٌ بَنى مَنْزِلاً جَديداً، وأتى الشَّيْخُ فَرأى مَنْزِلَه؛
قالَ الشَّيْخُ لِمُريدِهِ الجَديد، مُمْتَحِناً ذلِكَ الحَسَنَ الفِكْر؛
لِماذا عَمِلْتَ الكُوَّةَ أيْ رَفيق، قالَ لِيَدْخُلَ النُّورُ مِنْ هذا الطَّريق؛
قالَ ذاكَ فَرْعٌ والواجِبُ الحاجَةُ، لِتَسْمَعَ مِنْ هذا الطَّريقِ صَوتَ الأذان؛
بايزيد في السَّفَرِ بَحَثَ كثيراً، لِيَعْثَرَ على خِضْرِ وقْتٍ يكونُ لَهُ رَفيقاً؛
رأى شَيخاً بِقَدٍّ كأنَّهُ الهِلال، رأى فيهِ عَظَمَةَ ومنطِقَ الرِّجال؛
رآهُ أعْمى بِقَلْبٍ كأنَّهُ الشَّمْس، كما رأى فيلٌ بِلادَ الهِنْدِ في المنام؛
العَيْنُ مُغْلَقَةٌ نائماً رأى مِئةَ طَرَبٍ، حينَ فَتَحَ تِلْكَ لَمْ يَرَ أيْ عَجَب؛
كم مِنْ عَجَبٍ في النَّومِ صارَ واضِحاً، القَلْبُ في النَّومِ يصيرُ نافِذَة؛
ذاكَ الّذي رأى في المنامِ حَسَناً وهُوَ يَقْظانُ، عارِفٌ بِتُرابِ بابِ دارِهِ اكْتَحِلْ؛

جَلَسَ أمامَهُ وَسَأَلَ عَنِ الحال، فَوَجَدَهُ دَرويشاً ووجَدَهُ صاحِبَ عِيال؛
قالَ أنتَ عازِمٌ إلى أيْنَ أيْ بايَزيد، مَتاعَ الغُرْبَة إلى أينَ تُريدُ أنْ تَجُرَّ؛
قالَ أنوي قَصْدَ الكَعْبَةِ مِنَ الفَجْر، قالَ ها وما مَعَكَ مِنْ زادِ الطَّريق؛
قالَ أمْلِكُ مائتَي دِرْهَمٍ مِنَ الفِضَّةِ، مَعْقودَةً بِإحْكامٍ بِطَرَفِ الرِّداء؛
قالَ قُمْ بالطَّوافِ حَولي سَبْعَ مَرَّاتٍ، وعُدَّ هذا خَيْراً لَكَ مِنْ طوافِ الحَجّ؛
وأَعْطِني تِلْكَ الدَّراهِمَ مِنْكَ أيْ جَواد، واعْلَمْ أنَّكَ حَجَجْتَ وَحَصَلَ لَكَ المُراد؛
قُمْتَ بالعُمْرَةِ وَوَجِدْتَ عُمْراً باقِياً، وَسَعَيْتَ على الصَّفا وصِرْتَ صافِياً؛
وحَقِّ ذاكَ الحَقِّ الَّذي روحُكَ رأتْهُ، إنَّهُ قَدِ اصطفاني على بَيْتِهِ؛
الكَعْبَةُ مهْما تَكُنْ بَيْتَ بِرِّهِ، خِلْقَتي أنا أيْضاً بَيْتُ سِرِّهِ؛
تِلْكَ الكَعْبَةُ مُنذُ أنْ بناها ما دَخَلَها، وهذا البَيْتُ غَيْرُ ذاكَ الحَيِّ ما دَخَلَهُ؛
بِما قَدْ رَأَيْتَني فَقَدْ رَأَيْتَ الحَقّ، وقَدْ طُفْتَ مِنْ حَولِ كَعْبَةِ الصِّدْق؛
خِدْمَتي طاعَةُ اللهِ وَحَمْدُ الله، كي لا تَظُنَّ أنَّ الحَقَّ مُنْفَصِلٌ عَنِّي؛
اِفْتَحِ العَيْنَ جَيِّداً وأمْعِنْ فِيَّ النَّظَر، حتَّى ترى نورَ الحَقّ في البَشَر؛
بايَزيد انْتَبَهَ إلى تِلْكَ النِّكات، جَعَلَها في الأُذُن كَحَلْقَةٍ مِنْ ذَهَب؛
جاءَ مِنْهُ بايزيدُ في مَزيد ،وَصَلَ أخيراً إلى مُنْتَهى الإحسان؛

عِلْمُ النَّبِيّ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ أنَّ سَبَبَ مَرَضِ ذاكَ الشَّخْصِ كانَ عَدَمَ مُراعاةِ الأدَبِ بالدُّعاء

عِنْدَما رأى النَّبِيُّ ذاكَ المَريضَ، قامَ بِمُلاطَفَتِهِ جَيِّداً صاحِبُ الغار؛
عادَ حَيَّاً لَمَّا رأى النَّبِيّ، كأنَّ ذاكَ النَّفَسَ قَدْ خَلَقَه؛
قالَ مَرَضي أعْطاني هذا البَخْتَ، فَأتاني هذا السُّلطانُ هذا الصَّباحَ؛
وَصَلَتْ إلَيَّ الصِّحَّةُ والعافِيَة، مِنْ قُدومِ هذا السُّلطانِ بلا حاشِيَة؛

أيْ مُبارَكٌ المَرَضُ والوَجَعُ والحُمَّى، أي مُبارَكٌ الأَلَمُ وَسَهَرُ اللَّيْل؛
أَحْسَنَ إلَيَّ الحَقُّ مِنَ اللُّطْفِ والكَرَم، إذْ وَهَبَني في شَيْخوخَتي مِثْلَ هذا السَّقَم؛
أعطاني وَجَعَ الظَّهْرِ أيضاً كَيْ مِنَ النَّوم، أنْهَضَ مُسْرِعاً كُلَّ مُنْتَصَفِ لَيْل؛
كَي لا أنامَ جُمْلَةَ اللَّيْلِ كالجاموس، لُطْفاً مِنْهُ وَهَبَني الحَقُّ الأوجاعَ؛
رَحْمَةُ المُلوكِ تِلْكَ جاشَتْ مِنْ هذا الكَسْرِ، فَأَسْكَتَتْ نارَ الجَحيمِ عَنْ تَهديدي؛
الأَلَمُ جاءَ كَنْزاً إذْ بِهِ الرَّحَمات، اللُّبُّ صارَ أطْرى بَعْدَ خَدْشِ الجِلْد؛
أي أخي في المَوْضِعِ البارِدِ والمُظْلِم، اِصْبِرْ على الغَمِّ والضَّعْفِ والأَلَم؛
فهوَ عَيْنُ حياةٍ وجامُ سُكرٍ، تِلْكَ الرِّفْعاتُ كُلُّها في الضَّعَة،
فُصولُ الرَّبيعِ مُضْمَرَةٌ في الخَريف، وفي الرَّبيعِ الخَريفُ لا تَفِرَّ مِنْ ذلِك؛
كُنْ رَفيقاً للغَمِّ وتَفاعَلْ مَعَ الوَحْشَة، واطْلُبْ في مَوتِ النَّفْسِ العُمْرَ الطَّويل؛
وذاكَ الَّذي قالَتْ لَكَ النَّفْسُ أنْ هاهُنا سَيِّئٌ، لا تَسْمَعْ فشُغْلُ النَّفْسِ جاءَ ضِدّاً؛
قُمْ بِخِلافِها فَعَنِ الأنبياء، أتَتْ هكذا الوَصِيَّةُ في الدُّنيا؛
تَجِبُ في الأعْمالِ المَشْوَرَة، كي تَقِلَّ في الآخِرِ النَّدامَة؛
قالَتِ الأُمَّةُ مَعَ مَنْ نَعْمَلُ المَشْوَرَة، قالَتِ الأنبياءُ مَعَ صاحِبِ العَقْل؛
قالوا فإنْ كانَ وَلَداً أو امْرَأَةً، فهُوَ لا يَمْلِكُ عَقْلاً ورأياً مُضيئاً؛
قالوا قُمْ بالمَشْوَرَةِ مَعَهُ وكُلَّ ما قالَ، اِعْمَلْ خِلافَ ذلِكَ وانْطَلِقْ في الطَّريق؛
اِعْرِفْ نَفْسَكَ امْرَأَةً أسْوَأَ مِنَ المَرْأة، ذلِكَ أنَّ المَرْأَةَ جُزْءٌ ونَفْسَكَ كُلُّ شَرّ؛
إذا كُنْتَ تَقومُ بالمَشْوَرَةِ مَعَ النَّفْس، اِعْمَلْ خِلافَ كُلِّ ما تقولُ تِلْكَ الدَّنيئة؛
فإنْ كانَتْ تأمُرُكَ بالصَّلاةِ والصَّوم، فالنَّفْسُ مكَّارَةٌ بِكَ مَكْراً زائداً؛
مَشْوَرَةُ المَرْءِ مَعَ النَّفْسِ في الفِعال، كُلَّ ما قالَتْ النَّفْسُ في عَكْسِهِ الكمال؛
أنتَ لا تقوى عَلَيْها وعلى عِنادِها، فاذْهَبْ إلى مُعينٍ وأمْسِكْ بِهِ وخالِطْهُ؛
العَقْلُ يأخُذُ القُوَّةَ مِنَ العَقْلِ الآخَر، ألا يصيرُ السُّكَّرُ كامِلاً مِنْ قَصَبِ السُّكَّر؛

أنا مِنْ مَكْرِ النَّفْسِ رأيتُ أشياءً، فهِيَ مِنَ سِحْرِها مَنَعَتْ تَمييزَها؛
أعطَتْكَ باليدِ الوعودَ الجَديدَةَ، وآلافَ المَرَّاتِ قامَتْ بِكَسْرِها؛
العُمْرُ لو أعطاكَ مُهْلَةً مِئةَ عامٍ، كُلَّ يومٍ يجْعَلُ لَكَ قِصَّةً جَديدَةً؛
قالَتْ وعودَها البارِدَةَ حارَّةً، تَسْحَرُ الرَّجُلَ تَجْعَلُ الرَّجُلَ في القَيْد؛
أيْ ضياءَ الحَقِ حُسامَ الدِّينِ تعالَ، فمِنْ دونِكَ في السَّبْخَةِ لا ينبُتُ النَّبات؛
فقدْ أُسْدِلَ مِنَ الفَلَكِ حِجابٌ، مِنْ دُعاءٍ بالسُّوءِ مِنْ قَلْبٍ مألوم؛
وعلاجُ القَضاءِ هذا، القَضاءُ أيضاً، عَقْلُ الخلائقِ في القَضاءِ حَيرانُ حَيران؛
الحَيَّةُ السَّوداء تِلْكَ صارَتْ أفعى، تِلْكَ الَّتي كانَتْ دُودَةً واقِعَةً في الطَّريقِ؛
الأفْعى والحَيَّةُ صارتا عَصاً، بِيَدِك أيْ مَنْ روحُ موسى بِكَ سَكْرى؛
حُكْمَ *خُذْها لا تَخَفْ* أعْطاكَ الله، حتَّى في يَدِكَ الأفْعى صارَتْ عصاً؛
فأظْهِرِ اليَدَ البَيْضاءَ أيُّها السُّلطانُ، أطْلِعِ الصُّبْحَ الجَديدَ مِنَ اللَّيالي السُّود؛
جَهَنَّمُ اشْتَعَلَتْ فانْفِخْ بِها رِقْيَةً، أيْ مَنْ نَفَسُكَ أزيَدُ مِنْ نَفَسِ البَحْر؛
البَحْرُ مكَّارٌ وقد أظْهَرَ الزَّبَدَ، وهُوَ النَّارُ مِنَ المَكْرِ أظْهَرَتْ ضِياءً؛
فبدا في عَيْنِكَ مِنْ ذاكَ مُخْتَصَراً، لِكَي تراهُ حقيراً وَيَنْهَض غَضَبُك؛
كمِثْلِ ذلِكَ الجَيْشِ المُتراكِمِ، أَظْهَرَهُ قليلَ العَدَدِ للنَّبِيِّ بالعَيْن؛
حتَّى يَهْجِمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ بلا خَطَر، ولو رآهُمْ كثيراً لكانَ مِنْ ذاكَ على حَذَر؛
تِلْكَ كانَتْ عِنايَةً وكُنْتَ أهْلاً لَها، يا أَحْمَدُ ولولا ذاكَ كُنْتَ تَضْعُفُ؛
أظْهَرَ ذاكَ الجِهادَ لَهُ ولأصْحابِهِ، قليلاً الظَّاهِرُ والباطِنُ الله؛
لِيَعْمَلَ لَهُ المُيَسِّرُ اليُسْرى، ولِيُحَوِّلَ وَجْهَهُ عَنِ العُسرى؛
إظْهارُهُمْ قليلاً لَهُ كانَ نَصْراً، لقد كانَ الحَقُّ لَهُ وليّاً ومُرشِداً؛
مَنْ لا يكونُ الحَقُّ لَهُ ظَهيراً مِنَ الظَّفَر، واهٍ لَهُ إذا ظَهَرَتْ لَهُ القِطَّةُ كالأسَد؛
واهٍ لَهُ إذا ظَهَرَتْ لَهُ المِئةُ واحِداً مِنْ بَعيد، حتَّى يَدْخُلَ في القِتالِ مِنْ غُرور؛

مِنْ ذلِكَ أظْهَرَ ذو الفَقارِ حَرْبَةً، مِنْ ذلِكَ أظْهَرَ الأَسَدَ دُمْيَةً؛
لِيَجْسُرَ الأَحْمَقُ وَيَقَعَ في القِتال، ويَأْتِيَ بِهِم بِهذِهِ الحِيلَةِ إلى بَراثِنِه؛
حَتَّى يصيروا مُقبِلينَ بِأقْدامِهِم، جِهَةَ نارِ الحَرْبِ أولئكَ الحَمْقى؛
القَشَّةُ أظْهَرَتْ وَرَقَةً فقُمْتَ سَريعاً، بِنَفْخِها وأبْعَدْتَها مِنَ الوجود؛
حَذارِ تِلْكَ القَشَّةُ جِبالٌ مُقْتَلَعَةٌ، العالَمُ باكٍ مِنْها وهِيَ ضاحِكَة؛
يُظْهِرُ ماءَ الجَدْوَلِ هذا إلى الكَعْبِ، وقَدْ غَرِقَ فيهِ مِئةٌ مِثْلَ عاج بنِ عَنَق؛
يُظْهِرُ مَوجَ الدَّمِ لَهُ تَلَّ مِسْكٍ، يُظْهِرُ قَعْرَ البَحْرِ لَهُ تُراباً يَبَساً؛
رأى فِرْعَونُ الأعْمى ذلِكَ البَحْرَ يَبَساً، حتَّى مَضى فيهِ مِنَ العِنادِ والزُّور؛
ولَمَّا دَخَلَ صارَ في قَعْرِ البَحْر، عَيْنُ فِرْعَونَ متى كانَتْ مُبْصِرَة؛
العَينُ المُبْصِرَةُ صارَتْ مِنْ لِقاءِ الحَقّ، الحَقُّ متى يصيرُ نَجِيّاً لِكُلِّ أحْمَق؛
ما رآهُ سُكَّراً كانَ السُّمَّ القَتول، ما رآهُ طَريقاً كانَ صَوتَ الغول؛
أيْ فَلَكُ في فِتْنَةِ آخِرِ الزَّمان، تَصيرُ حادّاً أعْطِ آخِرَ زمان؛
خَنْجَرٌ حادٌّ أنتَ في قَصْدِنا، حَدُّكَ مُلَوَّثٌ بالسُّمِّ في فَصْدِنا؛
أيْ فَلَكُ مِنْ رَحْمَةِ الحَقِّ تَعَلَّم الرَّحْمَة، على قَلْبِ النَّمْلِ لا تَقُمْ باللَّدْغِ كالأفعى؛
بِحَقِّ مَنْ جَعَلَ لَكَ الدُّولابَ لِعَجَلَتِكَ، وَجَعَلَكَ دائراً مِنْ فَوقِ هذا المَنْزِل؛
أنْ تَصيرَ إلى حالَةٍ أُخْرى وَتَرْحَمَ، مِنْ قَبْلِ أنْ تَقْتَلِعَ جَذْرَنا؛
بِحَقِّ تِلْكَ الحَضانَةِ الَّتي كانَتْ مِنْكَ أوَّلاً، حَتَّى نَما غُصْنُنا مِنَ الماءِ والطِّين؛
بِحَقِّ ذاكَ المَلِكَ الَّذي أبْدَعَكَ صافِياً، أشْعَلَ فيكَ الكَثيرَ مِنَ القَنادِيلِ ظاهِرَةً؛
حافَظَ عَلَيْكَ مَعْموراً هكذا وباقِياً، حتَّى ظَنَّكَ الدَّهْرِيُّ مِنَ الأزَل؛
الشُّكْرُ أنَّنا عَلِمْنا بِدايَتَك، الأنبياءُ قالوا لنا ذلِكَ السِّرَّ عَنْك؛
الآدَمِيُّ عَلِمَ أنَّ البَيْتَ حادِث، ما مِنْ عَنكَبوتٍ بِهِ عابِث؛
البَعُوضَةُ متى تَدري متى كانَ الرَّوضُ، وهِيَ تُولَدُ في الرَّبيعِ وتَموتُ شِتاءً؛

الدُّودَةُ وُلِدَتْ في الخَشَبِ ضَعيفَةَ الحال، ما عِلْمُها بِالخَشَبِ وَقْتَ كانَ غُصْناً؛
ولَو عَلِمَتِ الدُّودَةُ مِنْ ماهِيَّتِها، لكانَتْ عَقْلاً وكانَتْ بالصُّوْرَةِ دُودَةً؛
العَقْلُ يُظْهِرُ لِنَفْسِهِ الألوان، وهُوَ بَعيدٌ عَنْ ذلِكَ فراسِخَ كجِنِّيّ؛
مِنَ المَلَكِ العالي ما مَحَلُّ الجِنِّيّ، أنتَ ذُبابَةُ جِنٍّ تَطيرُ في حَضيض؛
رَغْمَ أنَّ عَقْلَكَ يطيرُ نَحْوَ الأعْلى، طائرُ تَقليدِكَ يرعى في الحَضيض؛
عِلْمُ تَقْليدِنا وَجَناحُ روحِنا، عارِيَةٌ وَنَحْنُ خِلْنا أنَّ ذلِكَ لَنا؛
مِنْ هذا العَقْلِ الجاهِلِ يَجِبُ أنْ نَفِرَّ، وأنْ نُمْسِكَ بالجُنون باليَد؛
وكُلُّ ما تراهُ نَفْعاً اهْرَبْ مِنْهُ، وارشُفِ السُّمَّ وأرِقْ ماءَ الحَياة؛
أعْطِ السَّبَّ كُلُّ مَنْ مَدَحَكَ، أعْطِ النَّفْعَ والمالَ قَرْضاً للمُفْلِسِ؛
وَدَعِ الأَمْنَ وكُنْ في مكانِ الخَوف، وَدَعِ الشَّرَفَ وكُنْ مَفْضوحاً واشتَهِرْ؛
لَقَدْ جَرَّبْتُ العَقْلَ بَعيدَ التَّفكير، بَعْدَ هذا سَأَجْعَلُ مِنْ نَفْسي مَجنوناً؛

عُذْرُ المُهَرِّجِ للسَّيِّدِ بِسَبَبِ زواجِهِ مِنْ بَغِيّ

قالَ لِمُهَرِّجٍ لَيْلَةً سَيِّدٌ أجَلّ، لِماذا تَزَوَّجْتَ قَحْبَةً عَلى عَجَلْ؛
كانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أنْ تَقولَ لي هذا، حتَّى أُزَوِّجَكَ واحِدَةً مَستورَةً؛
قالَ تَزَوَّجْتُ تِسْعَ مَستوراتٍ صالِحاتٍ، تَحَوَّلْنَ قِحاباً وصِرْتُ ناحِلاً مِنَ الغَمِّ؛
فَتَزَوَّجْتُ هذِهِ القَحْبَةَ بلا مَعْرِفَة، لأرى كَيْفَ تَصيرُ مِنْ هذِهِ العاقِبَة؛
أنا كَثيراً ما جَرَّبْتُ العَقْلَ لِذا، بَعْدَ هذا أنا أبْحَثُ عَنْ مَغْرِسٍ للجنونِ؛

دَفْعُ سائلٍ ذلِكَ العَظيمَ الَّذي تَظاهَرَ بالجُنونِ للكلامِ بالحِيلَة

كانَ واحِدٌ يقولُ أُريدُ عاقِلاً، لأقومَ بِمُشاوَرَتِهِ في مُشْكِلٍ؛
فقالَ لَهُ واحِدٌ ما هُناكَ في مَدينَتِنا، عاقِلٌ غَيْرُ ذاكَ المُتَظاهِرِ بالجُنون؛

إنَّهُ على قَصَبَةٍ راكِبٌ أي فُلان، وهُوَ يجري مُسْرِعاً بينَ الصِّبيان؛
إنَّهُ صاحِبُ رَأيٍ وقِطْعَةُ نارٍ، لهُ قَدْرُ سماءٍ ومَرْتَبَةُ نَجْمٍ؛
عَظَمَتُهُ يَطْلُبُها الكروبيّون بالرُّوحِ، وهُوَ مُتَخَفٍّ في هذا الجُنون؛
لكِنْ كُلَّ مَجنونٍ لا تَعُدَّ مُكَرَّماً، ولا تَسْجُدْ لِكُلِّ عِجْلٍ كأنَّهُ السَّامِرِيّ؛
فَلَو قالَ لَكَ ولِيٌّ بِشَكْلٍ جَلِيٍّ، مِئَةَ أَلْفِ غَيْبٍ وَسِرٍّ خَفِيّ؛
وليسَ لَكَ ذلِكَ الفَهْمُ وذلِكَ العِلْم، فَلَنْ تُمَيِّزَ بَيْنَ الزِّبْلِ والعُود؛
الولِيُّ إذا نَسَجَ لِنَفْسِهِ بُرْدَةً مِنَ الجُنون، متى تَكونُ لَكَ مَعْرِفَتُهُ أيْ أعْمى؛
إذا كانَ لَكَ بازُ عَيْنِ اليقينِ تِلْك، فانْظُرْ تَحْتَ كُلِّ حَجَرٍ إلى قائِدٍ بَطَل؛
أمامَ تِلْكَ العَيْنِ الَّتي هِيَ بازٌ وقائِدٌ، كُلُّ سَجَّادَةٍ عَلَيْها كَليمٌ؛
والوليُّ أيضاً إنَّما شَهَرَهُ ولِيّ، وكُلُّ مَنْ سَأَلَهُ جَعَلَ لَهُ نَصيباً مِنْه؛
لا شَخْصَ عَنْ طريقِ العَقْلِ يَعْرِفُهُ، لأنَّهُ جَعَلَ مِنْ نَفْسِهِ مَجنوناً؛
إذا سَرَقَ مِنْ أعْمى سَارِقٌ بَصيرٌ، لنْ يرى السَّارِقَ شَيئاً في العُبور؛
الأعْمى لَنْ يَعْرِفَ مَنْ سَرَقَهُ مَنْ يكون، رَغْمَ أنَّ السَّارِقَ العَنودَ اصطَدَمَ بِه؛
إذا عَضَّ كَلْبٌ سائلاً أعْمىً ، متى يَعْرِفُ ذلِكَ الكَلْبَ العَقور؛

هُجومُ الكَلْبِ على أعْمىً سائِلٍ

كَلْبٌ في الحَيِّ على سائلٍ ذي عَمى، قامَ بالهُجومِ كأنَّهُ أسَدُ الوغى؛
الكَلْبُ في غَضَبٍ يَقصِدُ الدَّراويش، والقَمَرُ يَمْسَحُ العَينَ بِتُرابِ الدَّراويش؛
الأعْمى صارَ عاجِزاً مِنْ صوتِ وخَوفِ الكَلْب، بَدَأَ الأعْمى في تَعْظيمِ الكلْب؛
أنْ أيْ أميرَ الصَّيْدِ وأيْ أسَدَ الفَرائس، اليَدُ الطُّولى يَدُكَ اِرْفَعِ اليَدَ عَنّي؛
ذاكَ الحَكيمُ مِنَ الضَّرورَةِ قامَ بِالتَّعْظيم، لِذَنَبِ الحِمارِ وأعطاهُ لَقَبَ كريم؛
هُوَ أيضاً مِنَ الضَّرورَةِ قالَ أي أسَد، مِنْ صَيْدٍ مِثْلي هَزيلٍ ما انتِفاعُك؛

رِفاقُكَ في الصَّحْراءِ يصيدونَ حِمارَ الوَحْشِ، وأنتَ تَصيدُ أعْمى في الزُّقاق؛
رِفاقُكَ يَطلُبونَ حِمارَ الوَحْشِ في الصَّيْد، أنتَ تَطْلُبُ أعمىً في الزُّقاقِ بالكَيْد؛
ذاكَ الكَلْبُ العالِمُ صَيْدُهُ حِمارُ الوَحْش، وهذا الكَلْبُ الوَضيعُ قَصْدُهُ الأعْمى؛
الكَلْبُ لمَّا تَعَلَّمَ العِلْمَ تَحرَّرَ مِنَ الضَّلال، فهُوَ في الآجامِ يقومُ بالصَّيْدِ الحلال؛
الكَلْبُ العالِمُ صارَ سَريعَ الزَّحْف، الكَلْبُ العارِفُ صارَ مِنْ أصحابِ الكَهْفْ؛
الكَلْبُ صارَ عارِفاً بِأميرِ الصَّيْدِ مَنْ يكون، إلٰهي ذلِكَ النُّورُ المُعَرِّفُ ما يكون؛
الأعمى لا يعرِفُ ليسَ مِنْ عَدَمِ النَّظَر، بل هذا لأنَّهُ كانَ مِنَ الجَهْلِ في سَكَر؛
ليسَ مَنْ هُوَ أكْثَرُ عَمىً مِنَ الأرْض، الأرْضُ تُبْصِرُ الخَصْمَ مِنْ فَضْلِ الحَقّ؛
نورَ موسى رأتْ وأكْرَمَتْ موسى، قارونَ عَرفَتْ وخَسَفَتْ بِقارون؛
رَجَفَتْ تسعى في هلاكِ كُلِّ دَعِي، فَهِمَتْ مِنَ الحَقِّ *يا أرْضُ ابلَعي؛*
التُّرابُ والماءُ والرِّيْحُ والنَّارُ ذاتُ الشَّرَر، بلا خَبَرٍ عَنَّا وبالحَقِّ ذاتُ خَبَر؛
نَحْنُ عَكْسَ ذاكَ بِغَيْرِ الحَقِّ عالِمون، وبالحَقِّ والكَثيرِ مِنَ النُّذُرِ جاهِلون؛
لا جَرَمَ جَميعاً *أشْفَقْنَ مِنْها*، وضُعَفَتْ حَمْلَتُها مِنَ الاِختِلاطِ بالحَيوان؛
قالَ أنا مُتَنَفِّرٌ مِنْ هذِهِ الحَياة، لأنَّهُ مَعَ الخَلْقِ حَيٌّ ومَعَ الحَقِّ مَوات؛
حينَ انْقَطَعَ مِنَ الخَلْقِ صارَ يتيماً، الأُنْسُ بالحَقِّ يَطْلُبُ قَلْباً سَليماً؛
عِنْدَما يَسْرِقُ سارِقٌ متاعاً مِنْ أعْمى، يقومُ ذاكَ الأعْمى بالأنينِ على العَمياء؛
ما لَمْ يَقُلْ لَهُ السَّارِقُ أنا ذاكَ، أنا سَرَقْتُكَ فأنا سارِقٌ بِفَنّ؛
متى كانَ يَعْرِفُ الأعْمى سارِقَه، وهُوَ لا يَملِكُ ذاكَ الضِّياء والنُّورَ في العَيْن؛
وإنْ قالَ أمْسَكْتَ بِهِ بِشِدَّةٍ، لِيَقولَ العلاماتِ عَنِ المَتاع؛
فالجِهادُ الأكْبَرُ جاءَ عَصْرُ السَّارِق، لِيَكونَ مِنْهُ إقرارٌ بما سَرَق؛
فأوَّلَ ما سَرَقَ مِنْكَ كُحْلُ عَينِك، فإذا ما اسْتَرْجَعْتَهُ اسْتَرْجَعْتَ بَصَرِكَ؛
متاعُ الحِكْمَةِ الَّذي ضاعَ مِنَ القَلْب، عِنْدَ أهْلِ القَلْبِ يصيرُ حاصِلاً يقيناً؛

أعْمى القَلْبِ ذو روحٍ وسَمْعٍ وبَصَر، ولا يَعْرِفُ الشَّيْطانَ السَّارِقَ مِنَ الأثَر؛
أُطْلُبْ ذاكَ مِنْ أهْلِ القَلْبِ لا مِنْ جَماد، لا تَسْألِ الخَلقَ فالخَلْقُ عِنْدَهُ جَماد؛
الباحِثُ عَنِ المَشْوَرَةِ جاءَ إلَيْه، أيْ مَنْ صِرْتَ أبَ الطِّفْلِ قُلْ لَهُ السِّرّ؛
قالَ رُحْ عَنْ هذِهِ الحَلْقَةِ، البابُ غَيْرُ مَفتوح، ارْجِعْ فهذا اليَومُ ليسَ يومَ السِّرّ؛
لو كانَ للمكانِ طَرِيقٌ في اللَّامكان ، كُنْتُ مِثْلَ الشُّيوخِ الآخَرينَ في الدُّكَّان؛

استِدْعاء مُحْتَسِب لِسَكْران خَرِبٍ إلى السِّجْن

المُحْتَسِبُ وَصَلَ مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ مكاناً، رأى نائماً عِنْدَ أصْلِ الجِدار سَكْراناً؛
قالَ أيْ سَكْرانُ ماذا شَرِبْتَ قُلْ، قالَ شَرِبْتُ مِنْ هذا المَوجُودِ في الجَرَّة؛
قالَ ما المَوجودُ في الجَرَّةِ آخِراً قُلْ، قالَ مِنْ ذلِكَ الَّذي شَرِبْتُ قالَ هذا خَفِيّ؛
قالَ ذاكَ الَّذي شَرِبْتَ ما الَّذي كانَ، قالَ كانَ ذاكَ الَّذي هُوَ في الجَرَّةِ مَخْفِيّ؛
وطالَ طويلاً هذا السُّؤالُ وهذا الجَواب، وبقِيَ المُحْتَسِبُ كالحِمارِ في الطِّين؛
قالَ لَهُ المُحتَسِبُ هَيَّا قُلْ آه، فراحَ السَّكْرانُ يَتَكَلَّمُ يقولُ هوهو؛
قالَ قُلْتُ لَكَ قُلْ آه فَتقولَ هُو، قالَ أنا مَسرورٌ وأنتَ مَغْموم؛
الآهُ مِنَ ألَمٍ وغَمٍّ وجَوْر، وأنْفاسُ الشَّارِبينَ مِنْ سُرور؛
قالَ المُحْتَسِبُ لا أعْرِفُ هذا انْهَضِ انْهَضْ، لا تَدَّعِ المَعْرِفَةَ وَدَعِ العِناد؛
قالَ أنتَ فامضِ أنا مِنْ أين وأنتَ مِنْ أين، قالَ سَكْرانُ قُمْ تَعالَ إلى السِّجْن؛
قالَ السَّكْرانُ أيْ مُحْتَسِبُ دَعْني وامضِ، مَنْ يَقدِرُ أنْ يَأخُذَ رَهْناً مِنْ عارٍ؛
لَوْ كانَتْ لي قُوَّةٌ للذَّهابِ لَكُنْتُ، مُنْذُ أمكَنَ هذا ذَهَبْتُ إلى البَيت؛
لَو كانَ عِنْدِيَ عَقْلٌ وكانَ لِي إمكانٌ ، كُنْتُ مِثْلَ الشُّيوخِ ذا دُكَّان؛

جَذْبُ السَّائل ذلِكَ العَظيم للحديث
للمَرَّةِ الثَّانِيَة لِيصيرَ حالُهُ مَعْلوماً أكْثَر

قالَ ذلِكَ الطَّالِبُ أخيراً مُجَرَّدَ نَفَس، أيْ فارِسَ القَصَبَةِ لِهذِهِ الجِهَةِ قُدِ الفَرَس؛
فساقَ القَصَبَةَ نَحْوَهُ قالَ قُلْ أسْرِعْ، فإنَّ حِصاني عَنيدٌ كثيراً وجامِح؛
قُلْ سَريعاً كي لا تُصيبَكَ رَكْلَةٌ مِنْهُ، ما تَطْلُبُ بَيِّنِ المُرادَ واجْعَلْهُ واضِحاً؛
ولَمْ يَجِدْ مَجالاً لِقَوْلِ سِرِّ قَلْبِه، فَخَرَجَ عَنِ الأمْرِ وَقالَ في هَزْل؛
إنَّني أطْلُبُ في هذِهِ المَحَلَّةِ زَوْجَةً، فأيَّةُ زَوْجَةٍ تكونُ لائقَةً مِنْ أجْلِ مِثْلي؛
قالَ نِساءُ الدُّنيا ثلاثَةُ أنواعٍ، اثنَتانِ ألَمٌ وواحِدَةٌ كَنْزٌ جارٍ؛
تِلْكَ الواحِدَةَ إنْ طَلَبْتَ تكونُ كُلُّها لَكَ، والأُخْرى نِصْفٌ لَكَ ونِصْفٌ مُفارِقُك؛
وثالِثَةٌ لَيْسَ لَكَ مِنْها أيُّ شَيْءٍ فاعْلَمْ، سَمِعْتَ هذا فابتَعِدْ أنا مُنْطَلِقٌ بِجوادي؛
كَيْ لا يَقُومَ بِرَكْلِكَ بِرِجْلِهِ الجَوادُ، فَتَسْقُطَ ثُمَّ لا تَقومَ إلى الأبَد؛
ومضى الشَّيخُ ما بينَ الصِّبيان يعْدو، فناداهُ مَرَّةً أُخْرى ذلِكَ الشَّابّ؛
أنْ تعالَ أخيراً قُلْ تَفسيرَ هذا، قُلْتَ النِّساءُ ثلاثَةُ أنواعٍ فاخْتَرْ لي؛
أقْبَلَ نَحْوَهُ وقالَ لَهُ البِكْرُ خاصَّةً، تكونُ كُلُّها لَكَ وتَجِدُ الخلاصَ مِنَ الغَمّ؛
والَّتي نِصْفُها لَكَ هِيَ الأرْمَلَة، والَّتي لا شَيْءَ لَكَ مِنْها ذاتُ الوَلَد؛
ما دامَ لها مِنْ زَوْجِها الأوَّلِ وَلَدٌ، فَكُلُّ حُبِّها وخاطِرِها ذلِكَ الصَّوبَ يَذْهَب؛
اِبْتَعِدْ كَيْ لا يَقومَ بِرَفْسِكَ حَصاني، ويَصِلَ إلَيْكَ حافِرُ حِصاني الجامِح؛
وأثارَ الشَّيْخُ جَلَبَةً وانطَلَقَ بِحِصانِهِ، إلى جِهَةِ الأولادِ ودَعاهُمْ إلَيْه؛
وعادَ فناداهُ ذلِكَ السَّائلُ تَعال، أيُّها المَلِكُ العَظيم بَقِيَ عِنْدي سؤال؛
فأقْبَلَ هذِهِ الجِهَةَ قالَ قُلْ سريعاً، فذاكَ الصَّبِيُّ في المَيدانِ قَدْ سَبَقَني؛
قالَ أيْ مَلِكُ بِمِثْلِ هذا العَقْلِ والأدَب، أيُّ وَلَهٍ هذا، أيُّ فِعْلٍ هذا، أيْ عَجَب؛

أنتَ بَعْدَ العَقْلِ الكُلِّيّ في البيان، أنتَ شَمْسٌ كَيْفَ اخْتَفَيت في الجُنون؛
قالَ هؤلاءِ الأوباشُ كانوا تشاوَروا، لِيَجْعلوا مِنّي القاضِيَ في هذِهِ المَدينَة؛
كُنْتُ أدْفَعُهُمْ فلا يقبلونَ ويقولونَ، لَيْسَ مِثْلَكَ مِنْ عالِمٍ صاحِبِ فَنّ؛
حَرامٌ مَعَ وجودِكَ وخَبيث، أنْ يقولَ الأقَلُّ مِنْكَ في القَضاءِ الحَديث؛
لَيْسَ هُناكَ دَسْتورٌ في الشَّريعَةِ لنا، لِنَجْعَلَ الأقَلَّ مِنْكَ سُلطاناً وإماماً لَنا؛
مِنْ هذِهِ الضَّرورَةِ صِرْتُ مُضْطَرِباً وَمَجْنوناً، لكِنَّني في الباطِنِ عَيْنُ ما كُنْت؛
عَقلي هُوَ الكَنْزُ وأنا الخَرابُ، لَقَد وَجَدْتُ الكَنْزَ فأنا مَجنون؛
هُوَ مَجنونٌ ولكِنَّهُ لَمْ يُجَنّ، رأى هذا العَسَسَ ولَمْ يَدْخُلْ البَيت؛
عِلْمي هُوَ الجَوْهَرُ لا العَرَض، هذا ليسَ ثَمَناً لِأجْلِ كُلِّ غَرَض؛
أنا مَنْجَمُ سُكَّرٍ وأجْمَةُ قَصَبٍ، يَنْبُتُ السُّكَّرُ مِنّي وأنا آكُلُه؛
ذلِكَ العِلْمُ الَّذي مِنْهُ يَصْرُخُ المُسْتَمِعُ، مِنَ النُّفورِ، عِلْمُ تَقليدٍ وَتَعْليمٍ؛
لأنَّهُ طَلَبُ الرِّزْقِ لا طَلَبُ الضِّياء، على مِثالِ طالِبِ عِلْمِ الدُّنيا الدَّنيئة؛
طالِبُ العِلْمِ مِنْ أجْلِ عامٍّ وخاصّ، سَوفَ لَنْ يَجِدَ مِنْ هذا العالَمِ الخلاص؛
مِثْلَ فَأرٍ عَمِلَ جُحْراً لكُلِّ طَرَف، بِما أنَّ النُّورَ طَرَدَهُ وأبْعَدَه؛
حَيْثُ لم تَكُنْ لَهُ طَريقٌ إلى الصَّحْراءِ والنُّور، ظَلَّ في تِلْكَ الظُّلُماتِ في جَهْد؛
لو أعطاهُ اللهُ الجناحَ جَناحَ العَقْلِ، لَما بَقِيَ فَأراً ولطارَ كالطُّيور؛
فإذا لَمْ يَطْلُبِ الجَناحَ ظَلَّ تَحْتَ التُّراب، يائساً مِنَ الذَّهابِ في طَريقِ السَّماء؛
عِلْمُ المَقالِ ذاكَ كانَ بِلا روحٍ، وكانَ عاشِقاً لَوجوهِ المُشْتَرين؛
رَغْمَ أنَّ وَقْتَ البَحْثِ والعِلْمِ كانَ طَويلاً، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُشْتَرٍ ماتَ وَمَضى؛
مُشْتَرِيَّ اللهُ *فاللهُ اشترى*، فهُوَ يسحَبُني إلى جِهَةِ الأعْلى؛
ثَمَنُ دَمي جَمالُ ذو الجلالِ، ثَمَنُ دمي طعامي فَهُوَ كَسْبٌ حلال؛
فلتَدَعْ هؤلاءِ المُشْتَرينَ المُفْلِسين، ما الَّذي تَشْتَري قَبْضَةٌ مِنَ الطِّين؛

لا تأكُلِ الطِّينَ لا تَشْتَرِ الطِّينَ لا تَطْلُبِ الطِّين،آكِلُ الطِّينِ دائماً أصْفَرُ الوَجْه،
كُلِ القَلْبَ كي تَظَلَّ دائماً شابّاً، ويكونُ وَجْهُكَ مِنَ التَّجَلِّي مِثْلَ الأُرجُوان؛
يا ربِّ هذا العَطاءُ لَيْسَ حَدّاً لأمْرِنا، لُطْفُكَ لُطْفٌ خَفِيٌّ أنتَ بِهِ جَدير؛
كُنْ آخِذاً بِيَدِنا، كُنْ مُشْتَرِياً لَنا، اِرْفَعْ الحِجابَ لنا ولا تُمزِّقْ حِجابَنا؛
أعِدْ شِراءَنا مِنْ هذِهِ النَّفْسِ ذاتِ الرِّجْسِ، سِكِّينُها وَصَلَتْ فينا إلى العَظْم؛
هذا القَيْدَ الشَّديدَ على مساكِينَ مِثْلِنا، مَتى تَفُكُّ أيْ شاهاً بلا تاجٍ ولا تَخْت؛
مِثْلَ هذا القِفْلِ الثَّقيلِ أيْ وَدود، غَيرَ فَضْلِكَ مَنْ يَسْتَطيعُ أنْ يَفْتَحَه؛
نَحْنُ إلى أيِّ صَوبٍ نُديرُ الرَّأسَ عَنْكَ، ما دُمْتَ كُنْتَ أقْرَبَ إلَينا مِنَّا؛
هذا الدُّعاءُ أيضاً عَطاؤكَ وَتَعْليمُك، وإلَّا كَيْفَ كانَ يَطْلُعُ البَستانُ مِنَ الأتون؛
ما بينَ الدَّمِ والمَعي فَهْمٌ وَعَقْلٌ، مِنْ دونِ إكرامِكَ لا يُستطاعُ لَهُما نَقْل؛
هذا النُّورُ الجاري مِنْ قِطْعَتَي شَحْمٍ، مَوجُ نُورِهِ يَضْرِبُ السَّماء؛
مِنْ قِطْعَةِ لَحْمٍ هِيَ اللِّسانُ، سالَ سَيْلُ حِكْمَةٍ كأنَّهُ جَدْوَلٌ؛
إلى شِقَّيْنِ يُدْعَيانِ أُذُنَين، إلى رَوْضَةِ الرُّوحِ الَّتي ثِمارُها الأفْهام؛
طريقُ رَوْضَةِ الأرواحِ شَرْعُهُ، رياضُ وبساتينُ العالَمِ فَرْعُهُ؛
أصْلُ وَنَبْعُ عَينِ السَّعادَةِ ذاك ، اِقْرَأْ سَريعاً *تَجْري تَحْتَها الأنهارُ*؛

تَتِمَّةُ نَصيحَةِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ لِلمريض

قالَ النَّبِيُّ لِذلِكَ المَريض، حينَ عادَ ذاكَ الصَّديقَ العاجِزَ؛
لَعَلَّكَ دَعَوتَ بِنَوعٍ مِنَ الدُّعاء، مِنَ الجَهالَةِ شَرِبْتَ شَراباً مَسموماً؛
بِأيِّ دُعاءٍ كُنْتَ تَدْعو تَذَكَّرْ، عِنْدَما كُنْتَ مِنْ مَكْرِ النَّفْس تَضْطَرِبُ؛
قالَ لا ذاكِرَةَ لي إلَّا بِهِمَّةٍ، مِنْكَ مَعي فأذْكُرَ مِنْ ساعَتي؛
مِنْ حُضورِ المُصْطَفى واهِبِ النُّور، جاءَ إلى خاطِرِهِ ذلِكَ الدُّعاء؛

شَعَّ مِنْ تِلْكَ النَّافِذَةِ مِنَ القَلْبِ لِلقَلْب، ضِياءٌ بِهِ الفَرْقُ بَيْنَ الحَقِّ والباطِل؛
قالَ هاأَنَذا تَذَكَّرْتُ أيْ رَسول، ذلِكَ الدُّعاءَ الَّذي قُلْتُ أنا الفُضولي؛
عِنْدَما كُنْتُ أسيْرَاً لِلذَّنْب، كُنْتُ كالغَريقِ أمُدُّ اليَدَ لِلحشائش؛
كانَ يَصِلُني مِنْكَ تَهْديدُ الوَعيد، أنِ المُجْرِمونَ لَهُم عَذابٌ شَديد؛
فكُنْتُ أضْطَرِبُ ولمْ تَكُ حِيْلَةٌ، فالقَيْدُ مُحْكَمٌ والقِفْلُ مُغْلَقٌ؛
لَمْ يكُنْ لي مَقامُ صَبْرٍ ولا طَريقُ هَرَبٍ، ولا أمَلُ تَوبَةٍ ولا مَجالُ خِصام؛
مِثْلَ هاروتَ وَمِثْلَ ماروتَ مِنْ حَزَنٍ، كُنْتُ أُطْلِقُ الآهَ أنْ أيْ خَلَّاقي؛
مِنَ الخَطَرِ هاروتُ وماروتُ عَلَناً، جَعَلا بِئرَ بابِلَ اختيارَهُما؛
لِيُعانِيا عَذابَ الآخِرَةِ ها هُنا، فهُما ذَكِيَّانِ وعاقِلانِ وبالسَّحَرَةِ شَبيهان؛
أحْسَنا الصُّنْعَ فَأَلَمُ الدُّخان، كانَ عِنْدَهُما أسْهَلَ مِنَ النَّارِ؛
وَصْفُ أَلَمِ ذاكَ العالَمِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ، أَلَمُ الدُّنيا يكونُ سَهْلاً عِنْدَ ذاكَ الأَلَم؛
أيْ هَنيئاً لِذاكَ الَّذي يقومُ بالجِهاد، يقومُ بِزَجْرِ البَدَنِ ويُقاصُّ البَدَن؛
كي يَنجوَ مِنْ أَلَمِ ذلِكَ العالَمِ الآخَر، يَجْعَلُ مِنْ تأليمِ نَفْسِهِ عِبادَةً؛
كُنْتُ أقولُ يا ربِّ ذلِكَ العَذاب، سُقْ إلَيَّ إلى هذا العالَمِ أيضاً سريعاً؛
كيما أكونَ في ذلِكَ العالَمِ مُطْمَئنَّاً، كُنْتُ أقْرَعُ حَلَقَةَ الباب بِمِثْلِ هذا الطَّلَب؛
فَعَرَضَ لي مِثْلُ هذا المَرَض، فَغَدَتْ روحي مِنَ الأَلَمِ دونَ سُكون؛
فَقَعَدْتُ عَنِ الذِّكْرِ وَعَنْ أورادِ نَفْسي، وَصِرْتُ جاهِلاً بالنَّفْسِ والخَيْرِ والشَّرّ؛
ولَو لَمْ أكُنْ قَدْ رَأَيْتُ وَجْهَكَ الآنَ، أيْ مَيموناً وأيْ مُبارَكَ العَبير؛
لانتَهى أمري دُفْعَةً واحِدَةً، لَقَدْ عَمِلْتَ لي المواساةَ المَلَكِيَّة؛
قالَ هذا الدُّعاءَ لا تَدْعُ مِنْ جَديد، لا تَقْتَلِعِ النَّفْسَ مِنَ الجَذْرِ والأَصْل؛
أنتَ ما طاقَتُكَ أيْ نَمْلَةً ضَعيفَةً، لِيَضَعَ عَلَيْكَ مِثْلَ هذا الجَبَلِ العالي؛
قالَ تُبْتُ أيْ سُلطانُ فأنا، مِنْ جَلَدي لَنْ أدَّعي بالغُرورِ أيَّ فَنٍّ؛

هذا العالَمُ تيهٌ وأنتَ موسى وَنَحْنُ، باقُونَ في التِّيْهِ نُبْتَلى مِنَ الذَّنب؛
سِنينَ وَنَحْنُ نَمشي في الطَّريقِ وهانَحْنُ، أخيراً هكذا في المَنْزِلِ الأوَّلِ أُسارى؛
لو كانَ قَلْبُ موسى راضِياً مِنَّا، لَظَهَرَ لنا في التِّيهِ دَرْبٌ وَطَرَف؛
ولو كانَ بِالكُلِّيَّةِ مُتَضايِقاً مِنَّا، ما كانَتْ مائِدَةٌ مِنَ السَّماء لِتَصِلَنا؛
ولا كانَتْ العُيونُ مِنَ الحَجَرِ لِتَجيشَ لنا، في الصَّحْراءِ فتكونَ أماناً لِروحِنا؛
بَلْ لَجاءَتنا النَّارُ بَدَلَ المائِدَةِ، إلى هذا المَنْزِلِ وَرَمَتْ عَلَينا اللَّهَب؛
حينَ صارَ موسى بِقَلْبَينِ في شَأنِنا، حيناً خَصْمٌ لنا وحيناً عَونٌ لنا؛
غَضَبُهُ يُشْعِلُ النَّارَ في مَتاعِنا، وحِلْمُهُ يَرُدُّ سَهْمَ البلاءِ عَنَّا؛
متى كانَ يصيرُ الغَضَبُ حِلْماً أيضاً، لَيْسَ هذا مِنْ لُطْفِكَ بِنادِرٍ أيْ عَزيز؛
مَدْحُ الحاضِرِ وَحْشَةٌ ولأجْلِ هذا، جِئتُ باسْمِ موسى قاصِداً هكذا؛
غَيرَ مُوسى مَنْ يكونُ لائقاً لِأنْ، أقومَ بِذِكْرِهِ أمامَكَ مِنْ أيِّ شَخْص؛
مِئةً وألفاً مِنَ المَرَّاتِ عَهْدُنا كُسِرَ، وعَهْدُكَ كالجَبَلِ ثابِتٌ مُسْتَقِرّ؛
عَهْدُنا التِّبْنُ خاضِعٌ لِكُلِّ ريحٍ، عَهْدُكَ الجَبَلُ ويزيدُ على مِئةِ جَبَلٍ أيضاً؛
بِحَقِّ تِلْكَ القُوَّةِ أنْ تَقومَ بالرَّحْمَةِ، على تَلوينِنا أيْ أميرَ الألوان؛
رأينا النَّفْسَ وَفَضيحَةَ النَّفْس، لا تَقُمْ بامتِحانِنا أكْثَرَ أي شاهُ؛
كي تَجْعَلَ الفَضائحَ الأُخرى مِنَّا، مَخْفِيَّةً أي كريمُ أي مُستَعان؛
أنتَ في الجَمالِ وفي الكمال بلا حَدّ، نَحْنُ في المَيْلِ وفي الضَّلال بلا حَدّ؛
أي كريمُ اخْتَرْ لُطْفَكَ بلا حَدّ، على مَيْلِ حَفْنَةِ لِئامٍ بلا حَدّ؛
ها قد بَقِيَ لنا مِنْ تَقطيعِ ثيابِنا خَيْطٌ واحِدٌ، وكُنَّا مِصْراً وبقِيَ لنا جِدارٌ واحِد؛
البَقِيَّةَ البَقِيَّةَ أي سُلطانْ، كي لا تَسْعَدَ كُلِيَّةً روحُ الشَّيطان؛
ليسَ مِنْ أجْلِنا بَلْ لِأجْلِ لُطْفِكَ الأَزَل، أنْ تَعودَ فَتَتَفَقَّدَّ الضَّالِّينَ في الطَّريق؛
كما أظْهَرْتَ قُدْرَتَكَ أظْهِرِ الرَّحْمَة، أي واضِعَ الرَّحَماتِ على اللَّحْمِ والشَّحْم؛

إنْ كانَ هذا الدُّعاءُ زادَكَ غَضَباً عَلَينا، قُمْ بالأَمْرِ بِتَعْليمِنا الدُّعاءَ أي عَظيم؛
مِثْلَما بَعْدَ أنْ وَقَعَ آدَمُ مِنَ السَّماء، أرْجَعْتَهُ وَحَرَّرْتَهُ مِنَ الشَّيطانِ القَبيح؛
مَنْ يكونُ الشَّيطانُ لِيَنتَصِرَ على آدَمَ، ويفوزَ عَلَيْهِ على مِثْلِ هذا النَّطْع؛
في الحَقيقَةِ ذاكَ صارَ كُلُّهُ نَفْعاً لِآدَمَ، وذلِكَ المَكْرُ صارَ لَعْنَةً للحاسِد؛
لُعْبَةً رأى ومائتَي لُعْبَةٍ لَمْ يَرَ، فانْقَطَعَ عَمودُ بِنائِهِ الَّذي بنى؛
رمى النَّارَ لَيْلاً بِزَرْعِ الآخَرين، فساقَتِ الرِّيْحُ نارَهُ إلى زَرْعِه؛
لَعْنَةُ الشَّيطانِ كانَتْ الرِّباطَ على العَين، ليرى ضَرَرَ الخَصْمِ في ذلِكَ المَكْر؛
اللَّعْنَةُ كانَتْ أنْ جَعَلَهُ أعْوَجَ الرُّؤيَة، جَعَلَهُ حاسِداً ومغروراً ومليئاً بالحِقْد؛
لِئلَّا يَعْلَمَ أنَّ ذاكَ الَّذي فَعَلَ مِنْ سوءٍ، في العاقِبَةِ يَرْجِعُ إلَيْهِ كُلُّهُ ويؤذيه؛
جُمْلَةَ حِيَلِ الوَزيرِ رأى بِعَكْس، عادَتْ عَلَيْهِ بالخُسرانِ والنُّقْصانِ والوَكْس؛
ذلِكَ أنَّهُ لَو لَمْ يَكُنْ رأى النَّفْسَ بِغرور، لرأى الجُرْحَ جُرْحَ مَهْلَكٍ وناسور؛
ولثارَ الألَمُ مِنْ مِثْلِ هذِهِ الرُّؤيَةِ داخِلَهُ، وأخْرَجَهُ الألَمُ خارِجاً مِنَ الحِجاب؛
لَو لَمْ يُلِمَّ أَلَمُ المَخاضِ بالأُمَّهاتِ، ما وَجَدَ طِفْلٌ طريقَ الولادَةِ والنَّجاة؛
هذِهِ الأمانَةُ في القَلْبِ والقَلْبُ حامِلَه، هذِهِ النَّصائحُ على مِثالِ قابِلَه؛
القابِلَةُ قالَتِ المَرْأةُ بلا أَلَمٍ، الألَمُ واجِبٌ، طريق الْوَلَدِ الألَمُ؛
ذلِكَ الَّذي هُوَ بلا أَلَمٍ قاطِعُ طَريق، ذاكَ لأنَّ انْعِدامَ الأَلَمِ كقولِ *أنا الحَقّ*؛
أنا تِلْكَ في غَيْرِ الوَقْتِ قَولُها لَعْنَة، **أنا** تِلْكَ في الوَقْتِ قَولُها رَحْمَة؛
أنا تِلْكَ مِنْ مَنصور كانَتْ يقيناً رَحْمَةً، **أنا** تِلْكَ مِنْ فِرعَونَ فَلْتَرَها لَعْنَةً؛
لا جَرَمَ كُلُّ طائرٍ يُغَرِّدُ في غَيْرِ وَقْتٍ، قَطْعُ رَأسِهِ واجِبُ الإعلام؛
ما قَطْعُ الرَّأسِ إنَّهُ قَتْلُ النَّفْس، في الجِهادِ وحرارَتُه تَرْكُ القَول؛
كما لو قُمْتَ بِنَزْعِ إبْرَةِ العَقْرَبِ، لِيَجِدَ بِذلِكَ الأمانَ مِنَ القَتْل؛
واقتِلاعُ أسنانِ الحَيَّةِ الملأى بالسُّمِ، لِتَنْجُوَ الحَيَّةُ مِنْ بلاءِ الرَّجْمِ بالحِجار؛

لا شَيْءَ يَقْتُلُ النَّفْسَ غَيْرُ ظِلِّ الشَّيخ، بِرِداءِ قاتِلِ النَّفْسِ ذاكَ أَمْسِكْ بِشِدَّةٍ؛
إذا تَمَسَّكْتَ بِهِ بِشِدَّةٍ فذاكَ تَوفيقُه، وكُلُّ قُوَّةٍ جاءَتْكَ هِيَ مِنْ جَذْبِه؛
ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ اِعْرِفْ حَقَّاً، كُلَّ ما عَمِلَتِ الرُّوحُ كانَ مِنْ روحِ الرُّوح؛
إنَّهُ مُعينٌ حليمٌ صَبور، اِطْمَعْ بِذلِكَ النَّفَسِ مِنْهُ نَفَساً بِنَفَس؛
ليسَ غَمَّاً إذا بَقِيتَ مِنْ دونِهِ بَعيداً، فَقَدْ قَرَأتَ أَنَّهُ مؤخِّرٌ وأَنَّ أَخْذَهُ شَديد؛
أَمْهَلَتْ وأَخَذَتْ بِشِدَّةٍ رَحْمَتُه، لَحْظَةً لَمْ تَدَعْكَ غائباً حَضْرَتُه؛
إنْ أَرَدْتَ شَرْحَ هذا الوَصْلِ والولا، مِنْ صَميمِ الفِكرِ اِقْرَأْ *والضُّحى*؛
وإنْ قُلْتَ أنَّ الأذِيَّاتِ أيضاً مِنْهُ، متى كانَ ذاكَ نُقْصانَ فَضْل مِنْهُ؛
إعطاءُ ذلِكَ الضُّرِّ مِنْهُ كانَ كمالاً، أنا قائلٌ لَكَ أيْ مُحْتَشِمُ مِثالاً؛
رَسَمَ رَسَّامٌ نَوعَينِ مِنَ الرُّسوم، رسوماً صافِيَةً وَرَسْماً بلا صفاء؛
رَسَمَ يوسُفَ وحُورَ الطِّينَةِ الجَميلَة، وَرَسَمَ صُوَرَ عفاريتَ وأباليسَ قبيحَة؛
كلا النَّوعَيْنِ رَسَمَتْ أُستاذِيَّتُه، ليسَ قُبْحاً مِنْهُ تِلْكَ وهَّابيَّتُه؛
جَعَلَ القَبيحَ في غايَةِ القَباحَة، مَنسوجَةً حَولَهُ جُمْلَةُ القباحاتِ؛
لِيصيرَ كمالُ عِلْمِهِ بِهِ ظاهِراً، ويصيرَ مُنْكِرُ أُستاذِيَّتِهِ مَفْضوحاً؛
لو لَمْ يَعْلَمْ إيجادَ القبيحِ كانَ ناقِصاً، لِهذا السَّبَبِ هُوَ خَلَّاقُ مُخْلِصٍ ومجوسيّ؛
فَمِنْ هذا الوَجْهِ الكُفْرُ والإيمانُ شاهِدان، على أُلُوهِيَّتِهِ وكلاهُما ساجِدان؛
لكِنِ المؤمِنُ اعْلَمْ طَوعاً ساجِد، ذلِكَ لأَنَّهُ طالِبُ الرِّضا وقاصِد؛
المجوسيُّ يَعْبُدُ الله كَرْهاً أيضاً، لَكِنَّ قَصْدَهُ مُرادٌ آخَر؛
إنَّهُ يقومُ لِقَلْعَةِ المَلِكِ بالتَّعمير، لكِنَّهُ يَفْعَلُ ذاكَ بِدَعْوى أَنَّهُ الأمير؛
قامَ بالتَّمَرُّدِ لِيصيرَ لَهُ المُلْكُ، والعاقِبَةُ أنْ تَصيرَ القَلْعَةُ للمَلِك؛
المؤمِنُ يَعْمَلُ القَلْعَةَ مَعْمورَةً، مِنْ أَجْلِ المَلِكِ لا مِنْ أَجْلِ الجاه؛

القَبيحُ قالَ أيْ مَلِكُ خالِقُ القبيح، أنتَ قادِرٌ على الجَميلِ والقَبيحِ المَهين؛
قالَ الجَميلُ أي مَلِكَ الحُسْنِ والبَهاء، لَقَدْ جَعَلْتَني طاهِراً مِنَ العُيوب؛

وَصِيَّةُ النَّبِيّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ

لِذلِكَ المريض وتَعليمُهُ الدُّعاء

قالَ النَّبِيُّ لِذلِكَ المريض، قُلْ هذا أنْ سَهِّلِ العَسير؛
آتِنا في دارِ دُنيانا الحَسَن آتِنا في دارِ عُقبانا الحَسَن
اِجْعَلِ الدَّرْبَ كالبُستانِ لنا لطيفاً، كُنْ في مَنْزِلَنا أيْ شَريفاً؛
المؤمِنونَ في الحَشْرِ يقولونَ أيْ مَلَك، ألَيْسَ إلى جَهَنَّمَ طَريقٌ مُشْتَرَك؛
المؤمِنُ والكافِرُ فيهِ يجِبُ أنْ يَمُرَّا، نَحْنُ لا نرى بِهذا الطَّريقِ الدُّخانَ والنَّار؛
هِيَ جَنَّةٌ جَميلَةٌ وَقَصْرُ أمْنٍ، أينَ كان ذلِكَ المَعْبَرُ الدَّنيُّ إذَنْ؛
فقالَ المَلَكُ أنْ تِلْكَ رَوْضَةُ الخُضَر، الَّتي رأيْتُمْ في المكانِ الفُلاني في المَمَرّ؛
كانَ ذاكَ مكانَ النَّارِ والعِقابِ العَسير، ولكُم كانَ رَوْضَةً وبُستاناً وأشجارا؛
بِجِهادِكُم هذِهِ النَّفْسَ الجَهَنَّمِيَّةَ الطَّبْعِ، هذِهِ النَّارَ المجوسِيَّةَ طالِبَةَ الفِتْنَة؛
صارَتِ النَّارُ مَملوءَةً بالصَّفاء، أطفَأتُمُ النَّارَ لأجْلِ الله؛
نارُ الشَّهْوَةِ الَّتي كانَتْ مَتَّقِدَةَ الشُّعْلَةِ، صارَتْ خُضْرَةَ تَقوىً ونورَ هُدىً؛
نارُ الغَضَبِ مِنْكُمْ أيضاً صارَتْ حِلْماً، ظُلْمَةُ الجَهْلِ مِنْكُمْ أيضاً صارَتْ عِلْماً؛
نارُ الحِرْصِ مِنْكُمْ صارَتْ إيثاراً، وذلِكَ الحَسَدُ كالشَّوكِ مِنْكُمْ صارَ بُستاناً؛
لَمَّا أطْفَأتُمْ جُمْلَةَ نيرانِ أنْفُسِكُم، مِنْ أجْلِ الحَقّ جُمْلَةً تَقَدَّمْتُم؛
صَيَّرْتُم النَّفْسَ النَّارِيَّةَ كالرَّوضِ، بَذَرْتُمْ فيها بِذْرَةَ الوفاء؛
فيها بلابِلُ الذِّكْرِ والتَّسبيحِ، عَذْبَةِ الغِناءِ في الرَّوضِ طَرَفَ الجَدوَل؛
قُمْتُمْ بالإجابَةِ لِداعي الحَقّ، جِئتُمْ بالماءِ لِجَحيمِ النَّفْس؛

نارُنا أيضاً في حَقِّكُم صارَتْ، خُضْرَةً ورَوضَةَ وَرْدٍ وورَقاً ونَغَماً؛
مُكافأةُ إحسانٍ أيْ وَلَدُ تُعْتَبَر، لُطْفٌ وإحسانٌ وثَوابٌ مُعْتَبَر؛
أَلَمْ تكونوا قُلْتُمْ صِرنا قرابين، أمامَ أوصافِ البقاءِ فانين؛
نَحْنُ سكارى ذلِكَ السَّاقي وتِلْكَ الكأس، أكُنَّا عاطِلينَ أم كُنَّا مجانين؛
لِخَطِّهِ وأمْرِهِ نَضَعُ الرَّأس، نُعطي رَهْناً الرُّوحَ الجَميلَةَ؛
شُغْلُنا العُبودِيَّةُ وبَذْلُ أرواحِنا، إلى أنْ يصيرَ خَيالُ الحبيبِ في أسرارِنا؛
شَمْعَ البلاءِ حَيثُما أشعَلوا، مِئةَ ألْفِ روحِ عاشِقٍ أحْرَقوا؛
هُمُ العُشَّاقُ مِنْ داخِلِ الدَّارِ، هُمْ فَراشُ شَمْعِ وَجْهِ المَعشوق؛
أي قَلْبُ فاذْهَبْ هُناكَ يكونوا لَكَ ضِياءً، يكونوا كجَوْشَنٍ مِنَ البلايا لَكَ وِقاءً؛
يَجْعَلونَ لَكَ وَسَطَ روحِهِم مكاناً، حَتَّى يملؤوكَ بالخَمْرِ كالجام؛
في وَسَطِ روحِهِمْ اتَّخِذْ مَنْزِلاً، اِجْعَلِ المَنْزِلَ في الفَلَكِ أيُّها البَدْرُ المُنير؛
يفتَحوا لَكَ دَفْتَرَ القَلْبِ مِثْلَ عُطارِد، لِيَجْعَلوا لَكَ الأسرارَ ظاهِرَةً؛
عِنْدَ أهْلِيكَ كُنْ فأنتَ شَريد، رُحْ للقَمَرِ الكامِلِ إنْ كُنْتَ قِطْعَةً مِنَ القَمَر؛
ما احتِرازُ الجُزءِ مِنْ كُلِّ نَفْسِه، ما كُلُّ هذا الاِختِلاطِ مَعَ مُخالِفِه؛
أبْصِرِ الجِنْسَ صارَ نَوعاً في السَّيْر، أبْصِرِ الغُيوبَ صارَتْ عَيناً مِنْ ضَيائه؛
إلامَ تَشري الخِداعَ كالمَرْأةِ أيْ بِلا عَقْلٍ، مَنْ وَجَدَ المَدَد مِنَ الكَذِبِ والخِداعِ؛
تَشتري حُلْوَ اللَّفْظِ والتَّمَلُّقَ والخِداع، وتَضَعُهُ في الجَيْبِ كأنَّهُ الذَّهَب؛
السَّبُّ والصَّفْعُ لَكَ مِنَ المُلوك، أفْضَلُ لَكَ مِنْ ثناءِ الضَّالِّين؛
كُلْ صَفْعَ المُلوكِ لا تأكُلْ شَهْدَ اللِّئام، كي تَصيرَ شَخْصاً مِنْ إقبالِ العِظام؛
الخلْعَةُ مِنهُم والدَّولَةُ والمدد، في حِمى الرُّوحِ صارَ روحاً الجَسَد؛
حيثُما رأيْتَ عارِياً عاجِزاً، اِعْلَمْ أنَّهُ فارٌّ مِنَ الأُستاذ؛
حينَ صارَ هكذا إلى ما يهوى قَلْبُه، ذاكَ الأعمى القَلْبِ كانَ بلا حاصِلٍ مِنْه؛

ولو صارَ كما طَلَبَ الأُستاذُ، زانَ نَفْساً ونَفْساً؛
كُلُّ مَنْ فَرَّ مِنَ الأُستاذِ في الدُّنيا، كانَ يَهْرَبُ مِنَ الدَّولَةِ اعْلَمْ هذا؛
تَعَلَّمَ حِرْفَةً في كَسْبِ البَدَن، ضَرَبَ بِالقَبْضَةِ حِرْفَةَ الدِّين؛
صِرْتَ في الدُّنيا ذا ثيابٍ وَغِنى، ما فِعْلُكَ عِنْدَما تخْرُجُ مِنْ هاهُنا؛
تَعَلَّمْ حِرْفَةً تَكونُ في الآخِرَة، ذاتَ دَخْلٍ مِنْ كَسْبِ المَغْفِرَة؛
هذِهِ الدُّنيا مَدينَةٌ ملؤها أسواقٌ وكَسْب، كي لا تَظُنَّ أنَّ الكَسْبَ ها هُنا فحَسْب؛
الحَقُّ تعالى قالَ أنَّ كَسْبَ الدُّنيا، عِنْدَ ذلِكَ الكَسْبِ لَعِبُ أطفال؛
مِثْلَ ذينِكَ الطِّفْلَينِ لَعِباً يتزَوَّجان، على شَكْلِ المُعاشَرَةِ يَتماسّان؛
والأطْفالُ يبنونَ في اللَّعِبِ الدُّكّان، ولا رِبْحَ في ذاكَ غيرُ تَعْبيرِ اللِّسان؛
عِنْدَما حَلَّ اللَّيْلُ عادَ الطِّفْلُ لِلْبَيْتِ جَوعان، الأطفالُ كُلُّهُم ذَهَبوا وبقِيَ وَحْدَهُ؛
هذِهِ الدُّنيا المَلْعَبُ والمَوتُ اللّيل، عُدْتَ لَهُ خالِيَ الكيسِ مملوءاً بالتَّعَب؛
كَسْبُ الدِّينِ عِشْقٌ وَجَذْبٌ باطِنِيٌّ، اعْرِفْ قابِلِيَّةَ نُورِ الحَقِّ أي حَرون؛
كَسْبَ فانٍ تَطْلُبُ مِنْكَ هذِهِ النَّفْسُ الخَسيسَة، كم كَسبتَ مِنْ خَسيسٍ، دَعْ، كَفى؛
النَّفْسُ الخَسيسَةُ لَو طَلَبَتْ مِنْكَ كَسْباً شَريفاً ، لكانَ المَكْرُ والحِيْلَةُ لِذلِكَ رَديفاً؛

إيقاظ إبليس لِمُعاوِيَة أنْ انْهَضْ هذا وَقْتُ الصَّلاة

جاء في الخَبَرِ أنَّ مُعاوِيَةَ ذاك، كانَ نائماً في القَصْرِ في إحْدى زواياه؛
كانَ بابُ القَصْرِ مِنَ الدَّاخِلِ مُوْصَداً، فقد كانَ مِنْ زياراتِ النَّاسِ مُتْعَباً؛
فَجْأَةً بلا مَوْعِدٍ أيْقَظَهُ رَجُلٌ، وعِنْدَما فَتَحَ العَيْنَ اختَفى الرَّجُل؛
قالَ لَمْ تَكُنْ لِشَخْصٍ طَريقٌ لِلقَصْرِ، مَنِ الَّذي أظْهَرَ هذِهِ الوَقاحَةَ والجُرْأة؛
راحَ في اللَّحْظَةِ يدُورُ ويُفَتِّشُ، لِيَجِدَ أثَرَ ذلِكَ الَّذي صارَ مُخْتَفِياً؛
رأى مُدْبِراً مِنْ وراءِ الباب، كانَ يُخْفي الوَجْهَ بالبابِ والحِجاب؛

قالَ ها أنتَ مَنْ تكونُ ما اسْمُك، قالَ اِسمي الفاشي، إبليسُ الشَّقِيّ؛
قالَ لِمَاذا أيْقَظْتَني قُلْ بِجِدّ ، قُلْ ليَ الصِّدْقَ لا تَقُلْ بِعَكْسٍ وَضِدّ؛

استِهزاء إبليس بِمُعاوية وإخفاء وجهِهِ واحتيالُه وجواب معاوية لَه

قالَ وَقْتُ الصَّلاةِ آخِراً حانَ، يَجِبُ الذَّهابُ مُسرِعاً إلى المَسْجَد؛
قال المُصْطَفى بِمَعْنىً كالدُّرِّ *مَنْظومٍ*، *عَجِّلوا الطَّاعاتِ قَبْلَ الفَوت*؛
قالَ لا لا هذا لَمْ يكُنْ غَرَضَك، أنْ تكونَ لي مُرْشِداً لِلطَّريقِ إلى الخَيْر؛
أنْ يَجيْءَ سارِقٌ خِفْيَةً إلى مَسْكَني، ويقولَ لي أنا كُنْتُ أحْرُسُك؛
مِنْ أينَ لي أنْ أُصَدِّقَ ذلِكَ السَّارِق، متى كانَ السَّارِقُ عالِماً بالثَّوابِ والأجْر؛

جواب إبليس لِمُعاوية

قالَ نَحْنُ أوّلاً كُنَّا ملائكَةً، نَطوي بِأرواحِنا طَريقَ الطَّاعَة؛
كُنَّا مَحْرَماً لِسالِكي الطَّريق، كُنَّا جُلَساءَ لِساكِني العَرْش؛
حِرْفَتُنا الأولى أينَ تَذْهَبُ مِنَ القَلْب، المَحَبَّةُ الأولى متى تَخْرُجُ مِنَ القَلْب؛
لو رأيتَ في السَّفَرِ الرُّومَ أو خَتَن، متى يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِكَ حُبُّ الوَطَن؛
نَحْنُ أيضاً كُنَّا مِنْ سكارى هذِهِ الخَمْر، وكُنَّا مِنَ العاشِقينَ لأعْتابِه؛
على مَحَبَّتِه قَطَعوا سُرَّتَنا، عِشْقَهُ بَذَروا في روحِنا؛
يوماً جَميلاً رأينا مِنَ الدَّهْر، ماءَ الرَّحْمَةِ شَرِبنا في الرَّبيع؛
أليسَتْ يَدُ فَضْلِهِ هِيَ الَّتي غَرَسَتْنا، ألَيْسَ هُوَ الَّذي أخْرَجَنا مِنَ العَدَم؛
أي كَمْ رأينا مِنَ المُلاطَفَةِ مِنْه، طائفينَ في رَوْضَةِ رِضاه؛
كانَ يَضَعُ على رَأسِنا يَدَ الرَّحْمَةِ، كانَ يَفْتَحُ لنا عُيونَ اللُّطْف؛
وَقْتَ طُفولَتي لَمَّا كُنْتُ أطْلُبُ اللَّبَنَ، مَنْ الَّذي كنَ يَهُزُّ سَريري، إنَّهُ هُوَ؛

مِمَّنْ شَرِبْتُ اللَّبَنَ غَيْرَ لَبَنِه، مَنِ الَّذي رَبَّاني غَيْرُ تَدْبيرِه؛
طَبْعٌ جَرى مَعَ اللَّبَنِ في الوجود، مَنْ ذا الَّذي يقدِرُ على سَحْبِهِ مِنَ الخَلْق؛
إذا كانَ قامَ بالعِتاب بَحْرُ الكَرَم، متى صارَتْ مُغْلَقَةً أبوابُ الكَرَم؛
أصْلُ نَقْدِهِ العَطاءُ واللُّطْفُ والمَوهِبَة، القَهْرُ عَلَيْهِ كالغُبارِ مِنَ الغِشّ؛
مِنْ أجْلِ اللُّطْفِ خَلَقَ العالَمَ، شَمْسُهُ قامَتْ بالمُلاطَفَةِ للذَّرَّاتِ؛
الفُرْقَةُ إذا كانَتْ حامِلاً بِقَهْرِه، فذاكَ لِأجْلِ مَعْرِفَةِ قَدْرِ وَصْلِه؛
كي يقومَ فَراقُهُ بِتَأديب الرُّوح، وتَعْرِفَ الرُّوحُ قَدْرَ أيَّامِ الوِصال؛
قالَ النَّبِيُّ أنَّ الحَقَّ قال، قَصْدي مِنَ الخَلْقِ كانَ الإحسان؛
خَلَقْتُ لِيَجِدوا النَّفْعَ مِنِّي، لِتَتَلَوَّثَ أياديهِمْ بِشَهْدي؛
وليسَ مِنْ أجْلِ أنْ أجِدَ النَّفْع، وأقومَ بِنَزْعِ القَباءِ عَنْ عارٍ؛
بِضْعَةَ أيَّامٍ طَرَدَني مِنْ أمامِهِ، وعيني على وَجْهِهِ الجَميلِ ظَلَّتْ؛
قَهْرٌ كذا مِنْ مِثْلِ ذاكَ الوَجْهِ أيْ عَجَب، كُلُّ شَخْصٍ صارَ مَشْغولاً بالسَّبَب؛
أنا للسَّبَبِ لا أنْظُرُ ذاكَ حادِثٌ، والحادِثُ يكونُ باعِثاً لهُ حادِث؛
أنا أقومُ بالنَّظَرِ إلى اللُّطْفِ السَّابِق، وكُلُّ ما هُوَ حادِثٌ أُمَزِّقُه؛
إنْ كُنْتُ مِنْ الحَسَدِ تَرَكْتُ السُّجود، فذاكَ الحَسَدُ ثارَ مِنَ عِشْقٍ لا مِنْ جُحود؛
كُلُّ حَسَدٍ مِنْ مَحَبَّةٍ نَهَضَ يقيناً، عِنْدَما صارَ الغَيْرُ للحَبيبِ جَليساً؛
مُعاناةُ الغَيْرَةِ شَرْطُ الْمَحَبَّةِ، كما قَولُ طالَ عُمْرُكَ شَرْطُ الْعَطْسَة؛
حَيْثُ لَمْ يَكُنْ على نَطْعِهِ غَيْرُ هذِهِ اللُّعْبَة، قالَ العَبْ ما أعْرِفُ أكثَر؛
لُعْبَةً واحِدَةً سَيِّئَةً لَعِبْتُ، ألقَيْتُ نَفْسي مِنها في البلاء؛
كما في البلاءِ أطْعَمُ اللَّذَّاتِ مِنْه، أنا حائِرٌ مِنْهُ حائِرٌ مِنْه؛
كَيفَ يُحَرِّرُ النَّفْسَ أي رَئيس، أيُّ شَخْصٍ مِنْ سِتِّ جِهاتٍ مِنْ سِتَّةِ أبواب؛
جُزْءُ السِّتَّةِ مِنْ كُلِّ السِّتَّة كيفَ يتحَرَّرُ، وقد جَعَلَهُ أعوَجَ مَنْ هُوَ بلا كَيْف؛

كُلُّ مَنْ في السِّتَّةِ كائنٌ في داخِلِ النَّار، وهُوَ حَرَّرَهُ إذْ هُوَ خَلَّاقُ السِّتَّة؛
هُوَ سواءٌ أكانَ كُفْراً أمْ كانَ إيماناً ، فَهُوَ نَسْجُ الحَضْرَةِ وهُوَ مُلْكٌ لَها؛

تَبيينُ مُعاوِيَةَ لإبليسَ مَكْرَهُ مِنْ جَديد

قالَ لَهُ الأميرُ هذا كُلُّهُ حَقّ، لكِنَّ نَصيبَكَ مِنْ هذا كُلِّهِ النُّقْصان؛
قَطَعْتَ الطَّريقَ على مئاتِ الآلافِ مِثْلي، حَفَرْتَ حُفْرَةً وَوَصَلْتَ إلى الخَزينَة؛
لا حِيْلَةَ لي لِئَلَّا تُحْرِقَني النَّارُ مِنْكَ، مَنْ ذا الَّذي لَمْ تَتَمَزَّقْ ثيابُهُ على يَدِك؛
أيَّتُها النَّارُ ما دامَ طَبْعُكِ الإحْراق، لِئَلَّا تُحْرِقي الشَّيءَ لا حِيلَةَ لَكِ؛
اللَّعْنَةُ كانَتْ بِأَنْ جَعَلَكَ مُحْرِقاً، جَعَلَكَ أُستاذَ جُمْلَةِ السَّارِقين؛
كانَتْ لَكَ المُحادَثَةُ مُواجَهَةً مَعَ الله، ما أكونُ أنا أمامَ مَكْرِكَ أي عدُوّ؛
المَعارِفُ مِنْكَ كأنّها صَوتُ صَفير، صَوتُ طائرٍ لكِنَّهُ صائدُ طُيور؛
ذاكَ قَطَعَ طَريقَ مِئَةِ ألْفِ طائرٍ، مِنْ غِرَّةِ الطَّائرِ أنَّ صَديقاً أتاه؛
عِنْدَما سَمِعَ وَهُو في الهَواءِ صَفيراً، نَزَلَ مِنَ الهَواءِ فصارَ هاهُنا أسيراً؛
قَومُ نُوحٍ مِنْ مَكْرِكَ في نواح، قَلْبُهُم كَبابٌ وصَدْرُهُم شرائح؛
أنْتَ سَبَّبْتَ لِعادٍ الرِّيْحَ في الدُّنيا، ألْقَيْتَهُمْ في العَذابِ والأحْزان؛
ذلِكَ الرَّجْمُ لِقَومِ لوطٍ كانَ مِنْكَ، مِنْكَ غاصوا في المياهِ السَّوداء؛
دِماغُ نَمْرودَ مِنْكَ قَدْ أُريق، أيْ مَنْ أثَرْتَ آلافَ الفِتَن؛
عَقْلُ فِرْعَونَ الذَّكِيّ الفَيْلَسوف صارَ أعْمى لَمْ يَجِدْ مِنْكَ الوقوف
أبو لَهَبٍ مِنْكَ أيضاً صارَ غَيْرَ أهْل، أبو الحَكَمِ مِنْكَ أيضاً صارَ أبا جَهْل؛
أي على هذا الشَّطْرَنْجِ مِنْ أجْلِ التِّذكار، قَدْ قَتَلْتَ مِئَةَ ألْفِ أُستاذ؛
مِنْ عُقَدِ مُشكِلاتٍ مِنَ الوَزير، احتَرَقَتْ قُلوبٌ وصارَ قَلْبُكَ أسوداً؛
عِنْدَ بَحْرِ مَكْرِكَ الخلائقُ قَطْرَةٌ، أنْتَ مِثْلَ جَبَلٍ وسُلَيمانُ هذا ذَرَّةٌ؛

مَنْ نَجا مِنْ مَكْرِكَ أيْ مُخْتَصِمْ   أغْرَقَ الطُّوفانُ إلّا مَنْ عُصِمْ

مِنْكَ كَمْ مِنْ نَجْمِ سَعْدٍ مُحْتَرِقْ   مِنْكَ كَمْ مِنْ جَمْعِ جَيْشٍ مُفْتَرِقْ

جواب إبليس لِمُعاوِية

قالَ لَهُ إبليسُ حُلَّ هذا العَقْد، أنا مُحَكَّمٌ بالزَّيْفِ وبالنَّقْد؛
جَعَلَني امتِحاناً لِلأسَدِ والكَلْبِ الحَقُّ، جَعَلَني امتِحاناً لِلنَّقْدِ وللزَّيْفِ الحَقُّ؛
لَسْتُ أنا مَنْ خَلَقَ الزَّيفَ أسْوَد الوَجْه، أنا صَيرَفِيٌّ أُعْطِيْهِ قِيْمَتَهُ؛
الخَيِّرونَ أنا أُظْهِرُ لَهُمْ الطَّريق، كما أنَّني أنتَزِعُ الأغْصانَ اليابِسَة؛
وهذِهِ الأعلافُ أعْرِضُها لِأجْلِ ماذا، كَيْ يتبيَّنَ جِنْسُ الحَيوانِ ما هُوَ؛
إذا أولَدَ الذِّئبُ مِنَ الغَزالِ وَلَداً، يكونُ في ذِئبِيَّتِهِ وغزالِيَّتِهِ شَكٌّ؛
فَضَعْ أمامَهُ العُشْبَ والعَظْمَ، لِترى إلى أيَّةِ جِهَةٍ يُسْرِعُ بِأقْدامِه؛
إذا جاءَ جِهَةَ العَظْمِ فَهُوَ كَلْبٌ، وإنْ طَلَبَ العُشْبَ فهُوَ بالعِرْقِ يقيناً غَزالٌ؛
القَهْرُ واللُّطْفُ تزاوجا الواحِدُ بالآخَر، وُلِدَ مِنْ الاِثْنَيْنِ عالَمُ الخَيْرِ والشَّرّ؛
أنْتَ فَلْتَقُمْ بِعَرْضِ العُشْبِ والعَظْم، قُمْ بِعَرْضِ قُوْتِ النَّفْسِ وَقُوْتِ الرُّوح؛
فإذا طَلَبَ غِذاءَ النَّفْسِ فَهُوَ أبْتَر، وإذا طَلَبَ غِذاءَ الرُّوحِ فَهُوَ مُقَدَّر؛
إذا طَلَبَ خِدْمَةَ البَدَنِ كانَ حِماراً، وإذا ذَهَبَ في بَحْرِ الرُّوحِ وَجَدَ جَوهَراً؛
رَغْمَ أنَّ هذينِ الاِثْنَيْنِ مُخْتَلِفانِ خَيْراً وَشَرّاً، هُما كِلاهُما مَعاً في عَمَلٍ واحِدٍ؛
الأنبياءُ يَعْرِضونَ الطّاعات، الأعْداءُ يَعْرِضونَ الشَّهَوات؛
أنا لَسْتُ رَبّاً فكَيْفَ أجْعَلُ الحَسَنَ سَيِّئاً، أنا داعٍ لَهُمْ أنا لَسْتُ خالِقَهُم؛
أأنا جَعَلْتُ الحَسَنَ قبيحاً ولَسْتُ رَبّاً، أنا مِرآةٌ لِلْحَسَنِ وللقَبيح؛
أحْرَقَ المِرآةَ مِنْ ألَمِ الهِنْدِيُّ، أنْ هذِهِ تُظْهِرُ الرَّجُلَ أسْوَدَ الوَجْه؛
هُوَ مَنْ جَعَلَني أُفشي الأسرارَ بِصِدْقٍ، لِأقولَ مَنِ القبيحُ ومَنِ الجَميل؛

أنا شاهِدٌ متى كانَ السِّجْنُ للشَّاهِد، لَسْتُ أهْلاً للسِّجْنِ، اللهُ شاهِد؛
حَيثُما رأَيْتُ غُصْناً حامِلاً للثِّمار، أقومُ بِتَرْبِيَتِهِ، أنا حاضِنَة؛
وحيثُما رأيْتُ شَجَرَةً مُرَّةً يابِسَةً، أقْطَعُها أُخَلِّصُ العِطْرَ مِنَ البَعْر؛
الغُصْنُ اليابِسُ قالَ للبُستانيِّ أيْ فَتى، علامَ تقومُ بِقَطْعِ الرَّأسِ مِنِّي بلا خَطا؛
قالَ البُستانِيُّ أُصْمُتْ أيْ قَبيحَ الطَّبْع، أَلَيْسَ كافِياً يَبْسُكَ جُرْماً لَك؛
قالَ اليابِسُ لَسْتُ أعْوَجاً أنا مُستَقيمٌ، لِماذا أنتَ بِلا جُرْمٍ تَقْطَعُ قَدَمي؛
قالَ البُستانِيُّ لَوْ كُنْتَ مَسْعوداً، ما كُنْتَ مُعْوَجّاً بَلْ كُنْتَ نَضيراً؛
كُنْتَ جاذِباً لِماءِ الحَياة، كُنْتَ غارِقاً بماءِ الحَياة؛
بِذْرَتُكَ كانَتْ رَديئَةً وَأَصْلُك، بالشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ لَمْ يَكُنْ وَصْلُك؛
الغُصْنُ المُرُّ لو قامَ بالاِتِّصالِ بالحُلو ، لَنَقَلَ لَهُ ذاكَ الحَلاوَةَ إلَيْه؛

تَعْنيف مُعاوِيَة لإبليس

قالَ الأميرُ لا تَحْتَجّ أي قاطِعَ الطَّريقِ، لا طريقَ لَكَ إلَيَّ لا تَبْحَثْ عَنْ طَريق؛
أنا تاجِرٌ وغَريبٌ وأنْتَ قاطِعُ طَريقٍ، مَتى أشْتري مِنْكَ كُلَّ لِباسٍ تَحْمِلُ مَعَكَ؛
لا تَحُمْ حَوْلَ متاعي مِنَ الكُفْر، لَسْتَ لِمتاعِ هذا الشَّخْصِ بالمُشتَري؛
قاطِعُ الطَّريقِ لا يكونُ المُشْتَري لِشَخْصٍ، وإذا أظْهَرَ أنَّهُ مُشْتَرٍ فَمَكْرٌ وَفَنٌّ؛
ما الَّذي يَملكُ في الجُعْبَةِ هذا الحَسود، أي إلٰهَنا أغِثْنا مِنْ هذا العَدُوّ؛
إذا قامَ بالنَّفْثِ عَلَيَّ فَصْلاً آخَرَ ، فَسَوفَ يَخْتَطِفُ هذا السَّارِقُ مِنّي اللُّبَّاد؛

شَكوى مُعاوِيَة في حَضْرَةِ الحَقّ تعالى مِنْ إبليس وطَلَبُهُ النُّصْرَة

حَديثُهُ هذا مِثْلَ الدُّخانِ أي الله، خُذْ بِيَدي أو يصيرَ أسْوَدَ بِساطي؛
أنا بالحُجَّةِ لَنْ أنْتَصِرَ على إبليس، فَهُوَ فِتْنَةُ كُلِّ شَريفٍ وَكُلِّ خَسيس؛

آدَمُ الَّذي هُوَ سَيِّدُ *عَلَّمَ الأسماءَ*، في حِراكِ هذا الكَلْبِ كالبَرْقِ، بلا حِراك؛
مِنَ الجَنَّةِ رماهُ على وَجْهِ التُّراب، كالسَّمَكِ صارَ في شَصِّهِ مِنَ السَّماك؛
ينوحُ نياحَ *إنَّا ظَلَمْنا*، قِصَصُهُ وخُرافاتُهُ بلا حَدّ؛
وَسَطَ كُلِّ حديثٍ مِنْهُ شَرٌّ، مِئَةُ أَلْفِ سِحْرٍ فيهِ مُضْمَرَة؛
يأخُذُ مِنْ رَجُلِ الرِّجالِ بالنَّفَس، يُشْعِلُ في المَرْأةِ وفي الرَّجُلِ الهَوَس؛
أي إبليسُ طالِبُ الفِتْنَة حارِقُ الخَلْقِ ، مِنْ أجْلِ ماذا أيْقَظْتَني قُلِ الصِّدْق؛

تَبيين إبليس تَلبيسَ نَفْسِهِ ثانِيَةً

قالَ كُلُّ رَجُلٍ يكونُ سَيِّئَ الظَّنّ، لا يَسْمَعُ الصِّدْقَ ولَوْ بِمائَةِ علامَة؛
كُلُّ باطِنٍ مُفَكِّرٍ بالخَيال، عِنْدَما تَأتيهِ بالدَّليلِ خَيالُهُ يزداد؛
الكلامُ حينَ يمضي بِهِ يصيرُ عِلَّةً، سَيفُ الغازي يصيرُ للسَّارِقِ آلَةً؛
فَجَوابُهُ السُّكوتُ والسُّكون، الكَلامُ مَعَ الأبْلَهِ جُنون؛
أنتَ مِنِّي ما تَشْتكي إلى الحَقِّ أيْ سَليم، اِشتَكِ مِنْ شَرِّ تِلْكَ النَّفْسِ اللَّئيمَة؛
أنتَ أكَلْتَ الحَلوى فَصارَتْ دُمَّلاً، أخَذَتْ بِكَ الحُمَّى وَصارَ طَبْعُكَ مُخْتَلّاً؛
لَعَنْتَ إبليس بِلا ذَنْبٍ، لأنَّكَ لَمْ تَرَ مِنَ النَّفْسِ ذلِكَ التَّلبيس؛
لَيْسَ مِنْ إبليس بَلْ مِنْكَ أيْ غَوي، أنتَ تَجْري كالثَّعْلَبِ إلى الإلْيَة؛
عِنْدَما تَرى إلْيَةً في مَزْرَعَةٍ، تَكونُ فَخّاً، لا تَعْلَمُ هذا لِماذا؛
مِنْ ذلِكَ لا تَعْرِفُ مَنْ أبْعَدَكَ عَنِ العِلْم، جَعَلَ ميلَ عَيْنِكَ لِلإلْيَةِ وَعَقْلَكَ أعْمى؛
حُبُّكَ الأشياءَ يُعْميكَ يُصِمّ نَفْسُكَ السَّودا جَنَتْ لا تخْتَصِمْ
لا تَضَعْ عَلَيَّ الذَّنْبَ لا تَرَ عِوَجَاً، أنا في ضَيْقٍ مِنَ السُّوءِ والحِرْصِ والحِقْد؛
أنا عَمِلْتُ سوءاً وَلَمْ أزَلْ نادِماً إلى الآنَ، أنا مُنتَظِرٌ لِيَتَحَوَّلَ لَيلي إلى نَهار؛
أنا صِرْتُ مُتَّهَماً بَيْنَ الخَلْقِ وكُلٌّ، يُلقي عَلَيَّ فِعْلَ نَفْسِهِ مِنْ رَجُلٍ وامْرَأَة؛

الذِّئبُ المِسكينُ رَغْمَ أنَّهُ جائعٌ، يكونُ مُتَّهماً وهُوَ يقومُ بالطَّنْطَنَة؛
هُوَ لا يقوى على السَّيْرِ في الدَّرْبِ مِنْ ضَعْفٍ،والخَلْقُ قالوا مُتْخَمٌ مِنَ الدَّسَم؛

إلحاحُ مُعاوِيَة على إبليس ثانِيَةً

قالَ غَيرُ الصِّدْقِ ليس يُنجيك، العَدْلُ للصِّدْقِ يَدعوك؛
قُلِ الصِّدْقَ لِتَنْجُوَ مِنْ قَبْضَتي، المَكْرُ لا يُجْلِسُ غُبارَ حَرْبي؛
قالَ كَيْفَ تَعْرِفُ الصِّدْقَ مِنَ الكَذِب، أي ذا فِكْرِ الخَيالِ المَملوءِ بالظُّنون؛
قالَ النَّبِيُّ مُعْطِياً الإشارَةَ، اِعْرِضِ الزَّيْفَ والحَسَنَ على المَحَكّ؛
قيلَ إنَّ *الكَذِبَ رَيْبٌ في القُلوب*، قالَ *الصِّدقُ طُمَأنينَةٌ طَروب*؛
القَلْبُ لا يَهْدَأُ مِنْ قَوْلِ الكَذِب، مِنَ الماءِ والزَّيْتِ ما اشْتَعَلَ أبَدَاً ضِياء؛
في الحَديثِ الصِّدْقُ طُمَأنينَةُ القَلْب، الصَّادِقونَ حَبَّةُ شِباكِ القَلْب؛
القَلْبُ المَريضُ سَيِّئَ الفَمّ، لا يِعْرِفُ طَعْمَ هذا وطَعْمَ ذاك،
قَلْبٌ مِنَ الأَلَمِ والعِلَّةِ سَليمٌ، بِطَعْمِ الكَذِبِ والصِّدْقِ عَليمٌ؛
حِرْصُ الآدَمي لِلقَمْح حينَ زادَ، سَلَبَ مِنْ قَلْبِ الآدَمِيِّ السَّلامَة؛
فأعْطى الأُذُنَ لِلكَذِبِ والخِداع، صارَ مَغْروراً وَشَرِبَ السُّمَّ القاتِل؛
ما دَرى آنَذاكَ العَقْرَبَ مِنَ القَمْحِ، طارَ مِنْهُ مِنْ سُكْرِ الهَوَس التَّمييز؛
الخَلْقُ سُكارى الآمالِ والهَوى، مِنْ ذلِكَ هُمْ يَقْبَلونَ خُرافَتَكَ؛
كُلُّ مَنِ استَرْجَعَ النَّفْسَ مِنْ هَوى النَّفْسِ، جَعَلَ العَيْنَ مِنْهُ عارِفَةً بالسِّرّ؛

شِكايَةُ قاضٍ مِنْ آفَةِ القَضاءِ وجوابُ نائبِه

نَصَبوا قاضِياً فَراحَ يبكي، النَّائبُ قالَ قاضِيا مِمَّ بُكاك؛
لَيْسَ هذا وَقْتَ البُكاءِ والصُّراخ، هذا لَكَ وَقْتُ السُّرورِ والبَرَكَة؛

قالَ آهِ كَيْفَ يُصْدِرُ الحُكْمَ والِهٌ   بَيْنَ ذَيْنِكَ العالِمَيْن جاهِلٌ؛
الخَصْمانِ على واقِعَتْهِما واقِفَان، ما عِلْمُ القاضي المِسكينِ بما يُضْمِران؛
هُوَ جاهِلٌ وغافِلٌ عَنْ حالِهِما، كَيْفَ يَخوضُ في دَمِهِما ومالِهِما؛
قالَ الخَصْمانِ عالِمانِ مَعَ عِلَّةٍ، أنْتَ جاهِلٌ لكِنَّكَ شَمْعُ مِلَّةٍ؛
بِما أنَّكَ بَيْنَهُما بِلا عِلَّةٍ، فَراغُكَ مِنَ العِلَّةِ ذاكَ نُورُ الأبصار؛
ذانِكَ العالِمانِ أعْماهُما غَرَضُهُما، العِلَّةُ جَعَلَتْ في القَبْر عِلْمَهُما؛
انعِدامُ العِلَّةِ جَعَلَ الجاهِلَ عالِماً، العِلَّةُ جَعَلَتِ العالِمَ أعْوَجاً وظالِماً؛
ما دُمْتَ لا تَأْخُذُ الرَّشْوَةَ أنْتَ مُبْصِرٌ، إذا طَمِعْتَ أنْتَ ضَريرٌ وَعَبْد؛
أنا مِنَ الهَوى خَلَّصْتُ الطَّبْع، أقْلَلْتُ الطَّعامَ مِنْ لُقَمِ الشَّهْوَة؛
ذائِقَةُ قَلبي صارَتْ ذاتَ ضِياءٍ ، تَعْرِفُ الصِّدْقَ يقيناً مِنَ الكَذِب؛

حَمْل مُعاوِيَة إبليس على الإقرار

أنتَ قُلْ علامَ قُمْتَ بِإيقاظي، وأنتَ لِلْيَقَظَةِ عدُوٌّ أيْ دَغِل؛
أنتَ كالخَشْخاشِ تَجْلُبُ النَّومَ لِلْجَميع، أنتَ كالخَمْرِ تَذْهَبُ بالعَقْلِ والعِلْم؛
لَقَدْ سَمَّرْتُكَ هَيَّا قُلِ الصِّدْق، أنا أعْرِفُ الصِّدْقَ لا تَبْحَثْ عَنِ الحِيَل؛
أنا أطْمَعُ مِنْ كُلِّ شَخْصٍ بِأنْ يكونَ، صاحِبَ ذاكَ الَّذي في طَبْعِهِ وعادَتِه؛
أنا مِنَ الخَلِّ لا أبْحَثُ عَنِ السُّكَّر، أنا مِنَ المُخَنَّثِ لا أطْلُبُ العَسْكَر؛
أنا كالمَجوسِيِّ لا أطْلُبُ مِنَ الصَّنَم، أنْ يكونَ الحَقَّ أو آيَةً عِنِ الحَقّ؛
أنا لا أطْلُبُ عَبيرَ المِسْكِ مِنَ الزِّبْل،ولا أطْلُبُ الآجُرَّ الجافَّ في ماءِ الجَدْوَل؛
لا أطْلُبُ هذا مِنَ الشَّيطانِ فَهُوَ غَيْر، كيفَ يكونُ قامَ بِإيقاظي لِأجْلِ خَيْر؛

قَوْلُ إبليس ما في ضَميرِهِ لِمُعاوِيةَ بِصِدْق

قالَ إبليسُ كَثيراً مِنَ المَكْرِ والغَدْر، الأميرُ لَمْ يُصْغِ إلَيْهِ عَنْ عِنادٍ وصَبْر؛
قالَ لَهُ مُتَهَكِّماً مِنْ أجْلِ ذاك، قُمْتُ بِإيقاظِكَ فاعْلَمْ أيْ فُلان؛
لِتَصِلَ إلى الجَماعَةِ في الصَّلاة، في إثْرِ النَّبِيِّ تُعْلي الدَّولَة؛
إذا فاتَتْكَ الصَّلاةُ مِنَ الوَقْت، تَصيرُ دُنياكَ مُظْلِمَةً بِلا ضياء؛
فتَجري الدُّموع مِنَ الغَبْنِ والأَلَمِ، مِنْ كِلْتا عَينَيْكَ كأنَّها المِسْك؛
كُلُّ شَخْصٍ يَجِدُ الذَّوقَ في الطَّاعَة، لا جَرَمَ لنْ يَصْبِرَ عَنْها ساعَة؛
الغُبْنُ والأَلَمُ يَعْدِلانِ مِئةَ صلاة ، أينَ الصَّلاةُ مِنْ ضياءِ تِلْكَ الفاقَة؛

فَضيلَةُ حَسْرَةِ ذاكَ المُخْلِص على فَوْتِ صلاةِ الجَماعَة

واحَدٌ كانَ ذاهِباً لِيَدْخُلَ في المَسْجِد، فرأى النَّاسَ يَخْرُجون مِنَ المَسْجِد؛
قالَ سائلاً ما جَرى لِلْجَماعَةِ فَهُمْ، يخرُجُونَ مِنَ المَسْجِدِ للخارِجِ سِراعاً؛
قالَ لَهُ واحِدٌ إنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى بالجَماعَةِ وأتَمَّ الصَّلاةَ وَفَرِغَ مِنَ السِّرّ؛
فأينَ أنتَ ذاهِبٌ أيُّها الرَّجُلُ الخام، مادامَ الرَّسولُ صلَّى وأَتَمَّ السَّلام؛
فقالَ آهِ وخَرَج دُخانُ تِلْكَ الآهِ، آهٍ تَحْمِلُ مِنَ القَلْبِ رائحَةَ الدَّمّ؛
قالَ لَهُ واحِدٌ مِنَ الجَمْعِ هذِهِ الآه، أعْطِني وخُذْ تِلْكَ الصَّلاةَ مِنِّي؛
قالَ أعْطَيْتُكَ الآهَ وَقَبِلْتُ الصَّلاة، وأخَذَ مِنْهُ تِلْكَ الآهَ بِمِئةِ افتِقار؛
اللَّيْلَ في المَنامِ قالَ لَهُ هاتِفٌ، إنَّكَ اشْتَرَيْتَ ماءَ الحَياةِ والشِّفاء؛
حُرْمَةً لِهذا الإخْتيارِ وهذا الدُّخول، صلاةُ جُمْلَةِ الخَلْقِ في قَبول؛

تَتِمَّةُ إقرارِ إبليس لِمُعاوِيَة بِمَكْرِه

ثُمَّ قالَ لَهُ عزازيلُ أي أميرَ العَطاء، وَجَبَ أنْ أُفْضِيَ إلَيْكَ بِمَكْرِ نَفْسي؛
لو كانَتِ الصَّلاةُ فاتَتْكَ ذلِكَ الزَّمان، لأطْلَقْتَ الآهَ والحَسْرَةَ مِنْ ألَمِ القَلْب؛
وذاكَ التَّأسُّفُ والتَّحَسُّرُ والاِفْتِقار، يفوقُ مِئتَي ذِكْرٍ ومِئتَي صَلاة؛
وأنا قُمْتُ بِإيقاظِكَ مِنَ الخَوف، أنْ تُحْرِقَ مِثْلُ تِلْكَ الآهِ الحِجاب؛
حتَّى لا تكونَ تِلْكَ الآهُ نَصيبَك، حَتَّى لا تَكونَ تِلْكَ الطَّريقُ مُلْكَك؛
أنا حَسودٌ فَعَلْتُ هذا مِنَ الحَسَد، أنا عَدُوٌّ وَشُغْلي المَكْرُ والحِقْد؛
قالَ الآنَ أنتَ صادِق قُلْتَ بالصِّدْقِ، مِثْلُ هذا يجيءُ مِنْكَ هذا بِكَ يليق؛
أنتَ العَنْكَبوتُ وصَيْدُك ذُبابَةٌ، أيْ كَلْبُ دَعِ العَناء لَسْتُ ذُبابَةً؛
أنا البازُ الأبْيَضُ يصيدُني المَلِك، متى ينْسُجُ حَولي العَنْكَبوتُ النَّسيجَ؛
اِذْهَبْ وَصِدْ ما اسْتَطَعْتَ ذُباباً، قُمْ بِدَعْوَةِ الذُّبابِ إلى لَبَنِكَ المخيض؛
وَلَو كُنْتَ داعِياً إلى العَسَل، فذاكَ كِذْبٌ أيضاً وَمَخيضٌ يَقيناً؛
إيقاظُكَ لي إذْ أيْقَظْتَني كانَ نَوماً، أظْهَرْتَ ذاكَ لي سَفينَةً وكانَ إعصاراً؛
إذَنْ مِنْ ذلِكَ أنتَ تَدعوني إلى الخَيْر ، حتى تُبْعِدَني عَنْ خَيْرٍ أفْضَلَ مِنْه؛

هَرَبُ اللِّص بِصِياحِ ذلِكَ الشَّخْصِ بصاحِبِ المَنْزِل الَّذي كانَ على وَشَكِ اللِّحاقِ باللِّصِ والقَبْضِ عَلَيْه

هذا كانَ كما لَو أنَّ شَخْصاً رأى لِصَّاً، فراحَ يَجْري في إثْرِهِ لِيَقْبِضَ عَلَيْه؛
جَرى في أَثَرِه مَيْدانَيْنِ أو ثلاثَةً، حَتَّى أخَذَ بِهِ التَّعَبُ مَأخَذَه؛
في تِلْكَ الحَمْلَةِ وقَدْ صارَ قَريباً مِنْهُ، وأوشَكَ أنْ يَقْفِزَ عَلَيْهِ ويُمْسِكَ بِه؛
لِصٌّ آخَرُ صاحَ بِهِ أنْ تَعالَ، كي ترى هذِهِ العلاماتِ للبلاء؛

عُدْ سَريعاً أيُّها الرَّجُلُ صاحِبُ العَمَل، كَي ترى فالحالُ ها هُنا مُزْرٍ مُزْرٍ؛
قالَ رُبَّما كانَ مِنْ هذا الطَّرَفِ لِصٌّ، فإنْ لَمْ أعُدْ سَريعاً جَرى عَلَيَّ هذا؛
تَصِلُ يَدُهُ إلى زَوجي وَولَدي، القَبْضُ على هذا السَّارِقِ ما يُفيدُني؛
هذا المُسْلِمُ يَدعوني مِنَ الكَرَم، إنْ لَمْ أعُدْ سَريعاً يَحِلَّ بي النَّدَم؛
على أمَلِ شَفَقَةِ ذاكَ الدَّاعي إلى الخَيْر، تَرَكَ اللِّصَّ وعادَ في الطَّريق؛
قالَ أيُّها الصَّديقُ الطَّيِّبُ ما الأحوال، مِمَّنْ تَشْتَكي وتقومُ بالصُّراخ؛
قالَ هاكَ فانْظُرْ إلى آثارِ أقْدامِ اللِّصّ، مِنْ هذا الطَّرَفِ ذَهَبَ اللِّصُّ فاطْلُبْه؛
علامَةٌ حَسَنَةٌ لِقَدَمِ اللِّصِ سَيّئِ الفِعْل، اِذْهَبْ خَلْفَهُ على هذِهِ العلامَةِ والرَّسْم؛
قالَ أيُّها الأبْلَهُ ما ذا الَّذي تَقولُ لي، أنا كُنْتُ كِدْتُ أُمْسِكُ بِهِ أخيراً؛
مِنْ صُراخِكَ بي أفْلَتُّ هذا اللِّصَّ، أنا ظَنَنْتُكَ أنْتَ الحِمارَ آدَمِيَّاً؛
أيُّ لَغْوٍ هذا وأيُّ عَبَثٍ أي فُلان، أنا وَجَدْتُ الحَقيقَةَ فما يكونُ الأثَر؛
قالَ أنا بالحَقّ أعْطَيْتُكَ إشارَةً، أنا على عِلْمٍ بالحَقيقَةِ وهذِهِ إشارَةٌ؛
قالَ إمَّا أنتَ طَرَّارٌ أو أنتَ أبْلَهٌ، بَلْ أنتَ لِصٌّ وعلى عِلْمٍ بِهذِهِ الحال؛
أنا كِدْتُ أُمسِكُ بِخَصْمِ نَفسي وأجْذُبُه، وأنتَ حَرَّرْتَهُ أنْ هذِهِ لَكَ علامَة؛
أنتَ تَقولُ بالجِهَةِ وأنا خارِجَ الجِهات، العاقِلُ في وِصالِ آياتٍ أو بيّنات؛
الرَّجُلُ المَحجوبُ رأى الصُّنْعَ في الصِّفات، ذاكَ في الصِّفاتِ لأنَّهُ فَقَدَ الذَّات؛
أي وَلَدُ الواصِلونَ بِما أنَّهُمْ غَرْقى ذاتِهِ، متى يقومونَ بالنَّظَرِ إلى صِفاتِهِ؛
إذا كانَ رَأسُكَ في البَحْثِ في قَعْرِ النَّهْر، متى يَقَعُ نَظَرُك على لَوْنِ الماءِ؛
وإذا رَجَعْتَ إلى لَونِ الماءِ مِنَ القَعْر، أخَذْتَ غِطاءً للرَّأْسِ وغَطَّيْتَ الشَّعْر؛
طاعَةُ العامَّةِ ذَنْبُ الخاصَّة، وُصْلَةُ العامَّةِ حِجابُ الخاصَّةِ؛
لَوْ عَمِلَ الشَّاهُ مِنْ وَزيرٍ مُحْتَسِباً، كانَ الشَّاهُ لَهُ عَدُوَّاً وَلَمْ يَكُنْ مُحِبَّاً؛
إلَّا أنْ يكونَ عَمِلَ ذَنْباً ذاكَ الوَزير، فمِنْ دونِ سَبَبٍ لا يكونُ مَطلوباً التَّغيير؛

وذلِكَ الَّذي كانَ أوَّلاً مُحْتَسِباً، فذاكَ كانَ بَخْتُهُ وحَظُّهُ مِنَ الاِبتِداء؛
لكِنْ ذلِكَ الَّذي كانَ أوَّلاً وَزيرَ الشّاه، بِسَبَبِ فِعْلِ سوءٍ جَعْلُهُ مُحْتَسِباً؛
إذا ما دَعاكَ الشّاهُ إلَيْهِ مِنَ البِلاط، وعادَ فَأبْعَدَكَ إلى جِهَةِ الأعْتاب؛
تَعْلَمُ يقيناً أنَّكَ عَمِلْتَ جُرْماً، وإيرادُكَ الجَبْرَ مِنْ قَبيلِ الجَهْل؛
أنْ هذا كانَ لي قِسْمَةً وَرِزْقاً، إذَنْ لِماذا تِلْكَ الدَّوْلَةُ كانَتْ بِيَدِكَ بالأمْس؛
قِسْمَةَ النَّفْسِ قَطَعْتَ بِالنَّفْسِ مِنَ الجَهْل ، قِسْمَةَ النَّفْسِ يزيدُها الرَّجُلُ الأهْل؛

قِصَّةُ المُنافِقينَ وبِناؤهُم مَسْجِدَ ضِرار

ومِثالٌ آخَرُ في المَسارِ الأعْوَج، فعسى مِنْ نَقْلِهِ أنْ تَسْمَعَ القُرآن؛
مِثْلُ هذا اللَّعِبِ الأعْوَجِ بالزَّوجِ والفَرْد، أهْلُ النِّفاقِ كانوا يَلْعَبونَ مَعَ النَّبِيّ؛
أنْ نَحْنُ مِنْ أجْلِ عِزِّ دينِ أحْمَدَ، نَبني مَسْجِداً وكانَ ذلِكَ رِدَّةً؛
مِثْلَ هذا اللَّعِبِ الأعْوَجِ كانوا يَلْعَبون، مَسْجِداً غَيْرَ مَسْجِدِهِ شَرَعوا يبنون؛
زَيَّنوا مِنْهُ الفَرْشَ وَالسَّقْفَ وَالقُبَّةَ، لكِنَّهُم تَقَصَّدوا تَفْريقَ الجَماعَةِ؛
أقبلوا إلى عِنْدِ النَّبِيِّ باحْتِيال، جَثَوا على الرُّكَبِ أمامَهُ كالجِمال؛
أنْ أيْ رَسولَ الحَقِّ مِنْ أجْلِ الإحسان، إلى جِهَةِ ذلِكَ المَسْجِدِ آلِمِ القَدَم؛
حتَّى تُصَيِّرَهُ مُبارَكاً أقْدامُكَ، دامَتْ إلى القيامَةِ جَديدَةً أيَّامُك؛
مَسْجِدٌ لِيَومِ الوَحْلِ ويومِ المَطَر، مَسْجِدٌ لِيَومِ الضَّرورَةِ وَوَقْتِ الفَقْر؛
لِيَجِدَ الغَريبُ هُنالِكَ الخَيْرَ والمَكان، حَتّى تَصيرَ كَثيرَةً أماكِنُ الْخِدْمَةِ؛
كي يصيرَ شِعارُ الدِّينِ أكثَرَ وأوفَر، ولِيَصيرَ العَمَلُ المُرُّ حُلواً للأصْحاب؛
ساعَةً ذلِكَ المكانَ قُمْ بالتَّشريف، قُمْ بِتَزْكِيَتِنا قُمْ لنا بالتَّعْريف؛
كَرِّمِ المَسْجِدَ وأصحابَ المَسْجِد، أنتَ القَمَرُ وَنَحْنُ اللَّيْلُ عامِلْنا لَحَظَةً؛
كي يصيرَ اللَّيْلُ مِنْ جَمالِكَ مِثْلَ النَّهار، أيْ جَمالُكَ شَمْسٌ مُضيئَةٌ للرُّوح؛

أي أسَفاً لو كانَ ذلِكَ الكلامُ مِنَ القَلْب، حتّى يَكونَ مُرادُ أولئكَ النَّفَرِ حاصِلاً؛
اللُّطْفُ الآتي بلا قَلْبٍ وروحٍ على اللِّسان، مِثْلَ خُضْرَةٍ على دِمْنَةٍ أي رِفاق؛
فانْظُرْ إلَيْهِ مِنْ بَعيدٍ وَدَعْهُ، هذا الطَّعامُ والعَبيرُ لا يصْلُحانِ أيْ وَلَد؛
لا تَمْضِ إلى جِهَةِ لُطْفِ الَّذينَ هُمْ بلا وَفاءٍ، ذاكَ جِسْرٌ خَرابٌ استَمِعْ حَسَناً؛
إذا وَضَعَ جاهِلٌ عَلَيْهِ قَدَماً، كَسَرَ الجِسْرَ وَكَسَرَ القَدَم؛
كُلُّ مكانٍ كانَ فيهِ لِلْجَيْشِ كَسْرٌ، كانَ فيهِ اثنانِ أو ثلاثَةٌ واهُونَ مُخَنَّثون؛
يأتي إلى الصَّفِّ بالسِّلاح كالرِّجال، فَيُجْعَلَ عَلَيْهِ القَلْبُ أنْ هذا صَديقُ الغار؛
فأدارَ الوَجْهَ عَنْكَ عِنْدَما رأى الضَّرَباتِ، وَذَهَبَ عَنْكَ وَكَسَرَ لَكَ الظَّهْر؛
هذا طَويلٌ ومِنْهُ كثيرٌ، وذاكَ المَقصودُ مِنْهُ مَخْفِيّ؛

خِداعُ المُنافِقينَ للنَّبِيّ لِيَأخُذوهُ إلى مَسْجِدِ ضِرار

على رَسولِ الحَقِّ قَرَؤوا السِّحْر، ساقوا لَهُ قِصَصَ المَكْرِ والغَدْر؛
ذلِكَ الرَّسولُ الرَّحيمُ ذو دِينِ الرَّحْمَة، لَمْ يَصْدُرْ عَنْهُ غَيْرُ تَبَسُّمٍ وَغَيْرُ بلى؛
ذَكَرَ بالشُّكْرِ تِلْكَ الجَماعَة، أسْعَدَ القاصِدينَ بالإجابَة؛
وكانَ مَكْرُهُم ظاهِراً أمامَهُ، واحِداً واحِداً كالشَّعْرَةِ في اللَّبَن؛
يُظْهِرُ أنَّهُ لَمْ يَرَ الشَّعْرَةَ ذاكَ اللَّطيف، حَسُنَ لَبَناً كانَ يقولُ ذاكَ الظَّريف؛
مِئاتُ أُلوفِ شَعْرِ المَكْرِ والدَّمْدَمَة، وهُوَ يُنيمُ العَيْنَ تِلْكَ اللَّحْظَةَ عَنِ الجَميع؛
بَحْرُ الكَرَمِ ذاكَ كانَ يَقولُ حَقّاً، أنا عَلَيْكُمْ أكْثَرُ شَفَقَةً مِنْكُم؛
أنا جالِسٌ إلى جِوارِ نارٍ، ذاتُ كَثيرٍ مِنَ الوَهيجِ والشُّعْلَةِ بالسُّوء؛
أنتُمْ تَجْرونَ ذلِكَ الصَّوبِ كالفَراشِ، وكُلُّ يَدٍ مِنْ كِلتا يَدَيَّ تَطْرُدُ الفَراش؛
عِنْدَما صارَ الأمْرُ أنْ يسيرَ الرَّسول، غَيْرَةُ الحَقِّ صَرَخَتْ لا تَسْتَمِعْ للغول؛
هؤلاءِ الخَبيثونَ قاموا بالمَكْرِ والحِيلَة، ذاكَ الَّذي أتَوا بِهِ جُمْلَةً مَقلوب؛

قَصْدُهُمْ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ سوادِ الوجوه، خَيْرَ الدِّينِ متى تَحَرَّى النَّصارى واليَهُود؛
مَسْجِداً على جِسْرِ جَهَنَّمَ بَنَوا، مَعَ اللهِ نَرْدَ الدَّغَلِ لَعِبوا؛
قَصْدُهُمْ تَفريقُ أصْحابِ الرَّسول، متى عَرِفَ فَضْلَ الحَقِّ كُلُّ فُضولِيّ؛
لِيَجْذُبوا اليَهودِيَ إلى هُنا مِنَ الشَّام، كَيْ يكونَ اليَهُودُ بِوَعْظِهِ سُعَداء؛
قالَ النَّبِيُّ بلى ولكِنَّنا، على رَأسِ الطَّريقِ وعازِمونَ على الغَزْو؛
إذا عُدْتُ مِنْ هذا السَّفَرِ فآنَذاك، صَوْبَ ذلِكَ المَسْجِدِ أجُدُّ في السَّيْرَ مُسْرِعاً؛
قامَ بِدَفْعِهِمْ وَمَضى إلى غَزْوٍ، مَعَ المُحتالينَ لَعِبَ بالحِيْلَةِ نَرْداً؛
عِنْدَما عادَ مِنَ الغَزاةِ عادوا إلَيْه، قابِضينَ بالأيدي على وَعْدِهِ الماضي؛
قالَ لَهُ الحَقُّ أيْ نَبيُّ أشْهِرْ غَدْرَهُمْ، وإنْ كانَتِ الحَرْبُ كُنْ لَها بِعَزْم؛
قالَ أي قَومُ أطْفِئوا الدَّغَلَ، كُفُّوا حتَّى لا أقولَ أسرارَكُم؛
حِينَ أورَدَ في البَيانِ بِضْعَ إشاراتٍ، مِنْ أسرارِهِم صارَ أمْرُهُم سَيِّئاً؛
عادَ القاصِدونَ عَنْهُ ذاكَ الزَّمان، قائلينَ حاشَ لله حاشَ لله؛
وكُلُّ مُنافِقٍ تَحْتَ إبْطِهِ مَصْحَفٌ، يَحْمِلَهُ نَحْوَ النَّبِيِّ مِنَ الدَّغَل؛
مِنْ أجْلِ الأيمانِ فالأيمانَ جُنَّةٌ، إنَّما الأيمانُ عِنْدَ المائلينَ سُنَّةٌ؛
لَمَّا كانَ الرَّجُلَ الأعْوَجَ لا يَملكُ وفاءً في الدِّين،فإنَّهُ كُلَّ لَحْظَةٍ يَحْنِثُ باليَمين؛
الصَّادِقونَ ليسوا بِحاجَةِ الْيَمين، ذلِكَ لِأنَّ لَهُم عَيْنَيْنِ مُضيئتَين؛
نَقْضُ الميثاقِ والعُهُودِ مِنَ الحُمْق، حِفْظُ الميثاقِ والعُهُودِ شُغْلُ التَّقِيّ؛
قالَ النَّبِيُّ أيَّهُما أُصَدِّقُ، قَسَمَكُمْ أمْ قَسَمَ الله؛
وعادوا فأقْسَموا مَرَّةً أُخْرى القَوم، المَصْحَفُ باليَدِ وعلى الشِّفاهِ خَتْمُ الصَّوم؛
قَسَماً بِحَقِّ هذا الكلامِ الطَّاهِرِ، أنَّ بِناءَ المَسْجِدِ مِنْ أجْلِ الله؛
لَيْسَ فيما هُناكَ أيُّ مَكْرٍ ولا حِيْلَةٍ، بَلْ هُناكَ ذِكْرٌ وصِدْقٌ وَعَون؛
قالَ النَّبِيُّ إنَّ نِداءَ اللهِ، يَصِلُ إلى أُذُني كأنَّهُ الصَّدى؛

وَضَعَ الخَتْمَ على أُذُنِكُم الحَقّ، كي لا يكونَ لها لِنِداءِ اللهِ سَبْق؛
صَريحُ نِداءِ الحَقِّ يَصِلُني جميلاً، يَجْعَلُني صافِياً مِنَ الأَلَمِ كالماءِ الزُّلال؛
هكذا كما سَمِعَ موسى مِنَ الشَّجَرَةِ، صَوتَ الحَقِّ أنْ أيْ مَسْعودَ البَخْت؛
يسْمَعُ مِنَ الشَّجَرَةِ *إنِّي أنا اللهُ*، ومَعَ الكلامِ الأنوارُ ظاهِرَةٌ؛
ولِأنَّهُم بَقَوا مَحْرومين مِنْ نورِ الوَحْيِ، عادوا فأقسَموا الأيمانَ مِنْ جَديد؛
بِما أنَّ اللهَ قَدْ دعا اليَمينَ تِرْساً، متى يَضَعُ التِّرْسَ مِنْ كَفِّهِ المُحارِب؛

تفكيرُ واحِدٍ مِنَ الصَّحابَةِ بإنكارٍ أنْ
لِماذا رَسولُ اللهِ(ص) لا يقومُ بالسَّتْر

حتَّى إذا صَحابِيٌّ مِنْ صحابَةِ الرَّسول، جاءَ في قَلْبِهِ الإنكارُ مِنْ ذلِكَ النُّكول؛
أنْ كيفَ يقومُ النَّبِيُّ هكذا بِإخْجالِ، مِثْلَ هؤلاءِ الشُّيوخِ ذوي الشَّيْبِ والوقار؛
أينَ الكَرَمُ أينَ السَّتَّارِيَّةُ أينَ الحَياء، مئاتِ آلافِ العُيوبِ سَتَرَ الأنبياء؛
ثُمَّ عادَ مُسْرِعاً واسْتَغْفَرَ بالقَلْب، كي لا يصيرَ مِنَ الاِعْتِراضِ أصْفَرَ الوَجْه؛
شؤمُ مُصاحَبَةِ أصْحابِ النِّفاق، جَعَلَ المؤمِنَ مِثْلَهُمْ قبيحاً وعاقّاً؛
ثُمَّ عادَ يشتكي أنْ أيْ عَلَّامَ السِّرّ، لا تَذَرني مُصِرّاً على الكُفْران؛
قلبي ليسَ في يدي كرؤيَةِ العَيْن، لو كانَ كُنْتُ أحْرَقْتُ قلبي الآنَ مِنْ غَضَب؛
في هذا التَّفكيرِ اخْتَطَفَهُ النَّوم، فَظَهَرَ لَهُ مَسْجِدُهُم مَملوءاً بالرَّوث؛
حِجارَتُهُ في مَحَلِّ الحَدَثِ فاسِدَةٌ، مِنَ الحِجارَةِ يَخْرُجُ دُخانٌ أسْوَدٌ؛
دَخَلَ الدُّخانُ في حَلْقِهِ وَجَرَحَ حَلْقَهُ، مِنْ رُعْبِهِ مِنَ الدُّخانِ المُرِّ فَزَّ مِنَ النَّوم؛
وفي اللَّحْظَةِ وَقَعَ على الوَجْهِ باكِياً، أي إلٰهي هذِهِ علامَةُ الإنكار؛
أي الله الغَضَبُ أفْضَلُ مِنْ مِثْلِ هذا الحِلْمِ، الَّذي فَصَلَني عَنْ نورِ الإيمان؛
إذا تَفَحَّصْتَ سَعْيَ أهْلِ المَجاز، أعْمَقَ فَأَعْمَقَ يكونُ مُنْتِناً كأنَّهُ البَصَل؛

كُلُّ واحِدٍ مِنْ واحِدٍ آخَرَ أَقَلُّ مَغْزىً، والصَّادِقون كُلُّ واحِدٍ أَحْسَنُ مِنَ الآخَر؛
مِئةَ حِزامٍ عَقَدَ أولئكَ القَومُ على القَباء، مِنْ أَجْلِ هَدْمِ مَسْجِدِ أَهْلِ قَباء؛
مِثْلَ أولئكَ الحَبَشِ أَصْحابِ الفيلِ، بَنَوا كَعْبَةً فَأَضْرَمَ الحَقُّ فيها النَّارَ؛
قاموا بِقَصْدِ الكَعْبَةِ مِنَ الاِنتِقام، فإلامَ صارَ حالُهُم اِقْرَأْ في الحديث؛
سُودُ الوُجوهِ ما لَهُمْ مِنْ جَهازٍ للدِّين، غيرَ حِيْلَةٍ وَمَكْرٍ وَعِناد؛
كُلُّ صِحابِيٍّ رأى مِنْ ذاكَ المَسْجِدِ عِياناً،واقِعَةً حتَّى صارَ سِرُّ ذاكَ لَهُمْ يقيناً؛
واقِعاتٍ لَوْ أَعَدْتُ سَرْدَها واحِدَةً واحِدَةً، لَصارَ اليَقينُ صافِياً عِنْدَ أَهْلِ الشَّكّ؛
لكِنْ أخافُ مِنْ كَشْفِ سِرِّهِم، مُعْجَبونَ بالنَّفْسِ يتزَيَّنونَ بالإعجاب؛
كانوا يَقْبَلونَ الشَّرْعَ بِلا تَقْليد، أَخَذوا ذلِكَ النَّقْدَ بِلا مَحَكّ؛
حِكْمَةُ القُرْآنِ بِما هِيَ ضالَّةُ المُؤمِن، كُلُّ شَخْصٍ بِضالَّةِ نَفْسِهِ موقِن؛

قِصَّةُ ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي كانَ يَبْحَثُ عَنْ ناقَتِهِ الضَّالَّةِ وَيَسْألُ عَنْها

أَضَعْتَ ناقَةً وأَسْرَعْتَ تَبْحَثُ عَنْها، كَيْفَ تَجِدُها وأنتَ لا تَعْرِفُ أَنَّ تِلْكَ لَكَ؛
الضَّالَّةُ ما كانَتْ، ناقَةً ضائعَة، هَرَبَتْ مِنْكَ واخْتَفَتْ؛
جِئتَ عِنْدَ تَحْميلِ القافِلَة، ناقَتُكَ وَسَطَ النِّياقِ اخْتَفَتْ؛
تَجْري هُنا وَهُناكَ يابِسَ الشَّفَة، وسارَ الرَّكْبُ يبتَعِدُ واللَّيْلُ اقْتَرَب؛
مَتاعُكَ على الأَرْضِ في طَريقِ مَخُوف، وأنتَ في طَلَبِ النَّاقَةِ تَجري تَطوف؛
تَقولُ أي مُسلِمونَ مَنْ رأى ناقَةً، نَفَرَتْ مِعَ الفَجْرِ لِلْخارِجِ مِنَ الحَظيرَة؛
كُلُّ مَنْ يُعطيني عَنْ ناقَتي إشارَةً، أُعْطِيهِ العديدَ مِنَ الدَّراهِمِ بِشارَةً؛
وَتَبْحَثُ عَنِ الإشارَةِ عِنْدَ كُلِّ شَخْصٍ، وَيضْحَكُ عليكَ مِنْ هذا كُلُّ خَسيس؛
أنْ رَأينا ناقَةً تَذْهَبُ هذا الطَّرَف، ناقَةً حَمْراءَ نَحْوَ ذاكَ العَلَف؛
وذاكَ واحِدٌ قالَ كانَتْ مَقطوعَةَ الأُذُن، وآخَرٌ قالَ كانَ عليها غِطاءٌ بِنُقوش؛

وذاكَ واحِدٌ قالَ كانَتْ ناقَةً عَوراء، وذاكَ آخَرُ قالَ كانَتْ مِنَ الجَرَبِ جَرْداء؛
مِنْ أَجْلِ البِشارَةِ مِئَةُ علامَةٍ، جُزافاً أَظْهَرَ لَكَ كُلُّ خَسيس؛

الكَونُ مُتَرَدِّداً بَيْنَ المذاهِبِ المُخْتَلِفَة والخُروج وإيجاد المَخْلَص

كما لو أنَّ كُلَّ شَخْصٍ عَنْ مَعْرِفَة، يعْمَلُ لِلمَوصوفِ الغَيبيِّ الصِّفَة؛
فَلْسَفيٌّ مِنْ نَوعٍ آخَرَ قامَ بالشَّرْح، وباحِثٌ قامَ لِمَقالِهِ بالجَرْح؛
وذاكَ آخَرُ راحَ يَطْعَنُ في الاِثْنَيْن، وذاكَ آخَرُ مِنَ النِّفاق يَعْمَلُ بالرُّوح؛
يُعطونَ الإشاراتِ عَنْ تِلْكَ كُلٌّ مِنْ طَريق، حتَّى ظُنَّ أَنَّهُمْ مِنْ تِلْكَ القَريَة؛
فاعْلَمِ الحَقيقَةَ ليسوا جَميعاً مُحِقِّين، ولا كُلُّ هؤلاءِ النَّفَرِ بالكُلِّيَّةِ ضالِّين؛
مِنْ دونِ الحَقِّ لا يَظْهَرُ الباطِلُ، الأَبْلَهُ اشترى الزَّائفَ على رائِحَةِ الذَّهَب؛
لَولا وجودِ النَّقْدِ الصَّحيحِ في الدُّنيا، متى كانَ يَنْفَقُ فيها النَّقْدُ الزَّائفُ؛
لولا وجودُ الصِّدْقِ ما وُجِدَ الكَذِب، ذلِكَ الكَذِبُ مِنَ الصِّدْقِ يأخُذُ الضِّياء؛
على أمَلِ الصَّحيحِ يُشترى المَعيب، يُوضَعُ السُّمُّ في السُّكَّرِ كَيْ يُطْعَم؛
لو لَمْ يَكُنِ القَمْحُ مَحبوبَ المَذاق، ما انتَفَعَ عارِضُ القَمْحِ بائعُ الشَّعير؛
فلا تَقُلْ هذِهِ الأنفاسُ باطِلَةٌ جُمْلَةً، أهلُ الباطِلِ قَلْبُهُم شِباكٌ على عبيرِ الحَقِّ؛
فلا تَقُلْ الكُلُّ جُمْلَةً خيالٌ وَضلال، غَيْرُ ذي الحَقيقَةِ ليسَ في عالَمِ الخَيال؛
الحَقُّ أخْفى لَيْلَةَ القَدْرِ في اللَّيالي، حتَّى تقومَ الرُّوحُ كُلَّ لَيْلَةٍ بامْتِحان؛
ليسَتْ كُلُّ اللَّيالي لَيْلَةَ القَدْرِ أي فَتى، وليسَتْ كُلُّ اللَّيالي خاليَةً مِنْ تِلْكَ؛
ما بينَ لابِسي الأسمالِ واحِدٌ فقيرٌ، اِمْتَحِنْ وأمْسِكْ بِذاكَ الَّذي على الحَقِّ؛
المُؤمِنُ كَيِّسٌ أيْنَ المُمَيِّزُ لِكَي، يُمَيِّزَ بَيْنَ سَيِّئي الفِعْلِ والفَتى؛
لَوْلا وجودُ المَعْيوباتِ في الدُّنيا، كانَ جُمْلَةُ التُّجَّارُ بُلَهاء؛
وكانَ تَمييزِ المَتاعِ العَسيرُ سَهْلاً، إنْ لَمْ يوجَدِ العَيْبُ ما غَيْرُ الأهل والأهْل؛

وإذا كانَ الكُلُّ عَيْباً لا نَفْعَ لِلْعِلْم، مادامَ كُلُّ شَيْءٍ هُنا خَشَباً وليسَ هُنا عُود؛
ذاكَ الَّذي قالَ كُلُّهُم على الحَقِّ أحْمَق، ذاكَ الَّذي قالَ كُلُّهُم على الباطِلِ شَقِيّ؛
التُّجَّارُ الأنبياءُ حَصَلوا على النَّفْع، تُجَّارُ اللَّونِ والرَّائحَةِ عُمْيٌ وكَدِرون؛
يُظْهِرُ الحَيَّةَ في العَيْنِ مالاً، فامْسَحْ عَينَيكَ كِلْتَيْهِما جَيّداً؛
لا تَنْظُرْ في غِبْطَةِ هذا البَيْعِ والنَّفْع ، اُنْظُرْ في خُسْرِ عادٍ وَثَمود؛

امتِحانُ كُلِّ شَيء لِيَظْهَرَ ما فيهِ مِنْ خَيرٍ وَشَرّ

ضِمْنَ هذا الفَلَكِ كَرّرِ النَّظَر، ذاكَ أنَّ الحَقَّ قالَ *ثُمَّ ارْجِعِ البَصَر*؛
لا تَقْنَعْ بِنَظَرةٍ واحِدَةٍ إلى سَقْفِ النُّور، اُنْظُرْ مِراراً لِتَرى هَلْ مِنْ فُطُور؛
قالَ لَكَ انْظُرْ إلى هذا السَّقْفِ الجَميل، فانْظُرْ مِراراً كَرَجُلٍ باحَثٍ عن عَيْب؛
فَأنتَ عارِفٌ بالأرْضِ كم هِيَ مُظْلِمَةٌ، النَّظَرُ والتَّمييزُ واجِبانِ في الاِخْتيار؛
كي نقومَ بِتَصْفِيَةِ الصَّافينَ مِنَ الكَدَر، كم يَجِبُ على عَقْلِنا أنْ يَحْمِلَ مِنْ أَلَم؛
اِمتِحاناتُ الشِّتاءِ والخَريف، وحرارَةُ الصَّيْفِ والرَّبيعِ كالرُّوح؛
والرِّياحُ والغُيومُ والبُروق، كَيْ تَظْهَرَ عوارِضُ الفُروق؛
حَتَّى تُخْرِجَ الأرْضُ لَونَ التُّراب، وكُلَّ ما تَمْلِكُ في الجَيْبِ مِنْ لَعْلٍ وَصَخْر؛
وكُلَّ ما سَرَقَ هذا التُّرابُ الأسْوَدُ، مِنْ خِزانَةِ الحَقِّ وَبَحْرِ الكَرَم؛
حارِسُ التَّقْديرِ قالَ لَهُ قُلْ بِصِدْقٍ، شَرْحَ ذاكَ الَّذي أخَذْتَ كُلِّهِ شَعْرَةً بِشَعْرَة؛
السَّارِقُ أعْني التُّرابَ قالَ لا شَيءَ لا شَيءَ، الحارِسُ أخَذَ يَسْحَبُهُ بِأعطافِه؛
الحارِسُ حيناً يُحَدِّثُهُ الحَديثَ كالسُّكَّر، وحيناً يُعامِلُهُ بِكُلِّ ما هُو أسوَأ؛
حتّى بينَ اللُّطْفِ والقَهْرِ تِلْكَ الخَفِيَّات، مِنْ نارِ الخَوْفِ والرَّجاء تَظْهَرُ جَلِيَّةً؛
فُصولُ رَبيعِ اللُّطْفِ تِلْكَ حَرَسُ الكِبرياء، وذاكَ الخَريفُ تَخْويفُ وتهديدُ الله؛
وذاكَ الشِّتاءُ مساميرُ صَليبٍ مَعْنَوِيّ، كي تَصيرَ ظاهِراً أيُّها اللِّصُّ الخَفِيُّ؛

فيكونَ للمُجاهِدِ زماناً بَسْطُ قَلْبٍ، وزَماناً قَبْضٌ وأَلَمٌ وَغِشٌّ وَغِلّ؛
بِما أنَّ ماءَ وطِيْنَ أبدانِنا، مُنْكِرانِ وسارِقانِ لِضِياءِ أرواحِنا؛
الحَقُّ تَعالى وَاضِعٌ على أبدانِنا، الحارَّ والبارِدَ والوَجَعَ والأَلَمْ أي شُجاع؛
الخَوفَ والجُوعَ وَنَقْصَ المالِ والبَدَنِ، جَميعاً لِكي يَصيرَ ظاهِراً نَقْدُ الرُّوح؛
هذا الوَعيدُ وهذهِ الوُعودُ أُثيرَتْ، مِنْ أجْلِ الخَيْرِ والشَّرِّ المُمْتَزِجَين؛
بِما أنَّهُمْ مَزَجوا الحَقَّ والباطِلَ، فقد وَضَعوا في كيسِ الدَّراهِمِ النَّقْدَ والزَّيف؛
فالمَحَكُّ وَجَبَ لَها لِتُنْتَخَبَ، في الحقائقِ رَأَيْتَ الاِمتِحانات؛
لِيَكونَ لِهذهِ التَّزويراتِ فاروقٌ، لِيَكونَ لِهذه التَّدبيراتِ دَسْتورٌ؛
يا أُمَّ موسى أرْضِعِيهِ اللَّبَنَ، بلا فِكْرٍ في البلاءِ ألقيهِ في الماء؛
كُلُّ مَنْ يَومَ ***أَلَسْتُ*** شَرِبَ ذاكَ اللَّبَن، قامَ بِتَمييزِ اللَّبَنِ مِثْلَ موسى؛
إنْ كُنْتِ في تَمييزِ طِفْلِكِ مُولَعَةً، أرْضِعِيهِ يا أُمَّ موسى هذِهِ اللَّحْظَة؛
حتَّى يَعرِفَ طَعْمَ لَبَنِ أُمِّهِ ، حتَّى لا ينزِلَ على مُرْضِعٍ سَيِّئَةِ الطِّينَة؛

شَرح فائدةِ حِكايَةِ ذلِكَ الشَّخْصِ الباحِثِ عَنِ النَّاقَة

النَّاقَةُ ضاعَتْ مِنْكَ أيْ مُعْتَمَد، كُلُّ شَخْصٍ يُعطيكَ إشارَةً عَنِ النَّاقَةِ؛
أنتَ لا تَعْرِفُ أينَ هِيَ تِلْكَ النَّاقَةُ، لكِنَّكَ تَعْرِفُ أنَّ هذِهِ الإشاراتِ خاطِئَةٌ؛
وذاكَ الَّذي لَمْ يُضِعْ ناقَةً مِنَ المِراءِ، مِثْلَ ذاكَ الَّذي أضاعَ يَبْحَثُ عَنْ ناقَة؛
أنْ بلى أنا أَضَعْتُ ناقَةً أيضاً، كُلُّ مَنْ وَجَدَها أَعْطَيتُهُ أُجْرَةً؛
حتَّى يكونَ مَعَكَ شَريكاً في النَّاقَةِ، يَلْعَبُ هذا اللَّعِبَ طَمَعاً في النَّاقَة؛
وكُلَّما قُلْتَ عَنْ إشارَةٍ أنَّها خاطِئَةٌ، هُوَ في تَقْليدِ ذلِكَ يقولُ كذلِك؛
هُوَ لا يَعْرِفُ الإشارَةَ الخَطَأَ مِنَ الصَّواب، لكِنَّ قَوْلَكَ لِذلِكَ المُقَلِّدِ عَصاً؛
حينَ قالوا لَكَ الدَّليلَ الصَّحيحَ والشَّبيه، وَصارَ لَكَ اليَقينُ الَّذي لا رَيْبَ فيه؛

وصارَ ذاكَ لِأَلَمِ روحِك شِفاءً، وصارَ لَكَ لَوْنَ وَجْهٍ وَصِحَّةً وَقُوَّةً؛
عَيْنُكَ صارَتْ مُضيئةً وَقَدَمُكَ مُسْرِعَةً، وَجِسْمُكَ صارَ نَفْساً ونَفْسُكَ روحاً؛
قُلْتَ: قُلْتَ حَقَّاً أيْ أمين، هذهِ الإشاراتُ بلاغٌ مُبين؛
فيهِ آياتٌ ثِقاتٌ بَيّنات، هذهِ حوالَةٌ وَقَدْرُ نَجاة؛
بِما أنَّكَ قُلْتَ هذِهِ الإشارَةَ تَقَدَّم، هذا وَقْتُ القَصْدِ فكُنْ أنتَ الكَشَّاف؛
أيْ صادِقَ القَولِ أنا أتْبَعُكَ، جِئتَ بِملامِحَ عَنْ ناقَتي أظْهِرْ أينَ تكون؛
أمامَ ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي لَيْسَ صاحِبَ ناقَةٍ، وهُوَ في البحْثِ عَنِ النَّاقَةِ مِراءً؛
مِنْ هذا الدَّليلِ الصَّحيحِ لَمْ يَزِدْ يقينُهُ، إلَّا مِنْ عَكْسِ الطَّالِبِ الصَّحيحِ للنَّاقَة؛
أخَذَ لَمْحَةً مِنْ جِدِّهِ وَحَرارَتِه، صَيحاتُهُ هذِهِ لَيْسَتْ جُزافاً؛
ما كانَ لَهُ الحَقُّ في هذِهِ النَّاقَةِ لكِنْ، هُوَ كذلِكَ كانَ قَدْ أضاعَ ناقَةً أيْضاً؛
الطَّمَعُ بِناقَةِ الغَيْرِ صارَ لِباساً لَه، وذاكَ الَّذي ضاعَ مِنْهُ صارَ مَنْسِيَّاً لَه؛
إلى أيِّ مَكانٍ هذا يَجْري، هذا يَجْري، ومِنَ الطَّمَعِ يَصيرُ صاحِبَ ألَمٍ أيْضاً؛
حينَ صارَ كاذِبٌ ماشِياً مَعَ صَادِقٍ، صارَ كَذِبُهُ ذاكَ فَجْأَةً صِدْقاً؛
في تِلْكَ الصَّحْراءِ الَّتي أسْرَعَتْ بِها النَّاقَة، وَجَدَ ذلِكَ الآخَرُ ناقةَ نَفْسِهِ أيضاً؛
عِنْدَما رآها تَذَكَّرَ أنَّها ناقَتُه، فَصارَ بلا طَمَعٍ بِناقَةِ ذاكَ الرَّفيقِ والقَريب؛
ذاكَ المُقَلِّدُ صارَ مُحَقِّقاً عِنْدَما رأى، ناقَةَ نِفْسِهِ الَّتي كانَتْ هُناكَ تَرْعى؛
هُوَ صارَ طالِبَ النَّاقَةِ تِلْكَ اللَّحْظَةَ، لَمْ يَكُنْ في طَلَبِها ورآها في الصَّحْراء؛
بَعْدَ ذلِكَ اتَّجَهَ لَها وَحْدَها، فَتَحَ العَيْنَ نَحْوَ ناقَةِ نَفْسِه؛
قالَ لَهُ الصَّادِقُ لَقَدْ تَرَكْتَني، وكُنْتَ إلى الآنَ مُرافِقاً لي؛
قالَ كُنْتُ في الخِداعِ إلى الآنَ، وكُنْتُ في التَّمَلُّقِ مِنَ الطَّمَع؛
هذِهِ اللَّحْظَةَ صِرْتُ شريكَ ألَمِك، وفي الطَّلَبِ صِرْتُ مُنْفَصِلاً عَنْكَ بالبَدَن؛
كُنْتُ أسرقُ مِنْكَ وَصْفَ النَّاقَة، روحي رَأَتْ ناقَتي تِلْكَ فامتَلَأَتْ عَيْني؛

قَبلَ أنْ أجِدَها لَمْ أكُنْ لَها طالِباً، صارَ النُّحاسُ مَغْلوباً الآنَ والذَّهَبُ غالِباً؛
سيّئاتي كُلُّها غَدَتْ طاعاتٍ فشُكْراً، الهَزْلُ صارَ فانياً والجِدُّ إثْباتاً فَشُكْراً؛
سيّئاتي صارَتْ كأنَّها الوَسيلَةُ للحَقّ، لا تَقُمْ إذَنْ على سَيِّئاتي بِأيِّ دَقّ؛
أنتَ جَعَلَكَ الصِّدْقُ طالِباً، أنا الجِدُّ والطَّلَبُ فَتحا لِيَ الصِّدْق؛
صِدْقُكَ أخَذَ بِكَ لِلْبَحْث، بَحْثَي أخَذَ بي لِلصِّدْق؛
أنا كُنْتُ أزْرَعُ بِذْرَةَ الدَّولَةِ في الأرْض، وكُنْتُ أَظُنُّ ذلِكَ سِخْرَةً وبلا أجْر؛
ذاكَ كانَ كسْباً مُحْكَماً ولَمْ يَكُنْ بلا أجْرٍ، وكُلَّ حَبَّةٍ زَرَعْتُها أنْبَتَتْ مِئةَ حَبَّةٍ؛
كسارِقٍ جاءَ إلى مَنْزِلٍ بِقَصْدِ السُّوء، حينَ دَخَلَ رأى أنَّ المَنْزِلَ مَنْزِلُه؛
كُنْ دافِئاً أيُّها البَارِدُ حتَّى يَصِلَ الدِّفْءُ، تَعامَلْ مَعَ الخُشونَةِ حتَّى يَصِلَ اللّين؛
تِلْكُما النَّاقَتانِ ليستا ناقَةً واحِدَةً، اللَّفْظُ جاءَ ضَيّقاً والمَعْنى مُمْتَلِئٌ كَثيراً؛
اللَّفْظُ لِلْمَعنى دائماً غَيرُ واصِلٍ، لِذلِكَ قالَ النَّبِيُّ قَدْ *كَلَّ لِسان*؛
النُّطْقُ بِمَثابَةِ اصْطِرْلابٍ في الحِساب، ما قَدْرُ ما يَعْرِفُ عَنِ الفَلَكِ والشَّمْس؛
خاصَّةً فَلَكٍ هذا الفَلَكُ مِنْهُ رِيشَةٌ ، والشَّمْسُ مِنْ شَمْسِهِ تِلْكَ ذَرَّة؛

بيانُ أنَّهُ في كُلِّ نَفسٍ هُناكَ فِتْنَةُ مَسْجِدِ ضِرار

حينَ بَدا ظاهِراً أنَّ ذاكَ لَمْ يَكُنْ مَسْجِداً، كانَ بَيْتَ حِيْلَةٍ وَكانَ شَبْكَةَ يهود؛
أَمَرَ النَّبِيُّ بِذاكَ أنْ يُقْتَلَعَ، وأنْ يُجْعَلَ مِنْهُ مَطْرَحاً للعلَفِ والرَّماد؛
صاحِبُ المَسْجِدِ كالمَسْجِدِ كانَ مُزَيَّفاً، ألقى الحُبوبَ على الشِّباكِ لا مِنْ جُود؛
قِطْعَةُ اللَّحْمِ في الشَّصِّ لِخَطْفِ السَّمَكِ، مِثْلُ تِلْكَ اللُّقْمَةِ لَيْسَتْ هِبَةً ولا سَخاءً؛
مَسْجِدُ أهْلِ قَباءَ الَّذي كانَ جَماداً، لَمْ يَفْتَحِ الطَّريقَ لِكُلِّ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفؤاً؛
على الجماداتِ لَمْ يَجْرِ مِثْلُ هذا الحَيْف، أحْرَقَ أميرُ العَدْلِ ذاكَ غَيْرَ الكُفء؛
فالحَقائقُ الَّتي هِيَ أصْلُ الأُصول، اِعْلَمْ أنَّها ذواتُ فُروقٍ وَفُصول؛

لا حياتُهُ كانَتْ كَحَياتِهِ، ولا مماتُهُ كانَ كَمماتِه؛

قَبْرَهُ أبَداً لا تَعْرِفْهُ مِثْلَ قَبْرِه، ما أقولُ في حالِ فَرْقِ ذاكَ العالَم؛

على المَحَكِّ ضَعْ عَمَلَكَ أيُّها الرَّجُلُ العامِل، حتَّى لا تَبْنِيَ مَسْجِدَ أهْلِ ضِرار؛

كم سَخِرْتَ مِنْ بُناةِ ذاكَ المَسْجِد، وَحينَ نَظَرْتَ وجَدْتَ أنَّكَ نَفْسَكَ كُنْتَ مِنْهُم؛

حِكايَةُ هِنْدِيٍّ كانَ يُقاتِلُ صَديقَهُ على أمْرٍ جاهِلاً أنَّهُ هُوَ نَفْسَهُ كانَ مُبْتَلىً بِذلِك

أرْبَعَةُ هُنودٍ صاروا إلى مَسْجِدٍ، صاروا راكِعينَ وساجِدين طَلَباً للطَّاعَةِ؛

كُلُّ واحِدٍ قامَ بالتَّكْبيرِ على نِيَّةٍ، وَدَخَلَ في الصَّلاةِ بِمَسْكَنَةٍ وَأَلَمٍ؛

دَخَلَ المُؤَذِنُ فَخَرَجَ مِنْ واحِدٍ لَفْظٌ، أنْ أيْ مُؤَذِّنُ أنادَيْتَ أهُوَ الوَقْت؛

قالَ ذاكَ الهِنْدِيُّ الآخَرُ مِنَ الإفتِقار، ها قَدْ تَكَلَّمْتَ وَصَلاتُكَ صارَتْ باطِلَةً؛

ذلِكَ الثَّالِثُ قالَ لِذاكَ الثَّاني أيْ عَمّ، لِماذا تَقُومُ بالطَّعْنِ عَلَيْهِ قُلْ هذا لِنَفْسِك؛

ذاكَ الرَّابِعُ قالَ الحَمْدُ لِلَّهِ أنَّني، لَمْ أقَعْ في البِئرِ كهؤلاءِ الرِّجالِ الثَّلاثَة؛

فصلاةُ هؤلاءِ الأرْبَعَةِ قد ضاعَتْ، العائبونَ هُمْ أكثَرُ مَنْ ضَلَّ في الطَّريق؛

أيْ سَعِدَتْ روحٌ رَأَتْ عَيْبَ نَفْسِها، كُلُّ مَنْ قالَ عَيْباً اشتَراهُ لِنَفْسِه؛

ذاكَ أنَّ نِصْفَهُ كانَ مِنْ بَلَدِ العَيْب، وأنَّ نِصْفَهُ الآخَرَ كانَ مِنْ بَلَدِ الغَيْب؛

مادامَ هُناكَ عَشْرةُ جِراحٍ على رَأْسِكَ، يَجِبُ أنْ تَبْدَأَ بِوَضْعِ المَرْهَمِ لِنَفْسِك؛

إظْهارُ العَيْبِ دواءٌ لِلْجُرْح، مَنْ صارَ مكسوراً صارَ مَحَلَّ ارحَموا؛

إنْ لَمْ يكُنْ بِكَ العَيْبُ ذاتُهُ لا تَأْمَنْ، رُبَّما يصيرُ فاشياً ذلِكَ العَيْبُ مِنْكَ أيضاً؛

لا تَخافوا مِنَ اللهِ لَمْ تَسْمَعْ، إذَنْ لِمَ رأيْتَ نَفْسَكَ آمِناً وَسَعيدا؛

لَقَدْ عاشَ إبليسُ سِنينَ حَسَنَ الصِّيْت، وصارَ مفْضوحاً وانْظُرْ ما صارَ اسْمُه؛

كانَ مَعْروفاً في الدُّنيا بِعَلْيائه، صارَ مَعْروفاً بِالعَكْسِ أي لَهُ الوَيْل؛

ما لَمْ تَكُنْ آمِناً لا تَطْلُبِ الشُّهْرَة، اِذْهَبِ اغْسِلِ الخَوفَ ثُمَّ أظْهِرِ الوَجْه؛
أي جَميلي ما لَمْ تَكُنْ نَبَتَتْ لِحْيَتُكَ، لا تَقُمْ بالطَّعْنِ على آخَرَ أمْرَدَ الذَّقْن؛
أُنْظُرْ لِهذا على أنَّهُ صارَ مُبْتَلىً، روحُهُ وَقَعَتْ في بِئرٍ لِيَكونَ لَكَ عِبْرَةً؛
لا تَقَعْ أنتَ فَتَكونَ عِبْرَةً لَه ، هُوَ شَرِبَ السُّمَّ فاشْرَبْ أنتَ سُكَّرَه؛

قَصْدُ الغُزِّ لِقَتْلِ رَجُلٍ لإخافَةِ ذاكَ الآخَر

أولئكَ الغُزُّ التُّرْكُ السفَّاحونَ جاؤوا، لِأجْلِ الغارَةِ على قَرْيَةٍ وهَجَموا فَجْأةً؛
وَجَدوا شَخْصَيْنِ مِنْ أعيانِ تِلْكَ القَرْيَة، فأسرَعوا في هلاكِ واحِدٍ مِنْهُما؛
أوثَقوا يَدَيْهِ لِيَجْعَلوهُ ضَحِيَّةً، قالَ أيُّها المُلوكُ والأركانُ العالُون؛
لِمَ تُلْقُونَ بي إلى بِئْرِ المَوتِ، مِمَّ أنتُمْ ظامِئونَ لِدَمي أخيراً؛
ما هِيَ الحِكْمَةُ وما الغَرَضُ مِنْ قَتْلي، وأنا هكذا دَرويشٌ وأنا عُريانُ بَدَن؛
قالوا كَيْ تَصيبَ الهَيْبَةُ رَفيقَكَ هذا، حتّى يَخافَ ويُظْهِرَ الذَّهَب؛
قالَ هذا الآخَرُ أكْثَرُ مَسْكَنَةً مِنّي، قالوا أظْهَرَ المَسْكَنَةَ قاصِداً وعِنْدَه الذَّهَب؛
قالَ أيُّ وَهْمٍ هذا وَنَحْنُ كِلانا، في مَقامِ الاِحْتِمالِ والشَّكّ واحِدٌ؛
فاقْتُلُوهُ هُوَ أوّلاً أيُّها المُلوك، كي أخافَ أنا وأُعْطي الإشارَةَ عَنِ الذَّهَب؛
فانْظُرْ إلى الكَرَمِ الإلٰهِيّ فَنَحْنُ، قَدْ جِئنا آخِرَ الزَّمانِ في الاِنْتِهاء؛
آخِرُ القُرونِ مُقَدَّمٌ على القُرون، في الحَديثِ *الآخِرونَ السَّابِقون*؛
حتَّى يكونَ هلاكُ قَومِ نُوحٍ وَقَوْمِ هُود، مُظْهِرَ عارِضِ الرَّحْمَةِ لِروحِنا؛
فَقَدْ قَتَلَهُم كي نَخافَ نَحْنُ مِنْهُ، وإنْ أنْتَ عَمِلْتَ بالعَكْسِ فالوَيْلُ لَك؛

بيانُ حالِ عابِدِي النَّفْسِ والجاحِدين لِنِعْمَةِ
وُجودِ الأنبياءِ والأولياءِ عَلَيْهِم السَّلام

كُلُّ مَنْ قالَ عَنْهُمْ بالعَيْبِ والذَّنْب، قالَ مِنْ قَلْبٍ كالصَّخْرُ وَمِنْ روحٍ سَوداء؛
ومن استِخْفافِهِ بِأوامِرِهِم، ومِنْ فَراغِهِ مِنْ غَمِّ غَدِه؛
ومِنْ هَوَسٍ وَمِنْ عَشْقِ هذِهِ الدُّنيا الدَّنيئة، وَمِنْ ضَعَةٍ أمامَ النَّفْس كالنِّساءِ؛
وذاكَ الفِرارِ مِنْ نِكاتِ النَّاصِحين، وذاكَ الهُروبِ مِنْ لِقاءِ الصَّالِحين؛
وغُرْبَةٍ مَعَ القَلْبِ وَمَعَ أهْلِ القَلْب، وشَأنٍ في التَّزويرِ والمَكْرِ مَعَ المُلوك؛
وظَنِّ مُمْتَلِئي العُيونِ مُسْتَجْدين، ومُعاداتِهِمْ خِفْيَةً مِنَ الحَسَدِ لَهُم؛
إنْ قَبِلَ الشَّيْءَ قُلْتَ أنَّهُ شَحَّاذ، وإنْ لَمْ يَقْبَلْ قُلْتَ نِفاقٌ ومَكْرٌ وَدَغَلٌ؛
إنْ خالَطَكَ قُلْتَ إنَّهُ ذو طَمَع، وإنْ لَمْ يُخالطْكَ قُلْتَ إنَّهُ بالتَّكَبُّرِ مُوْلَع؛
أو كالمُنافِقِ جِئتَ بالعُذْرِ أنِّي، مُتْعَبٌ مَشغولٌ بِنَفَقَةِ الزَّوْجِ والوَلَد؛
لا مَجالَ لي لِأقومَ بِحَكِّ رَأسي، ولا مَجالَ لي للاِشْتِغالِ بِأَمْرِ ديني؛
أيْ فُلانُ اذْكُرنا بِهِمَّةٍ، لِنَصيرَ مِنَ الأولياءِ آخِرَ الأمْر؛
قالَ هذا الكلامَ لا ألَماً واحْتِراقاً، قالَهُ مُخالَطاً بالنَّومِ لَغْواً وَنام؛
ما مِنْ حِيْلَةٍ عَنْ قُوْتِ العِيال، في مَشَقَّةٍ أقومُ بالكَسْبِ الحلال؛
أيَّ حلالٍ أيْ مَنْ صِرْتَ مِنْ أهْلِ الضَّلال، غَيْرَ دَمِكَ لستُ أرى مِنْ حلال؛
وحِيْلَتُهُ مِنَ اللهِ وَلَيْسَتْ مِنَ القُوت، وسيلَتُهُ مِنَ الدِّيْنِ وَلَيْسَتْ مِنَ الطَّاغُوت؛
أيْ مَنْ لا صَبْرَ لَكَ عَنِ الدُّنيا الدُّون، كيفَ لَكَ صَبْرٌ عَنْ *نِعْمَ الماهِدون*؛
أيْ مَنْ لا صَبْرَ لَكَ عَنِ الدَّلالِ والنَّعيم، كَيْفَ لَكَ الصَّبْرُ عَنِ اللهِ الكَريم؛
أيْ مَنْ لا صَبْرَ لَكَ عَنْ طاهِرٍ وَمُلَوَّثٍ، كيفَ تَصْبِرُ عَنْ ذاكَ الَّذي خَلَقَهُما؛
أيْنَ خَليلِيٌّ خَرَجَ خارِجَ الغار، قالَ أهذا الرَّبُّ أيْنَ الخالِقُ الفَعَّال؛

أنا لا أطْلُبُ النَّظَرَ إلى العالَمَيْن، حَتَّى أعْرِفَ مالِكَ هذينِ المَجْلِسَيْن؛
مِنْ دُونِ التَّأَمُّلِ في صِفاتِ الله، لو أكَلْتُ الخُبْزَ لبَقِيَ في حَلْقي؛
كَيْفَ تطيبُ لِيَ اللُّقْمَةُ بلا رؤيَتِه، بلا مُشاهَدَةِ وَرْدِهِ وَرَوْضَتِه؛
إلَّا على أمَلِ اللهِ مِنْ هذا الوِعاء، مَنْ شَرِبَ لَحْظَةً واحِدَةً إلَّا البَقَرَةُ والحِمار؛
ذلِكَ الَّذي هُوَ *كالأنعامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ*، رَغْمَ أنَّهُ مَليءٌ بالمَكْرِ مُنْتِنُ الإبْط؛
مَكْرُهُ ناكِسُ الرَّأسِ فصارَ ناكِسَ الرَّأس، عاشَ عُمْراً قصيراً وَيَومُهُ ابتَعَد؛
مَحَلُّ فِكْرِهِ كليلٌ وَعَقْلُهُ خَرِف، عُمْرُهُ انتهى ولا شَيْءَ عِنْدَهُ كالألِف؛
وكُلُّ مَنْ يقولُ أنا أُفَكِّرُ في هذا، فذاكَ أيضاً مِنْ مَكْرِ تِلْكَ النَّفْسِ كذلِك؛
كُلُّ مَنْ قالَ هُوَ غفورٌ وَرَحيم، ليسَ ذاكَ غَيْرَ حِيْلَةِ نَفْسٍ لَئيمَة؛
أيْ مَيّتاً غمَّاً مِنْ خُلُوِّ اليَدِ مِنَ الخُبْز ، ما دامَ غَفوراً ورحيماً ما هذا الخَوف؛

شِكايَةُ رَجُلٍ مُسِنٍّ الأوجاعَ للطَّبيب وجوابُ الطَّبيب له

قالَ شَيْخٌ لِطَبيبٍ إنَّني، في عَناءٍ مِنْ دِماغي؛
قالَ ضَعْفُ الدِّماغِ ذاكَ مِنَ السِّنّ، قال على عَيني مِنَ الظُّلْمَةِ علامَةٌ؛
قالَ مِنَ السِّنِّ أيُّها الشَّيْخُ القَديم، قالَ عِندي في الظَّهْرِ وَجَعٌ عَظيم؛
قالَ مِنَ السِّنِّ أيُّها الشَّيْخُ النَّحيل، قالَ مِنْ كُلِّ ما آكُلُ لا أهنأُ بِطَعامٍ؛
قالَ ضَعْفُ المَعِدَةِ أيضاً مِنَ السِّنّ، قالَ وَقْتَ النَّفَسِ يَضيقُ نَفَسي؛
قالَ نَعَمْ ذاكَ انقِطاعُ النَّفَسِ، مَنْ وَصَلَ الشَّيخوخَةَ صارَ بِهِ مِئتا عِلَّة؛
قالَ أي أحْمَقُ أتَظَلُّ على هذا المنوال، أهذا فَقَطْ ما تَعَلَّمْتَ مِنَ الطِّبّ؛
أي سَميكَ الدِّماغِ ألَمْ يُعْلِمْكَ عَقْلُكَ، أنَّ اللهَ قَدْ خَلَقَ لِكُلِّ داءٍ دواءً؛
أي حِماراً أحْمَقَ أنتَ مِنْ قِلَّةِ المِقدار، بقيتَ على الأرْضِ مِنْ قِصَرِ الأقدام؛
فقالَ لَهُ الطَّبيبُ عِمْرُكَ سِتُّون عاماً، هذا الغَضَبُ وهذِهِ الحِدَّةُ مِنَ السِّنِّ أيضاً؛

كُلُّ وَصْفٍ وَجُزْءٍ مِنكَ صارَ نَحيفاً، فصارَ ضَبْطُ نَفْسِكَ كما صَبْرُكَ ضعيفاً؛
الشَّيْخُ لا يَحْتَمِلُ كَلِمَتَينِ فيصْرُخ، ولا طاقَةَ لَهُ بِجُرْعَةٍ واحِدَةٍ فيقيء؛
إلَّا شَيْخاً يكونُ سَكْرانَ مِنَ الحَقّ، فَهذا في داخِلِهِ حَياةٌ طَيِّبَةٌ؛
مِنَ الظَّاهِرِ شَيْخٌ وفي الباطِنِ صَبِيٌّ، فأيَّ شَيءٍ يكونُ ذاكَ النَّبِيُّ وذاكَ الوَلِيّ؛
لَو لَمْ يَكونا ظاهِرَيْنِ أمامَ الحَسَنِ والسَّيّءِ، ما هذا الحَسَدُ لَهُم مِنَ الأخِسَّاءِ؛
لَو لَمْ يكونوا يَعْلَمونَ بِهِما عِلْمَ اليَقين، ما هذا البُغْضُ والتَّحايُلُ والحِقْد؛
لو لَمْ يكونوا عالِمينَ بالبَعْثِ والقِيامَةِ، كَيْفَ عَرَّضوا أَنْفُسَهُمْ للسَّيْفِ الحادّ؛
إنَّهُ يَضْحَكُ لَكَ فلا تَرَهُ هكذا، مِئةُ قِيامَةٍ في باطِنِهِ تَخْتَفي؛
جَهَنَّمُ والجَنَّةُ هُما أجْزاؤه، كُلَّ ما فَكَّرْتَ بِهِ هُوَ أعلى مِنْه؛
كُلُّ ما فَكَّرْتَ بِهِ قابِلُ الفناء، وذاكَ الَّذي لا يجيءُ في التَّفْكيرِ هُوَ الله؛
على بابِ هذا البَيْتِ ما قَلَّةُ الحَياءِ هَذِهِ، ماداموا يَعْلَمونَ مَنْ داخِلَ الدَّار؛
البُلْهُ يقومونَ بِتَعْظيمِ المَسْجِد، وفي جَفاءِ أهْلِ القلوبِ يَجِدُّون؛
ذاكَ مَجازٌ هذا حَقيقَةٌ أي حمير، لا مَسْجِدَ إلَّا باطِنُ العُظَماء؛
المَسْجِدُ الَّذي كانَ باطِنَ الأولياء، مَحَلُّ سُجودِ كُلِّ شَيْءٍ فَهُناكَ الله؛
لَو لَمْ يَأْلَمْ قَلْبُ رَجُلِ الله، ما قامَ اللهُ بِفَضْحِ أَيِّ قَوم؛
جاؤوا بِقَصْدِ قِتالِ الأنبياء، رَأَوهُمْ جِسْماً فَظَنُّوهُمْ بَشَراً؛
إنَّ فيكَ أخلاقَ أولئكَ السَّالِفين ، فكَيْفَ لا تَخافُ أنْ تَصيرَ مِثْلَهُم؛

قَصَّةُ جُحا وذلِكَ الولَد الَّذي كانَ يَنوحُ أمامَ جنازَةِ والِدِه

وَلَدٌ مِنْ أمامِ تابوتِ والِدِه، كانَ يبكي بِحُرْقَةٍ ويَلْطِمُ الرَّأْس؛
أنْ أي أبَتِ أينَ يَحْمِلونَك أخيراً، لِيُودِعوكَ التُّرابَ وَيَجْعلوكَ تَحْتَ التُّراب؛
يَحْمِلونَكَ إلى بَيْتٍ ضَيّقٍ وَعَسير، ما بِهِ سَجَّادَةٌ وما بِهِ حَصير؛

ولا سِراجَ في اللَّيلِ ولا خُبْزَ بالنَّهار، ولا رائحَةَ فِيهِ ولا أثَرَ للطَّعام؛
لا بابُهُ مَعْمورٌ ولا طَريقَ للسَّقْفِ، ولا لَهُ جارٌ واحِدٌ فيُلْجَأَ إلَيْه؛
عَينُكَ الَّتي كانَتْ مَحَلَّ قُبَلِ الخَلْق، كيفَ تَذْهَبُ في مَنْزِلٍ مُظْلِمٍ وأعْمى؛
في مَنْزِلٍ بلا أمانٍ ومَكانٍ ضَيِّقٍ، مَنْزِلٍ لا يَدومُ وَجْهٌ بِهِ ولا لَون؛
ويَعُدُّ أوصافَ المَنْزِلِ مِنْ هذا النَّسَق، ويَعْصِرُ الدَّمْعَ المُدَمَّى مِنْ كِلْتا عَيْنَيْهِ؛
قالَ جُحا لأبيهِ أي كريم، واللهِ إنَّهُمْ يَحْمِلونَ هذا إلى مَنْزِلِنا؛
قالَ الأبُ لجُحا لا تَكُنْ أبْلَهاً، قالَ أي أبَتِ اسْمَعِ العلامات؛
العلاماتِ الَّتي ذَكَروا واحِدَةً واحِدَةً، هِيَ علاماتُ مَنْزِلِنا بلا تَرَدُّدٍ وشَكّ؛
لا حَصيرَ ولا سِراجَ ولا طَعام، ولا البابُ مَعْمورٌ ولا الفِناءُ ولا السَّقْف؛
أولئكَ الطُّغاةُ عِنْدَهُمْ على أنْفُسِهِم، مِئَةُ علامَةٍ مِنْ هذا النَّمَطِ فمتى يَرونَها؛
مَنْزِلُ ذلِكَ القَلْبِ الباقي بلا ضياء، مَحْرومٌ مِنْ شُعاعِ شَمْسِ الكِبرياء؛
ضيِّقٌ مُظْلِمٌ كروحِ اليَهُودِيّ، بلا نَصيبٍ مِنْ ذَوقِ السُّلطانِ الودود؛
لا في ذلِكَ القَلْبِ يسْطَعُ نورُ الشَّمْس، ولا عَرْصَةٌ واسِعَةٌ ولا فَتْحُ باب؛
القَبْرُ أفْضَلُ مِنْ مِثْلِ قَلْبِكَ هذا، أخيراً مِنْ قَبْرِ قَلْبِ نَفْسِكَ اخْرُجْ؛
أيُّها الهازِلُ الظَّريف أنتَ حَيٌّ بْنُ حَيٍّ، أما ضاقَ نَفَسُكَ مِنْ هذا القَبْرِ الضَّيِّق؛
أنتَ يُوسُفُ الوَقْتِ وَشَمْسُ السَّماء، أُخْرُجْ مِنَ الجُبِّ والسِّجْنِ وَأظْهِرِ الوَجْه؛
يُونُسُكَ صارَ ناضَجاً في بَطْنِ الحُوت، أما كانَ المَخْلَصُ لَهُ مِنَ التَّسبيح؛
إذا لَمْ يكُنْ مُسَبِّحاً بِبَطْنِ النُّون، يَظَلُّ مَحبوساً وَمَسْجوناً إلى *يُبْعَثون*؛
هُوَ بالتَّسبيحِ مِنْ بَطْنِ الحُوتِ نَجا، أيُّ تَسبيحٍ هُوَ آيَةُ يَومِ *ألَسْتُ*؛
إنْ كانَ تَسبيحُ الرُّوحِ ذاكَ لَكَ مَنْسِيّاً، اِسْتَمِعْ لِهذِهِ التَّسابيحِ مِنَ الأسماك؛
كُلُّ مَنْ رأى اللهَ فَهُوَ إلٰهِيٌّ، كُلُّ مَنْ رأى ذلِكَ البَحْرَ هُوَ سَمَكَة؛
العالَمُ بَحْرٌ والبَدَنُ حُوتٌ والرُّوح، يُونُسُ المَحجوبُ عَنْ نُورِ الصَّبوح؛

إنْ كانَ مُسَبّحاً نَجا مِنَ الحوت وإلّا، صارَ فِيهِ مَهْضوماً وَخَفِيّاً؛
هذا البَحْرُ مَملوءٌ بِأسْماكِ الأرواح، أنتَ لا ترى لأنَّكَ أعْمىً أيُّها المَغموم؛
وإنَّ تِلْكَ الأسْماكَ لَتَحْتَكُّ بِكَ، اِفْتَحِ العَيْنَ لِتراها عِياناً؛
إنْ لَمْ تَكُنْ رَأَيْتَ الأسْماكَ ظاهِرَةً، فإنَّ أُذُنَكَ سَمِعَتْ تَسْبيحَها أخيراً؛
إنَّ صَبْرَكَ هُوَ روحُ التَّسابيحِ، فاصْبِرْ فذاكَ هُوَ التَّسبيحُ الصَّحيح؛
ما ثَمَّ تَسبيحٌ لِذَيّاكَ الدَّرَج فاصْبِرْ فإنَّ الصَّبْرَ مِفتاحُ الفَرَج
الصَّبْرُ مِثْلَ جِسْرِ الصِّراطِ إلى جِهَةِ الجَنَّة، إنَّ مَعَ كُلِّ حَسناءَ حارِسٌ قبيح؛
ما دُمْتَ تَهْرُبُ مِنَ الحارِسِ فلا وَصْل، الحارِسُ ما لَهُ عَنْ الجَميلِ فَصْل؛
ما عِلْمُكَ بِلَذَّةِ الصَّبْرِ أي هَشَّ القَلْب، خاصَّةً الصَّبْرُ مِنْ أجْلِ حَسْناءَ چِگِل؛
الرَّجُلُ لَهُ لَذَّةُ الغَزْوِ والكَرِّ والفَرّ، والمُخَنَّثُ تكونُ لَهُ لَذَّةٌ مِنَ الذَّكَر؛
لِغَيرَ الذَّكَرِ لَيْسَ دينُهُ وَذِكْرُهُ، نَحْوَ الأسْفَلِ يَأخُذُهُ فِكْرُهُ؛
لَوْ صَعَدَ على الفَلَكِ لا تَخَفْ مِنْه، لَقَدْ تَعَلَّمَ الدَّرْسَ بِعِشْقِ السُّفول؛
إنَّهُ إلى الأسْفَلِ يسوقُ الفَرَس، رَغْمَ أنَّهُ إلى الأعلى حَرَّكَ الجَرَس؛
مِنْ أعلامِ الشَّحّاذينَ ما هُوَ الخَوفُ، تِلْكَ الأعلامُ طَريقُها إلى لُقْمَةِ الخُبْز؛

خَوفُ وَلَدٍ مِنْ ذلِكَ الشَّخْصِ مَهُولِ الجُثَّةِ وَقَولُ ذلِكَ الشَّخْصِ أيْ وَلَدُ لا تَخَفْ أنا لَسْتُ رَجُلاً

ماردٌ عَظيمُ الجُثَّةِ وَجَدَ طِفْلاً مُفْرَداً، شَحُبَ الطِّفْلُ خَوفاً مِنْ ذلِكَ الرَّجُل؛
قالَ كُنْ آمِناً أيْ جَميلي، هَلْ تُريدُ أنْ تكونَ فَوقي؛
رَغْمَ أنّي مَهُولٌ اعْلَمْ أنّي مُخَنَّثٌ، اِرْكَبْ عَلَيَّ كالبَعيرِ وَقُمْ بِسَوقي؛
صَوْرَةُ الرِّجالِ والمَعْنى كذا، مِنَ الظّاهِرِ آدَمِيٌّ والباطِنُ إبليسُ اللَّعين؛
أي ضَخْماً كعادٍ أشْبَهْتَ ذلِكَ الطَّبْلَ، الَّذي كانَتْ الرِّيحُ تَضْرِبُهُ بِذلِكَ الغُصْن؛

فترَكَ ثَعْلَبٌ صَيْدَهُ للرِّيح، لِأَجْلِ طَبْلٍ كَقِرْبَةٍ مَملوءَةٍ بالرِّيح؛
وَلَمَّا لَمْ يَرَ في الطَّبْلِ سِمَناً، قالَ خَنْزيرٌ خَيْرٌ مِنْ هذِهِ القِرْبَةِ الفارِغَة؛
الثَّعالِبُ خافَتْ مِنْ صَوتِ الطَّبْل، وكَمْ قَرَعَهُ العاقِلُ أنْ *لا تَقُلْ*؛

قِصَّةُ رامي سِهامٍ وَخَوْفُهُ مِنْ فارِسٍ كانَ يسيرُ في الغابَة

فارِسٌ مَعَ سِلاحٍ مَهُولٌ مَهيب، ذَهَبَ في الغابَةِ على جَوادٍ نَجيب؛
رَآهُ رامٍ بالسِّهامِ مُحْكَمُ الرَّمْي، فشَدَّ عَلَيْهِ قَوْسَهُ مِنَ الخَوف؛
رامَ يَرْمِيَهُ بِالسَّهْمِ فَصاحَ الفارِسُ، أنا ضَعيفٌ رَغْمَ أنِّي ضَخْمُ الجَسَدِ جِدًّا؛
انْتَبِهِ انتَبِهْ لا تَنْظُرْ إلى ضَخامَتي، فأنا وَقْتَ الحَرْبِ أَقَلُّ مِنْ امْرَأَةٍ عَجوز؛
قالَ اذْهَبْ أَحْسَنْتَ القَوْلَ ولَولا ذاكَ، رَمَيْتُكَ بِسَهْمٍ خَوفاً على نَفْسي؛
كَمْ مِنْ الأشخاصِ قَتَلَتْ آلَةُ الحَرْب، كانوا بلا رُجولَةٍ والسَّيْفُ باليَد؛
وَلَوْ أنَّكَ لَبِسْتَ سِلاحَ رُسْتَم، روحُكَ تَروحُ إنْ لَمْ تَكُنْ رَجُلَ ذاك؛
اِجْعَلِ الرُّوحَ دِرْعاً دَعِ السَّيْفَ أيْ وَلَد، مَنْ لا رَأْسَ لَهُ أخَذَ مِنَ الشَّاهِ رَأساً؛
سِلاحُكَ ذاكَ حِيْلَتُكَ وَمَكْرُك، مولودٌ مِنْكَ ومُؤذٍ لِروحِكَ؛
بِما أنَّكَ لَمْ تَجْنِ نَفْعاً مِنْ هذِهِ الحِيَل، قُمْ بِتَرْكِ الحِيْلَةِ تُقْبِلْ إلَيْكَ الدُّوَل؛
بِما أنَّكَ لَمْ تأكُلْ لَحْظَةً ثَمَرَةً مِنَ الفَنّ، قُمْ بِتَرْكِ الفَنِّ واطْلُبْ مِنْ رَبَّ المِنَن؛
حَيْثُ لَمْ تَكُنْ مُبارَكَةً لَكَ هذهِ العُلوم، اِجْعَلْ مِنْ نَفْسِكَ أحْمَقَ وَدَعْ هذا الشُّؤم؛
قُلْ كالملائكِ لَيسَ مِنْ *عِلْمٍ لنا يا إلهي غَيْرَ ما عَلَّمْتَنا*

قِصَّةُ أعْرابِيٍّ وَجَعْلُهُ الرَّمْلَ في
كيسَيْنِ وملامَةُ ذلِكَ الفَيْلَسوف لَه

ذلِكَ الأعْرابِيُّ حَمَّلَ بَعيراً، بِعِدْلَيْنِ كَبيرَيْنِ مَملوءَيْنِ بالبُرّ؛
وَجَلَسَ هُوَ مِنْ فَوْقِ العِدْلَيْن، قامَ واحِدٌ مِنْ أهْلِ الكلامِ بإلقاءِ السُّؤالِ عَلَيْه؛
سَأَلَهُ عَنِ الوَطَنِ وَدَفَعَهُ لِلكلام، وذاكَ في جَوابِهِ كَمْ نَظَمَ مِنْ دُرّ؛
بَعْدَ ذلِكَ قالَ لَهُ هذانِ العِدْلان، قُلْ صادِقَ الحالِ بِمَ هُما مَملوءان؛
قالَ في واحِدٍ مِنْ هذينِ العِدْلَيْنِ قَمْحٌ، وفي الثَّاني رَمْلٌ لَيْسَ مِنْ قُوتِ النَّاس؛
قالَ كَيْفَ عَمِلْتَ حِمْلاً مِنْ هذِهِ الرِّمال، قالَ حَتَّى لا يَظَلَّ وَحيداً ذلِكَ العِدْل؛
قالَ نِصْفَ قَمْحِ ذاكَ العِدْل، قُمْ بِسَكْبِهِ لِلْعَدَلِ بِهذا العِدْل؛
فَيَصِيْرَ العِدْلُ خَفيفاً وَكَذلِكَ البَعير، قالَ سَعِدْتَ أَيُّها الحَكيمُ الأَهْلُ والحُرّ؛
بِمِثْلِ هذا الفِكْرِ الدَّقيقِ والرَّأيِ السَّديد، أنتَ هكذا عُريانٌ وراجِلٌ وفي لُغوب؛
جاءَتِ الرَّجُلَ الطَّيِّبَ رَحْمَةٌ على الحَكيمِ، وَعَزَمَ على أنْ يُجْلِسَهُ على البَعير؛
ثُمَّ قالَ لَهُ أَيُّها الحَكيمُ عَذْبُ الحديث، اِشْرَحْ لي شُمَّةً عَنْ حالِ نَفْسِكَ أيضاً؛
بِمِثْلِ هذا العَقْلِ والكِفايَةِ تَمْلِكُ، أنتَ وَزيرٌ أم مَلِكٌ قُلْ لي بِصِدْق؛
قالَ لَسْتُ واحِداً مِنَ الاِثْنَينِ أنا مِنَ العامَّة، أُنْظُرْ إلى حالي وانْظُرْ إلى ثيابي؛
قالَ كَمْ بَعيراً تَملِكُ وَكَمْ تَمْلِكُ مِنَ البَقَر، قالَ لا هذا ولا تِلْكَ فلا تبحَثْ أكْثَرْ؛
قالَ فَكَمْ لَدَيْكَ إذَنْ مِنَ المَتاعِ في الدُّكَّان، قالَ أينَ لنا الدُّكَّانُ وَأينَ لنا المكان؛
قالَ فَأَسْأَلُكَ عَنِ النَّقْدِ كَمْ لَكَ مِنَ النَّقْد، أنتَ تَسيرُ مُفْرَداً ونُصْحُكَ مَحبوب؛
إكسيرُ نُحاسِ العالَمِ مَعَكَ فَلَكَ مِنَ الْعَقْلِ والعِلْمِ جواهِرُ بَعْضُها فَوقَ بَعض؛
قالَ لا واللهِ يا وَجْهَ العَرَبِ، أنا لا أملِكُ مِنْ كُلِّ ما أملِكُ ما يكفي قوتَ لَيلَة؛
حافِيَ القَدَمِ أسْعى وعارِيَ الجَسَد، وكُلُّ مَنْ يُعطيني الخُبْزَ أذْهَبُ إلَيْه؛

أنا مِنْ هذِهِ الحِكْمَةِ والفَضْلِ والفَنّ، لَمْ أَحْصَلْ على غَيرِ الخيالِ والصُّداع؛
فقالَ لَهُ الأعرابِيُّ فابْعُدْ عَنّي لِئلّا، يُمْطِرَ الشُّؤمُ مِنْكَ على رَأسي؛
اِحْمِلْ حِكْمَتَكَ المَشْؤومَةَ تِلْكَ بعيداً عَنّي، نُطْقُكَ شُؤمٌ على أهْلِ الزَّمَن؛
أو أنتَ تَذْهَبُ ذاكَ الاِتّجاهَ وأنا أمْضي هذا الاِتّجاه، أو تَقَدَّمْ أنتَ وأتَقَهْقَرُ أنا؛
كَوْنُ عِدْلٍ مِنْ قَمْحٍ وآخَرَ مِنْ رَمْلٍ، أفْضَلُ عِندي مِنْ هذِهِ الحِيَلِ المَيْتَةِ مِنْك؛
مُبارَكُ حُمْقٍ إذَنْ حُمْقي، قَلْبي مُورِقٌ وروحي مُتَّقٍ؛
إنْ كُنْتَ تُريدُ أنْ تَقِلَّ مِنْكَ الشَّقاوَة، اِعْمَلْ على أنْ تَقِلَّ مِنْكَ الحِكْمَة؛
حِكْمَةٌ مَولودَةٌ مِنَ الطَّبْعِ والخَيال، حِكْمَةٌ بِلا فَيْضٍ مِنْ نورِ ذي الجلال؛
حِكْمَةُ الدُّنيا تَزيدُ في الظَّنِ والشَّكّ، حِكْمَةُ الدِّينِ تَحْمِلُ إلى ما فَوقَ الفَلَك؛
آخِرَ الزَّمانِ مُحتالو الشَّياطين، قَدَّموا أنْفُسَهُمْ على السَّابِقين؛
مُعَلّمو حِيَلٍ مَحْتَرِقو أكبادٍ، تَعَلَّموا الفِعالَ والمَكْر؛
الصَّبْرَ والإيثارَ وَسَخاءَ النَّفْسِ والجُود، وَهَبوا للرّيحِ وذلِكَ إكسيرُ النَّفْع؛
الفِكْرُ هُوَ ذاكَ الَّذي يَفْتَحُ الطَّريق، الطَّريقُ هُوَ ذاكَ الَّذي بِهِ يُقْبِلُ المَلِك؛
المَلِكُ هُوَ ذاكَ الَّذي يكونُ مَلِكاً مِنَ النَّفْس، لا يكونُ مِلِكاً مِنْ خَزائنَ وجُنْد؛
لِيَظَلَّ باقِياً بِمُلْكٍ سَرْمَدِيٍّ، كَعِزِّ مُلْكِ الدِّيْنِ الأحْمَدِيّ

كرامات إبراهيم أدْهَم على شاطِئِ البِحْر

كما جاء عَنْ إبراهيمَ أدْهَمَ أنَّهُ، مِنَ الطَّريقِ جَلِسَ على شاطِئِ البَحْر؛
سُلطانُ الرُّوحِ ذاك كانَ يخيطُ ثَوبَهُ، وجاءَ أميرٌ إلى هُناكَ فَجْأَةً؛
كانَ ذاكَ الأميرُ مِنْ خُدَّامِ الشَّيْخ، وعِرفَ الشَّيْخَ فقامَ مُسْرِعاً بالسُّجودِ؛
صارَ مُحتاراً في الشَّيْخِ وخِرْقَتِه، صارَ شَكْلاً آخَرَ في خُلْقِهِ وَخِلْقَتِه؛
لَقَدْ كانَ تَرَكَ مِثْلَ ذاكَ المُلْكِ العَظيم، واخْتارَ ذلِكَ الفَقْرَ حادَّ الحَرْف؛

لَقَدْ تَرَكَ مُلْكَ سَبْعَةِ أقاليم، والآنَ يخيطُ ثَوبَهُ بالإِبْرَةِ كالشَّحّاذ؛
الشَّيْخُ صارَ واقِفاً على تَفْكيرِهِ، الشَّيْخُ كَأَنَّهُ الأَسَدُ والقُلوبُ أجَمَتُه؛
كما يَجْري الخَوفُ والرَّجاءُ في القُلوب، أسرارُ العالَم لَيْسَتْ خَفِيَّةً عَنْه؛
اِحْفَظوا القُلوبَ أيْ مِنْ أنتُمْ بلا حاصِلٍ، في حُضورِ حَضْرَةِ أصْحابِ القُلوب؛
أمامَ أهْلِ البَدَنِ الأدَبُ على الظّاهِر، فإنَّ اللهَ عَنْهُم للباطِنِ ساتِر؛
أمامَ أهْلِ القَلْبِ الأدَبُ على الباطِن، لأنَّ قَلْبَهُمْ بالسَّرائِرِ فاطِن؛
وأنتَ بالعَكْسِ تَأتي أمامَ العُميان، لِأجْلِ الجاه وَتَجْلِسُ مَوضِعَ الأقْدام؛
وأمامَ المُبْصِرينَ تَتْرُكُ الأدَب، فَصِرْتَ لِنارِ الشَّهْوَةِ مِنْ ذلِكَ الحَطَب؛
حَيْثُ أنَّكَ لا تَملِكُ الفِطْنَةَ وَنُورَ الهُدى، تَجْعَلُ وَجْهَكَ مِنْ أجْلِ العُمْيانِ جَلا؛
تمْسَحُ الوَجْهَ بالحَدَثِ أمامَ المُبْصِرينَ، وَتَتَدَلَّلُ مَعَ مِثْلِ هذِهِ الحالِ المُنْتِنة؛
الشَّيْخُ مُسْرِعاً رَمى الإِبْرَةَ بالبَحْر، ثُمَّ نادى على الإِبْرَةِ بِصَوتٍ عالٍ؛
مِئاتُ آلافِ الأسْماكِ الإلهِيَّة، في شَفَةِ كُلِّ سَمَكَةٍ إبْرَةٌ ذَهَبِيَّة؛
رَفَعَتْ رَأْسَها مِنْ بَحْرِ الحَقّ، أنْ خُذْ أيُّها الشَّيْخُ إبَرَ الحَقّ؛
فَوَجَّهَ لَهُ الوَجْهَ وَقالَ أيْ أمير، مُلْكُ القَلْبِ أفْضَلُ أمْ هذا المُلْكِ الحَقير؛
وهذا أثَرٌ ظاهِرٌ وهذا لَيْسَ شَيْئاً، اِصْبِرْ إلى أنْ تَدْخُلَ في الباطِنِ وَترى؛
أحْضَروا مِنَ الرَّوْض لِلمَدينَة غُصْناً، أنَّى لَهُمْ حَمْلُ الرَّوْضَةِ والبُستان؛
خاصَةً رَوْضَةٍ هذا الفَلَكُ مِنْها وَرَقَةٌ، بَلْ هِيَ اللُّبُّ والعالَمُ لها كالقِشْر؛
هَلّا نَقَلْتَ لِجِهَةِ تِلْكَ الرَّوْضَةِ الأقْدام، اِبْحَثْ عَنِ العَبيرِ الزّائِدِ اطْرُدِ الزُّكام؛
حَتّى يكونَ ذاكَ العَبيرُ جاذِبَ روحِك، حتّى يكونَ ذاكَ العَبيرُ نُوراً لِعَيْنِك؛
قالَ *يُوسُفُ بنُ يَعْقوبَ النَّبي*، لِأجْلِ الرّيحِ *ألقوا على وَجْهِ أبي*؛
لِأجْلِها أحْمَدُ قالَ في العِظات *دائماً قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاة*
الحَواسُّ الخَمْسُ مَرْتَبِطَةٌ مَعاً، لأنَّها جَميعَها مِنْ أصْلٍ واحِدٍ؛

قُوَّةُ إحداها قُوَّةٌ لِما بَقِي، كُلُّ واحِدَةٍ ساقٍ لِما بَقِي؛
رُؤيَةُ العَيْنِ مَزِيْدٌ في العِشْق، العِشْقُ في العَيْنِ مَزِيْدٌ في الصِّدْق؛
الصِّدْقُ يَصيرُ صَحْواً لِكُلِّ حِسٍ ، الذَّوْقُ يَصيرُ مُؤنِساً لِكُلِّ حِسّ؛

بَدْءُ تَنَوُّرِ العارِفِ بالنُّورِ الَّذي يرى الغَيْب

حينَ إحْدى الحواسِّ تَفُكُّ القَيْدَ في السُّلوكِ، بَقِيَّةُ الحواسِ تَصيرُ جَميعاً مُبَدَّلَةً؛
إذا غَيْرَ المَحْسوساتِ رأى حِسٌّ، صارَ الغَيْبُ ظاهِراً لِجَميعِ الحواسِّ؛
قَفَزَتْ عَنِ الجَدْوَلِ مِنَ القَطيعِ شاةٌ، فقَفَزَتْ جُمْلَةُ الشِّياهِ ذلِكَ الصَّوبَ بالتَّوالي؛
فَسُقْ شِياهَ حواسِّكَ لِلرَّعْيِ، تَرعى مِنْ *أَخْرَجَ المَرعى*؛
لِتَرعى هُنالِكَ السُّنْبُلَ والنِّسْرين، لِتَأْخُذَ الطَّريقَ إلى رَوْضَةِ وَرْدِ الحقائق؛
كُلُّ حاسَّةٍ مِنْكَ تصيرُ نَبِيّاً لِلْحواسّ، لِتَذْهَبَ الواحِدَةُ تِلْوَ الأُخْرى لِتِلْكَ الجَنَّة؛
وتَقُولَ الحواسُّ لِحِسِّكَ السِّرَّ، بلا لِسانٍ بِلا حَقيقَةٍ بِلا مَجاز؛
أنْ هذِهِ الحَقيقَةُ قابِلُ التَّأويلات، وهذا التَّوَهُّمُ أساسُ التَّخييلات؛
وتِلْكَ الحَقيقَةُ الَّتي تَكونُ مِنْ عِيان، لا تُخْفي في الوَسَطِ أيَّ تَأويل؛
بِما أنَّ كُلَّ حِسٍّ صارَ عَبْدَ حِسِّكَ، لا يكونُ للأفلاكِ بُدٌّ عَنْك؛
إنْ قامَتْ دَعوى في مُلْكِيَّةِ القِشْرِ، اللُّبُّ يكونُ لِمَنْ يكونُ لَهُ القِشْر؛
إذا وَقَعَ التَّنازُعُ في عِدْلِ التِّبْنِ، الحَبُّ لِمَنْ يكونُ، انْظُرْ إلى ذلِك؛
فالفَلَكُ قِشْرٌ وَنُورُ الرُّوحِ لُبٌّ، هذا ظاهِرٌ وَذاكَ خَفِيٌّ فلا تَزِلَّ في هذا؛
الجِسْمُ ظاهِرٌ والرُّوحُ مَخْفِيٌّ، الجِسْمُ مِثْلَ الكُمِّ والرُّوحُ مِثْلَ اليَدّ؛
ثُمَّ إنَّ العَقْلَ كانَ أخْفى مِنَ الرُّوح، الحِسُّ أخَذَ الطَّريقَ أسْرَعَ للرُّوح؛
رَأَيْتَهُ مُتَحَرِّكاً فعَلِمْتَ أنَّهُ حَيٌّ، لكِنَّكَ لا تَعْلَمُ إنْ كانَ مَملوءاً بالعَقْل؛
حَتّى يقومَ بِحَرَكاتٍ مَوزونَةٍ، الحَرَكَةُ عَنْ عِلْمٍ تُحيلُ النُّحاسَ ذَهَباً؛

مِنْ ذلِكَ التَّناسُبِ في أفْعالِ اليَدِ، يَحْصَلُ لَكَ الفَهْمُ أنَّ هُناكَ عَقْل؛
روحُ الوَحْيِ أكْثَرُ خَفاءً مِنَ العَقْل، ذلِكَ لأنَّهُ غَيْبٌ، هُوَ مِنْ ذلِكَ السِّرّ؛
عَقْلُ أحْمَدَ لَمْ يَكُنْ خَفِيَّاً عَنْ شَخْصٍ، روحُ وَحْيِهِ لَمْ يَكُنْ مُدْرَكَ كُلِّ روح؛
ولِروحِ الوَحْيِ أيضاً مُناسِباتٌ، مِمَّا لا يَجِدُهُ العَقْلُ فَذلِكَ عَزيز؛
حيناً يَراهُ جُنوناً وَحيناً يحارُ فيه، ذلِكَ لِأنَّهُ موقوفٌ على ما هُوَ عَلَيْه؛
مِثْلَ أفْعالِ الخِضْرِ الَّتي كانَتْ مُناسِبَةً، عَقْلُ موسى كانَ في رُؤيَتِها كَدِراً؛
أفْعالُهُ بَدَتْ غَيْرَ مُناسِبَة، أمامَ موسى إذْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حالاً؛
عَقْلُ موسى يصيرُ في قَيْدِ الغَيْب، عَقْلُكَ عَقْلُ الفَأْرِ ما يكونُ أيْ بَطَل؛
عَقْلُ التَّقْليدِ كانَ مِنْ أجْلِ البَيْعِ، حينَ وَجَدَ المُشْتَري أضاءَ جَميلاً؛
مُشْتَري عِلْمِ التَّحقيقِ هُوَ الحَقُّ، بازارُهُ دائماً لَهُ رَوْنَق؛
سَكِرٌ مُغْلَقُ الفَمِ بالبَيْعِ والشِّرا، المُشْتَري بلا حَدٍّ، *اللّهُ اشْتَرى*؛
دَرْسُ آدَمَ يشْتَريهِ الملاك، لَيْسَ مُحْرِمَ دَرْسِهِ شَيْطانٌ ولا جِنٌّ؛
آدَمُ أنْبِئهُمْ بالأسْماءِ بالدَّرْس، اِشْرَحْ أسرارَ الحَقِّ شَعْرَةً بِشَعْرَة؛
مِثْلُ ذاكَ الشَّخْصِ الَّذي كانَ قصيرَ النَّظَرِ، كانَ غَريقاً في التَّلَوُّنِ وبلا تَمْكين؛
دَعَوتُهُ فَأراً لأنَّ مَكانَهُ في التُّراب، مَحَلُّ مَعاشِ الْفَأْرِ هُوَ التُّراب؛
إنَّهُ عالِمٌ بالطُّرُقِ لكِنْ تَحْتَ الأرْض، قامَ بِشَقِّ التُّرابِ إلى كُلِّ ناحِيَة؛
نَفْسُ الفَأْرِ ليسَ لها إلّا نُشارَةُ لُقْمَتِه، أُعْطِيَ الفَأْرُ عَقْلاً قَدَرَ حاجِتِه؛
ذلِكَ لأنَّ المَليكَ العَزيزَ مِنْ دونِ حاجَةٍ، لا يُعطي أيَّ شَخْصٍ أيَّ شَيْءٍ؛
لَوْ لَمْ تَكُنْ حاجَةٌ لِعالَمِ الأرْض، ما خَلَقَ أيَّ شَيْءٍ رَبُّ العالَمين؛
والأرْضُ المُضْطَرِبَةُ في حاجَةٍ للجِبال، ولولا ذلِكَ ما خَلَقَها العَظيم؛
ولو لَمْ تَكُنْ حاجَةٌ للأفلاكِ أيضاً، لَما خَلَقَ الأفْلاكَ السَّبْعَةَ مِنَ العَدَم؛
الشَّمْسُ والقَمَرُ والكواكِبُ والنُّجوم، متى كانَتْ تَظْهَرُ للعِيانِ لولا الحاجَةُ؛

فَشِباكَ المَوجوداتِ كانَتِ الحاجَة، الرَّجُلُ أُعْطِيَ الآلَةَ على قَدَرِ الحاجَةِ؛
فَزِدْ سَريعاً في حاجَتِكَ أيُّها المُحتاجُ، حتَّى يَجيشَ بالكَرَمِ بَحْرُ الجود؛
فالمُتَسَوِّلونَ في الطَّريقِ كُلٌّ مُبْتَلىً، وكُلٌّ عَرَضَ حاجَةَ نَفْسِهِ للخَلْق؛
مِنْ عَمىً وَشَلَلٍ وَمَرَضٍ وَأَلَمٍ، كَيْ مِنْ هذِهِ الحاجَةِ تَثورُ رَحْمَةُ امْرِئٍ؛
ما مِنْ قائلٍ قالَ أعطوني الخُبْزَ أيْ نَاسُ، فأنا أمْلِكُ مالاً وَمَخْزَناً وَخُواناً؛
الحَقُّ لَمْ يَخْلُقِ العَيْنَ لِلْفَأْرِ الأعمى، ذلِكَ لأنَّهُ غَيْرُ مُحتاجٍ للعَيْنِ لِلْعَيْش؛
هُوَ يَستَطيعُ أنْ يعيشَ بلا بَصَرٍ وَعَين، فارِغٌ مِنَ العَيْنِ تَحْتَ التُّرابِ الرَّطب؛
هُوَ لا يَخْرُجُ مِنَ التُّرابِ إلَّا لِيَسْتَرِق، إلى أنْ يُطَهِّرَهُ اللهُ مِنْ تِلْكَ السَّرِقَة؛
مِنْ بَعْدِ ذلِكَ يَجِدُ الرِّيْشَ وَيَصيرُ طائراً، وَيَذْهَبُ مِثْلَ الملائكِ جانِبَ الفَلَك؛
في رَوْضِ وَرْدِ شُكْرِ اللهِ كُلَّ لَحْظَةٍ، مِئةً مِنَ الأنغامِ أرسَلَ كالبُلْبُل؛
أنْ أيْ مَنْ حَرَّرتَني مِنَ الوَصْفِ القبيح، أي مَنْ جَعَلْتَ مِنَ النَّارِ جَنَّةً؛
في قِطْعَةِ شَحْمٍ وَضَعْتَ الضَّوءَ السَّنيّ، أعْطَيْتَ العِظامَ السَّمْعَ أي غَنيّ؛
ما تَعَلُّقُ تِلْكَ المَعاني بالجِسْم، ما تَعَلُّقُ فَهْمِ الأشياءِ بالإِسْم؛
اللَّفْظُ مِثْلَ الوَكْرِ والمَعْنى الطَّائر، الجِسْمُ كالجَدْوَلِ والرُّوحُ الماءُ السَّائر؛
هُوَ جارٍ وأنتَ تَقولُ هُوَ واقِف، هُوَ راكِضٌ وأنتَ تَقولُ هُوَ عاكِف؛
إنْ كُنْتَ لا تَرى سَيْرَ الماءِ مِنَ القذى، ما هذا الَّذي يَتَجَدَّدُ عَلَيْهِ مِنَ القَذى؛
قَشٌّ القَذى صُوَرُ الفِكْر، كُلَّ حينٍ يَصِلُ إلَيْكَ إشْكالٌ بِكْر؛
وَجْهُ ماءِ جَدْوَلِ الفِكْرِ في المسير، عَلَيْهِ القَشُّ مِنْ مَحبوبٍ وَغيرِ مَحبوب؛
القُشورُ على وَجْهِ هذا الماءِ جارِيَة، مِنْ ثِمارِ حَديقَةِ الغَيْبِ آتِيَة؛
فابْحَثْ عَنْ ألبابِ القُشورِ في الحَدِيقَة، فالماءُ مِنَ الحَديقَةِ يجيءُ في الجَدْوَل؛
إنْ كُنْتَ لا تَرى سَيرَ ماءِ الحَياة، أُنْظُرْ في الجَدْوَلِ وفي سَيْرِ النَّبات؛
حِيْنَ يكونُ الماءُ في المُرورِ أغْزَر، قُشورُ الصُّوَرِ مِنْهُ تُسْرِعُ أكْثَر؛

الماءُ الجاري إذا بَلَغَ غايَةَ السُّرْعَةِ، الغَمُّ في ضَميرِ العارِفِينَ لا يبقى؛
إذا بَلَغَ الجَدْوَلُ غايَةَ امْتِلائِهِ وسُرْعَتِهِ ، لا يبقى يحوي ضِمْنَهُ إلَّا الماء؛

طَعْنُ غَريبٍ على شَيْخٍ وَجَوابُ مُريدٍ للشَّيْخِ له

ذاكَ واحِدٌ قامَ بِالتُّهْمَةِ لِشَيْخٍ، أَنَّهُ سَيِّئٌ وَلَيْسَ على طَرِيقِ الرَّشاد؛
وأَنَّهُ شارِبَ خَمْرٍ ومُخادِعٌ وَخَبيثٌ، فمِنْ أينَ هُوَ للمُريدينَ مُغيثٌ؛
قالَ لَهُ واحِدٌ احْفَظِ الأدَب، لَيْسَ عَقْلاً ظَنُّ مِثْلِ هذا الظَّنِّ بالكِبار؛
بَعُدَتْ عَنْهُ تِلْكَ الأوصافُ وَبَعُدَ عَنْها، أو أنْ يكونَ صافِيهِ تَكَدَّرَ مِنَ السَّيْل؛
لا تَرْمِ أهْلَ الحَقّ بِمِثْلَ هذا البُهتانِ، هذا خَيالٌ مِنْكَ فاقْلِبِ الوَرَق؛
هذا لا يكونُ ولو كانَ أيْ طائرَ التُّراب، البَحْرُ الكَبيرُ ما خَشْيَتُهُ مِنْ مَيْتَة؛
لَيْسَ أَقَلَّ *مِنْ قُلَّتَينِ* وليسَ حَوضاً صَغيراً، حتَّى تَستَطيعَ قَطْرَةٌ أنْ تُعَكِّرَه؛
النَّارُ لَمْ يَكُنْ مِنْها ضَرَرٌ لإبراهيم، وقُلْ لِكُلِّ مَنْ كانَ نَمروديِاً خَفْ مِن تِلْكَ؛
النَّفْسُ نَمْرودُ والعَقْلُ والرُّوحُ الخَليل، الرُّوحُ في العَيْنِ والنَّفْسُ في الدَّليل؛
دَليلُ الطَّريقِ هذا يكونُ للسَّالِك، ذاكَ الَّذي كُلَّ لَحْظَةٍ يَضِلُّ في الصَّحْراء؛
الواصِلونَ ما لَهُمْ غَيرَ العَيْنِ والسِّراج، إنَّهُمْ فارِغون مِنَ الدَّليلِ والطَّريقِ؛
إنْ كانَ قالَ بالدَّليلِ رَجُلُ الوِصال، فَقَدْ قالَ مِنْ أجْلِ فَهْمِ أصْحابِ الجِدال؛
الأبُ مِنْ أجْلِ الطِّفْلِ الصَّغيرِ يُتَأتِئُ، رَغْمَ أنَّ عَقْلَهُ مُهَنْدِسُ دُنيا؛
لا يَنقُصُ فَضْلُ الأُستاذِ مِنَ العُلُوّ، ولو قيلَ عَنْهُ ألفَ مَرَّةٍ لَيْسَ عِنْدَهُ شَيء؛
طَلَباً لِتَعْليمِ ذلِكَ المُغْلَقِ الفَمّ، وَجَبَ عَلَيْهِ الخُروجُ عَنْ لِسانِه؛
ووجَبَ عَلَيْهِ الدُّخولُ إلى لِسانِه، حتَّى تَتَعلَّمَ مِنْهُ العِلْمَ والفَنّ؛
فجَميعُ الخلائقِ لَهُ كالأطْفال، هذا لازِمٌ للشَّيْخِ وَقْتَ النُّصْح؛
للكُفْرِ حَدٌّ ومِقياسٌ اعْلَمْ، الشَّيخُ ونورُ الشَّيْخِ لا حُدودَ لَهُما؛

كُلُّ مَحْدودٍ عَدَمٌ أمامَ اللَّامَحدودِ، كُلُّ شَيْءٍ غَيْرَ وَجْهِ اللهِ فناء؛
حَيْثُ كانَ لا يكونُ الكُفْرُ والإيمانُ، فهُوَ اللُّبُ وهذانِ الإثنانِ اللَّونُ والقِشْر؛
أنواعُ الفَناءِ صارَتْ حِجابَ ذلِكَ الوَجْه، مِثْلَ السِّراجِ المَخْفِيّ تَحْتَ طَسْت؛
فسِرُّ هذا البَدَنِ حِجابُ ذاكَ السِّرّ، أمامَ ذاكَ السِّرِّ سِرُّ البَدَنِ كافِر؛
مَنِ الكافِرُ هُوَ الغافِلُ عَنْ إيمانِ الشَّيْخ، مَنِ المَيّتُ هُوَ الجاهِلُ بروحِ الشَّيْخ؛
الرُّوحُ لَيْسَ غَيْرَ خَبَرٍ مِنْ تَجْرِبَة، مَنْ كانَ لَهُ زِيادَةُ خَبَرٍ كانَ لَهُ زِيادَةُ روح؛
روحُنا مِمَّ هُوَ زائِدٌ على روحِ الحَيَوان، مِنْ ذلِكَ الوَجْهِ إذْ عِنْدَهُ زيادَةُ خَبَر؛
ثُمَّ يكونُ زائِداً على رُوحِنا رُوحُ المَلَك، لأنَّهُ كانَ مُنَزَّهاً عَنِ الحِسِّ المُشْتَرَك؛
ورُوحُ أصْحابِ القُلوب عَنِ المَلَك، تكونُ زائَدَةً ألا فاتْرُكِ التَّحَيُّر؛
مِنْ ذلِكَ السَّبَبِ آدَمُ كانَ مَسْجودَهُم، فإنَّ رُوحَهُ قَدْ فاقَتْ وُجُودَهُم؛
وإلَّا فأمْرُ الأفْضَلِ بالسُّجودِ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ، لا يكونُ لائقاً بِأَيِّ شَكلٍ؛
مَتى قَبِلَ عَدْلُ وَلُطْفُ الفَعَّال، أنْ تَقومَ وَرْدَةٌ بالسُّجودِ لِشَوكَةٍ؛
الرُّوحُ حِيْنَ زادَتْ جازَتِ الإنتِهاء، فصارَتْ مُطيعَةً لَها أرواحُ جُمْلَةِ الأشياء؛
مِنْ طَيْرٍ وَسَمَكٍ وَجِنٍّ وإنسان، لأنَّها في زيادَةٍ وَهُمْ في نُقْصان؛
تَصيرُ الأسماكُ صانِعَةَ لإبَرِ خِرْقَتِه، وتكونُ الخيوطُ تابِعَةً للإبَر؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ إبراهيم أدهَمْ على شاطِئِ ذلِكَ البَحْر

لَمَّا رأى ذاكَ الأميرُ نَفاذَ أمْرِ الشَّيْخ، صارَ مِنْ مَجيءِ السَّمَكِ في وَجْدٍ ظاهِر؛
قالَ آهٍ السَّمَكُ بالمَشايِخِ عَليمٌ، وشاهُ البَدَنِ الَّذي كانَ لَعيناً لَهُ العَتَبَة؛
السَّمَكُ بالشَّيْخِ عارِفٌ وَنَحْنُ بَعيد، نَحْنُ أشْقِياءُ مِنْ هذِهِ الدَّولَةِ وَهُوَ سَعيد؛
سَجَدَ وَذَهَبَ باكِياً وَخَراباً، صارَ مَجنوناً وفَتَحَ لَهُ العِشْقُ باباً؛
إذَنْ أي قَبيحُ أنتَ أينَ تَذْهَبُ، مَعَ مَنْ أنتَ في نِزاعٍ وفي حَسَد؛

أنتَ تَقومُ باللَّعِبِ بِذَنَبِ الأسَد، وَتَقُومُ بِغارَةِ التُّرْكِ على الملائكَة؛
ما قَوْلُكَ السُّوءَ بالخَيْرِ المَحْض، أقِلَّ مِنْ عَدِّ ذاكَ الخَفْضِ رِفْعَةً؛
وَمَنِ الرَّديءُ هُوَ النُّحاسُ المُحتاجُ المُهان، وما الشَّيْخُ إنَّهُ الإكسيرُ بلا حُدود؛
النُّحاسُ إذا لَمْ يَكُنْ قابِلَ الكيمياء، مِنَ النُّحاسِ لَنْ تُمَسَّ بِسُوءٍ الكيمياء؛
السَّيِّئُ هُوَ المُعانِدُ نارِيُّ العَمَل، الشَّيْخُ مَنْ كانَ عينَ بَحْرِ الأزَل؛
دائماً كانوا يُخَوِّفونَ النَّارَ بالماء، الماءُ ما خافَ قَطُّ أبَداً مِنَ اللَّهَب؛
أتبحَثُ عَنِ العَيْبِ في جَبينِ القَمَر، أتَطْلُبُ حَصادَ الشَّوكِ في الجَنَّة؛
إذا دَخَلْتَ الجَنَّةَ أي طالِبَ الشَّوك، لَنْ تَجِدَ في الجَنَّةِ غَيْرَكَ مِنْ شَوْك؛
كُنْتَ تُغَطِّي الشَّمْسَ بالطِّين، تَبْحَثُ في البَدْرِ الكامِلِ عَنِ الثَّغْرَة؛
الشَّمْسُ الَّتي تُرْسِلُ الضِّياءَ لِلعالَم، كيفَ تَخْتَفي مِنْ أجْلِ خَفَّاش؛
مِنْ رَدِّ الشُّيوخِ صارَتْ عَيباً العُيوب، غَيْرَةً مِنْهُمْ صارَتْ غَيْباً الغُيوب؛
إنْ بَعُدْتَ مَرَّةً عَنِ الخِدْمَةِ كُنْ رَفيقاً، كُنْ في النَّدامَةِ حازِماً وابْدَأِ العَمَل؛
حتَّى يَصِلَ إلَيْكَ نَسيمُ تِلْكَ الطَّريق، كَيْفَ تَمْنَعُ ماءَ الرَّحْمَةِ مِنَ الحَسَد؛
رَغْمَ أنَّكَ في بُعْدٍ بَعيدٍ حَرِّكِ الذَّيْل، *حَيْثُما كُنتُمْ فَوَلُّوا وَجْهَكُم*؛
إذا وَقَعَ الحِمارُ في الطِّينِ أسْرَعَ الخُطى، لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ يِثِبُ لِيَنْهَضَ بِعَزْم؛
لا يقومُ بِتَهْيِئَةِ المَكانِ للإقامَةِ، فقد عَلِمَ أنَّهُ لَيسَ مَكانَ مَعاش؛
أكانَ حِسُّكَ أقَلَّ مِنْ حِسِّ الحِمار، فَلَمْ يَنْهَضْ قَلْبُكَ مِنْ هذِهِ الأوحال؛
جَعَلْتَ البقاءَ في الوَحْلِ رُخْصَةً بِتَأويلِكَ، لأنَّكَ لا تُريدُ أنْ تَرْفَعَ القَلْبَ مِنْهُ؛
أنْ هذا مُباحٌ لي فَأنا مُضْطَرّ، الحَقُّ لا يَأْخُذُ العاجِزَ مِنَ الكَرَم؛
مِنْ هُنا أُخِذْتَ مِثْلَ الضَّبُعِ الأعْمى، وإنْ كُنْتَ لا تَرى هذا الأخْذَ مِنَ الغُرور؛
يقولونَ هذا ليسَ مَوضِعاً للضَّبُع، اطْلُبوهُ في الخارِجِ فَهُوَ لَيْسَ في المَغارَة؛

يقولونَ هذا وَيَنْصِبونَ لَهُ الفَخّ، وهُوَ يَقولُ إنَّهُمْ غافِلونَ عَنّي؛
لَو كانَ هذا العَدُوُّ على عِلْمٍ بي ، ما كانَ لِيُنادي أيْنَ ذاكَ الضَّبُع؛

دَعْوى ذلِكَ الشَّخْصِ أنَّ اللهَ تعالى لَنْ يَأخُذَني بالذَّنْب وَجَواب شُعَيْب عَلَيْهِ السّلامُ لَه

ذاكَ واحِدٌ كانَ يقولُ في عَهْدِ شُعَيْب، إنَّ اللهَ رأى مِنّيْ كَثيراً مِنَ العَيْب؛
كَمْ رأى مِنّي مِنَ الذُّنوبِ والآثام، واللهُ مِنَ الكَرَمِ لَمْ يَقُمْ بِأخْذي؛
الحَقُّ تعالى قالَ في أُذُنِ شُعَيْب، في جَوابِهِ القَوْلَ الفَصيحَ مِنْ طَريقِ الغَيْب؛
أنْ قُلْتَ كَمْ عَمِلْتُ مِنَ الذُّنوب، والإلٰهُ مِنَ الكَرَمِ لَمْ يَأْخُذْني بِجُرْمي؛
حديثُكَ مَعْكوسٌ وَمَقْلوبٌ أيْ سَفيه، عَدَلْتَ عَنِ الطَّريقَ وَسَلَكْتَ التّيه؛
كَمْ وَكَمْ أَخَذْتُكَ وَأَنْتَ بِلا خَبَر، وَبَقِيْتَ في السَّلاسِلِ مِنَ القَدَمِ إلى الرَّأس؛
الصَّدأُ في داخِلِكَ أي وِعاءً أسْوَدَ، جَعَلَ سَيْماءَ باطِنِكَ هَلاكا؛
اجْتَمَعَ على قَلْبِكَ الزِّنْجارُ على الزِّنْجار، حَتّى صارَ أعْمىً عَنِ الأسرار؛
هذا الدُّخانُ لَوْ وَقَعَ على وِعاءٍ جَديد، مَهْما كانَ ضَئيلاً أظْهَرَ ذلِكَ الأَثَرَ؛
ذلِكَ لأنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَظْهَرُ بِضِدِّهِ، على البياضِ يَفْتَضِحُ ذلِكَ السَّوادُ؛
بَعْدَ أنْ اسْوَدَّ الوِعاءُ بِتَأثيرِ الدُّخان، مَنْ سَريعاً رأى عَلَيْهِ هذا التَّأثيرَ؛
الرَّجُلُ الحَدَّادُ الَّذي كانَ زِنْجِيّاً، الدُّخانُ وَوَجْهُهُ كانا مِنْ نَفْسِ اللَّون؛
الرَّجُلُ الرُّوميُّ الَّذي عَمِلَ حَدَّاداً، مِنْ أَثَرِ الدُّخانِ صارَ أبْلَقَ الوَجْه؛
إذَنْ فقد عَلِمَ سَريعاً تَأثيرَ الذَّنْب، حَتّى بكى سريعاً وَقالَ أي إلٰه؛
وَبَعْدَ أنْ عَمِلَ الإصرارَ وَصَنْعَةَ السُّوءِ، جَعَلَ التُّرابَ في عَيْنِ الفِكْر؛
لَمْ يُفَكِّرْ أخيراً بالتَّوبَةِ وَصارَ الجُرْمُ، حُلْواً لِقَلْبِهِ إلى أنْ صارَ بلا دين؛
ذَهَبَتْ مِنْهُ تِلْكَ النَّدامَةُ وَنِداءُ يا رَبّ، الصَّدَأُ على المِرآةِ صارَ خَمْسَ طَبَقات؛

أَكَلَ الصَّدَأُ حَديدَها واستولى عَلَيهِ، جَوْهَرُها قَلَّ حَتَّى ذَهَبَ بِهِ الصَّدَأ؛
عِنْدَما تَكْتُبُ على وَرَقٍ أبْيَضَ، ما كَتَبْتَ يكونُ مَقروءاً للنَّظَر؛
وَحينَ تَكْتُبُ فَوْقَ خطٍّ مَكتوب، لا يَحْصَلُ الفَهْمُ وَتَكونُ القِراءَةُ غَلَطاً؛
فَذاكَ سوادٌ وَقَعَ على سَواد، كِلا الخَطَّيْنِ صارَ أعْمى وَلَمْ يُعْطِ المَعْنى؛
وإذا ما كَتَبْتَ فَوْقَهُ مَرَّةً ثالِثَةً، جِعَلْتَهُ أسْوَدَ مِثْلَ روحِ الكافِر؛
ما الحِيْلَةُ إذَنْ غَيْرَ مَلْجَأِ المُجِير، اليَأْسُ نُحاسٌ وإكسيرُهُ النَّظَر؛
فَضَعوا أمامَهُ كُلَّ يَأْسٍ، لِتَخْرُجوا خارِجَ الأَلَمِ الَّذي لا دواءَ لَه؛
حينَ قالَ لَهُ شُعَيْبُ هذِهِ النِّكاتِ، تَفَتَّحَتِ الرُّوحُ وَرْدَةً في قَلْبِهِ تِلْكَ اللَّحْظَة؛
روحُهُ سَمِعَتْ وَحْيَ السَّماءِ، قالَ إنْ كانَ أخَذَنا أيْنَ هِيَ العلامَة؛
قالَ يا ربّ هُوَ يَرُدُّ عَلَيَّ، هُوَ يَبْحَثُ لِذلِكَ الأَخْذِ عَنْ علامَة؛
قالَ أنا السَّتَّارُ لا أقولُ أسرارَهُ، خَلا سِرَّاً واحِداً لأجْلِ ابتِلائه؛
العلامَةُ على أنَّني كُنْتُ آخُذُهُ، أنَّ لَهُ طاعَةً مِنْ دُعاءٍ وَصَوم؛
ومِنْ صلاةٍ وَمِنْ زَكاةٍ وَغَيْرِ ذاك، لكِنْ بلا ذَرَّةٍ مِنْ ذَوْقِ الرُّوح واحِدَةٍ؛
يَعْمَلُ الطَّاعاتِ والأفْعالَ السَّنِيَّةَ، لكِنَّهُ لَمْ يَذُقْ مِنْها طَعْمَ ذَرَّةٍ واحِدَة؛
طاعَتُهُ لَطيفَةٌ والمَعْنى غَيْرُ لَطيف، عِنْدَهُ كثيرٌ مِنَ الجَوْزِ لكِنْ بِلا لُبّ؛
يَجِبُ الذَّوقُ لِتَحْمِلَ الطَّاعاتُ الثَّمَر، يَجِبُ اللُّبُّ لِتُعْطِيَ الحَبَّةُ الشَّجَر؛
الحَبَّةُ بلا لُبٍّ متى تَصيرُ غُصْناً، الصُّورَةُ بلا روحٍ لا تكونُ إلّا خيالاً؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ طَعْنِ ذلِكَ الرَّجُلِ الغريبِ في الشَّيْخ

ذاكَ الخَبيثُ كانَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الشَّيْخِ بالسُّوء، مُعْوَجُّ النَّظَرِ دائماً مُعْوَجُّ العَقْل؛
أنْ أنا رَأَيْتُهُ وَسَطَ مَجْلِس، إنَّهُ عارٍ مِنَ التَّقْوى وَمُفْلِس؛
إنْ كُنْتَ لا تُصَدِّقْ انْهَضْ مَعي اللَّيْلَةَ، لِتَرى فِسْقَ شَيْخِكَ عِياناً؛

أَخَذَهُ اللَّيْلَ إلى فُتْحَةٍ في السَّقْف، قالَ انْظُرْ إلى الفِسْقِ واللَّهْو؛
أُنْظُرْ إلى تَزويرِ النَّهارِ وَفِسْقِ اللَّيْل، نَهاراً كالمُصْطَفى وفي اللَّيْلِ أبو لَهَب؛
في النَّهارِ صارَ اسْمُهُ عَبْدَ الله، في اللَّيْلِ في يَدِهِ الجامُ نَعُوذُ بالله؛
رأى الكَأْسَ مَملوءَةً في كَفِّ ذلِكَ الشَّيْخ، قالَ شَيْخا أنْتَ أيضاً مُخادِع؛
أَلَمْ تَكُنْ قُلْتَ أنَّهُ في جامِ الشَّراب، يبولُ الشَّيطانُ مُسْرِعاً في الصَّباح؛
قالَ لَقَدْ مَلَؤوا كأسي هكذا، فلا يتَّسِعُ لِحَبَّةٍ مِنْ حَرْمَل؛
انظُرْ هُنا هلْ بِهِ مِنْ ذَرَّة، لَقَدْ سَمِعْتَ هذا الكلامَ الأعْوَجَ فَانْخَدَعْت؛
ليسَ هذا بالجامِ الطَّاهِرِ والخَمْرِ الطَّاهَر، أبْعِدْ بِهذا عَنِ الشَّيْخِ ناظرِ الغَيْب؛
جامُ الخَمْرِ وَجودُ الشَّيْخِ أيْ عَديمَ الفائدَة، إنَّهُ لا يَحوي ضِمْنَهُ بَوْلَ الشَّيْطان؛
إنَّهُ مَمْلوءٌ وَمُفْعَمٌ بِنورِ الحَقّ، لَقَدْ كَسَرَ جامَ البَدَنِ فَهُوَ نُورٌ مُطْلَق؛
نُورُ الشَّمْسِ لَوْ وَقَعَ على الحَدَث، هُوَ عَيْنُ النُّورِ لا يقبَلُ الخَبَث؛
قالَ الشَّيْخُ ذا ليْسَ جاماً وَلَيْسَ خَمْراً، هَيَّا انْزِلْ أيْ مُنْكِرُ وانظُرْ فيه؛
جاءَ وَنَظَرَ فكانَ عَسَلاً خاصَّاً، صارَ ذاكَ العَدُوُّ أعْمى وكَدِراً؛
قالَ الشَّيْخُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ لِمُريدِهِ، اِذْهَبْ وابْحَثْ عَنِ الخَمْرِ مِنْ أجلي أي جَليل؛
فأنا مَريضٌ وَصِرْتُ مُضْطَرّاً، أنا مِنَ الألَمِ مِنَ المَخْمَصَةِ بَلَغْتُ غايَةَ القُدْرَة؛
في الضَّرورَةِ كُلُّ مَيْتَةٍ طاهِرَة، على رَأْسِ المَنْكِرِ مِنَ اللَّعْنَةِ التُّراب؛
طافَ على الخَمَّاراتِ ذاكَ المُريدُ، يذوقُ الخَمْرَ مِنْ كُلِّ دَنٍّ لِأَجْلِ الشَّيْخ؛
في جَميعِ الخَمَّاراتِ لَمْ يَرَ خَمْراً، صارَ دَنُّ النَّبيذِ مَملوءاً بالعَسَل؛
قالَ أي عرابيدُ ما هذِهِ الحالُ ما هذا الشُّغْل، فأنا لا أرى عُقاراً في أيِّ دَنٍّ؛
أَقْبَلَ العرابيدُ جُمْلَةً إلى ذلِكَ الشَّيْخ، بِعُيونٍ باكِيَةٍ يلطِمونَ الرُّؤوس؛
أيُّها الشَّيْخُ الأجَلُّ جِئتَ للخراباتِ، جُمْلَةُ الخُمورِ مِنْ قُدومِكَ صارَتْ عَسَلاً؛

قُمْتَ بِتَبديلِ هذِهِ الخَمْرَةِ مِنَ الحَدّثْ، قُمْ بِتَبْديلِ أرواحِنا أيضاً مِنَ الخَبَثْ؛
لو كانَ العالَمُ مَملوءاً بالدَّمِ إلى الحَافَّةِ، متى شَرِبَ عَبْدُ اللهِ إلَّا الحلال؛

قَولُ عائشَةَ للمُصْطَفى عليهِ السَّلام أنتَ بلا مُصَلًّى تُصَلِّي في كُلِّ مكانٍ فكيفَ هذا

قالَتْ عائِشَةُ يَوماً للرَّسول، يا رَسُولَ اللهِ أنتَ عَلَناً وَخِفيَةً؛
أيَّ مكانٍ وَصَلْتَ صَلَّيْتَ، المَنْزِلُ يَمْشي بِهِ النَّجِسُ والدَّني؛
المُسْتَحاضَةُ والطِّفْلُ والمُلَوَّثُ النَّجِسُ، يَجْعَلونَ نَجِساً أيَّ مكانٍ يَصِلونَ إلَيْه؛
قالَ النَّبِيُّ اعلَمِي أنَّ الحَقَّ، جَعَلَ كُلَّ نَجِسٍ طاهِراً لِلعُظَماء؛
لُطْفُ الحَقِّ لِذلِكَ جَعَلَ طاهِراً، مَوْضِعَ سُجودي إلى الطَّبَقِ السَّابِع؛
حذارِ حَذارِ دَعْ حَسَدَ المُلوك، أو تَصِيرَ إبليساً في الدُّنيا؛
فإنَّهُ لَو أكَلَ السُّمَّ صارَ شَهْداً، وَإنَّكَ لَو أكَلْتَ الشَّهْدَ صارَ سُمَّاً؛
فَهُوَ صارَ مُبَدَّلاً وَصارَ عَمَلُهُ مُبَدَّلاً، صارَ لُطْفاً وَصارَتْ نارُهُ نوراً؛
قُوَّةُ الحَقِّ صارَتْ لِلأبابيل، وإلَّا كَيْفَ يَقْتُلُ الطَّائِرُ الفِيْل؛
كَسَرَ الجَيْشَ العَديدَ طائِرٌ ضَئيلٌ، كَيْ تَعْلَمَ أنَّ الصَّلابَةَ مِنَ الحَقّ؛
إنْ كانَ وَصَلَكَ وَسواسٌ مِنْ هذا القَبيل، اِذْهَبْ فاقْرَأْ سُوْرَةَ أصْحابِ الفيل؛
وإنْ كانَ لَكَ مَعَهُ مِراءٌ وَخِصامٌ، اعْتَبِرني كافِراً إنْ نَجَوْتَ مِنْهُم بِرَأْسِك؛

سَحْبُ فَأْرٍ لِزِمامِ جَمَلٍ وَتَعَجُّبُ الفَأْرِ مِنْ نَفْسِه

أخَذَ فَأْرٌ بِكَفِّهِ زِمامَ جَمَلٍ، اخْتَطَفَهُ وراحَ يَجْري مِنَ المِراء؛
مِنَ السُّرْعَةِ الَّتي جرى بِها مَعَهُ الجَمَلُ، الفَأْرُ صارَ مَغْروراً أنْ أنا بَطَل؛
وَقَعَ لَمَعانُ تَفكيرِهِ على الجَمَل، قالَ سوفَ أُبدي لَكَ كُنْ سَعيداً؛

حَتَّى أتى على شَفَةِ نَهْرٍ كبير، يكونُ فيهِ عاجِزاً الفِيْلُ الكبير؛
وَقفَ الفَأْرُ هُناكَ يابِساً، قالَ الجَمَلُ أيُّها الرَّفيقُ في الجَبَلِ والصَّحْراء؛
ما هذا التَّوَقُّفُ لِمَ أنتَ حَيران، ضَعِ القَدَمَ في النَّهْرِ بِرُجولَةٍ وَتَقَدَّمْ؛
أنتَ الدَّليلُ وأنتَ الحادي أمامي، لا تَقِفْ وَسَطَ الطَّريقِ ولا تَسْتَسْلِمِ؛
قالَ إنَّ هذا الماءَ قَوِيٌّ وَعَميق، وأنا خائفٌ مِنَ الغَرَقِ يا رَفيق؛
قالَ الجَمَلُ دَعْني أرَ حَدَّ الماء، وَوَضَعَ القَدَمَ فيهِ ذلِكَ الجَمَلُ مُسْرِعاً؛
قالَ: الماءُ لِلرُّكْبَةِ أيُّها الفَأْرُ الأعْمى، لِماذا صِرْتَ حَيرانَ وَغِبْتَ عَنِ الوَعْيِ؛
قالَ هُوَ لَكَ نَمْلَةٌ ولي تِنِّين، بينَ رُكْبَتِكَ وَرُكْبَتي هُناكَ فُروق؛
إذا كانَ إلى رُكْبَتِكَ أيْ كثيرَ الفَضْلِ، يكونُ أعلى مِنْ رَأسي مِئةَ مَرَّة؛
قالَ فلا تَعْمَلِ الوَقاحَةَ مَرَّةً أُخْرى، كَي لا يَحْتَرِقَ جِسْمُكَ وروحُكَ مِنَ الشَّرَر؛
قُمْ بالمِراءِ مَعَ أمْثالِكَ مِنَ الفِئران، الفَأْرُ ليسَ لَهُ مَعَ الجَمَلِ حديث؛
قالَ لَقَدْ تُبْتُ، مِنْ أجْلِ الله، أُعْبُرْ بي مِنْ هذا الماءِ المُهْلِك؛
فَجاءَتِ الرَّحْمَةُ الجَمَلَ وقالَ، هَيَّا اِقْفِزْ واجْلِسْ على سِنامي؛
هذا العُبورُ صارَ مُسَلَّماً لي، أعْبُرُ قَدْرَ مِئاتِ الآلافِ مِنْ أمثالَك؛
ما دُمْتَ لَسْتَ رسولاً اذْهَبْ في الطَّريق، لِتَصِلَ مِنَ الجُبِّ يوماً إلى الجاه؛
كُنْ مِنَ الرَّعِيَّةِ ما لَمْ تَكُنْ سُلْطاناً، لا تَكُنْ قائدَ النَّفْسِ ما لَمْ تَكُنْ رُبَّاناً؛
وَأَنْتَ غَيْرُ كامِلٍ لا تُمسِكِ الدُّكَّان، أمْسِكِ اليَدَ حَسَناً حتَّى تصيرَ خَميراً؛
أعْطِ الأُذُنَ *أنصتوا* كُنْ صامِتاً، ما دُمْتَ لَسْتَ لِساناً للحَقِّ كُنْ أُذُناً؛
وإنْ قُلْتَ فَقُلْ على شَكْلِ استِفْسار، مَعَ المُلوكِ كُنْ مِثْلَ المِسْكين؛
ابتِداءُ الكِبْرِ والحِقْدِ مِنَ الشَّهْوَة، رُسوخُ شَهْوَتِكَ مِنَ العادَة؛
حينَ غَدا طَبْعُ السُّوءِ مُحْكَماً مِنَ العادَةِ، غَضِبْتَ على الشَّخْصِ الَّذي مانَعَك؛
حِيْنَ صِرْتَ آكِلاً للطِّينِ، كُلُّ مَنْ قامَ بِمَنْعِكَ عَنِ الطِّيْنِ صارَ لَكَ عَدُوّاً؛

عابِدو الصَّنَمِ في عِبادَةِ الصَّنَم، قاطِعو طَريقِ الصَّنَمِ لَهُم أعْداء؛
حِيْنَ إبليسُ عَوَّدَ النَّفْسَ على الرِّئاسَة، مِنْ طَبْعِ الحِمارِ فيهِ رأى آدَمَ حَقيراً؛
أنْ أيكونُ رئيسٌ آخَرُ أفْضَلَ مِنِّي، حتَّى يكونَ مَسْجودَ شَخْصٍ مِثْلي؛
الرِّئاسَةُ سُمٌّ إلَّا لِتِلْكَ الرُّوح، الَّتي كانَتْ مَوْضِعَ التِّرياقِ مِنَ الاِبتِداء؛
وإنْ كانَ الجَبَلُ مليئاً بالحَيَّاتِ لا تَخَفْ، فإنَّ في داخِلِهِ مَواضِعَ التِّرياق؛
الرِّئاسَةُ إذا صارَتْ لِدِماغِكَ النَّديم، كُلُّ غالِبٍ لَكَ هُوَ لَكَ خَصْمٌ قَديم؛
وإذا قالَ شَخْصٌ خِلافَ طَبْعِكَ، نَهَضَتْ فيكَ لَهُ الأحْقادُ الكَثيرَة؛
أنْ هُوَ يَقومُ باقتِلاعي مِنْ طَبْعي، يَجْعَلُ مِنْ نَفْسِهِ رئيساً عَلَيَّ وأنا العَظيم؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ طَبْعُ السُّوءِ عَصِيَّاً فيه، متى كانَ اشْتَعَلَ ذاكَ الخِلافُ ناراً فيه؛
يقومُ مَعَ المُخالِفِ بالمُداراة، يَجْعَلُ لَهُ مكاناً في قَلْبِه؛
ذاكَ لأنَّ سَجِيَّةَ السُّوءِ صارَتْ مُعْتَمَدَةً، نَمْلَةُ الشَّهْوَةِ صارَتْ مِنَ العادَةِ حَيَّةً؛
حَيَّةَ الشَّهْوَةِ اقْتِلْ في الاِبْتِداء، أو تَصيرَ حَيَّتُكَ ثُعْباناً كبيراً؛
لكِنْ كُلُّ شَخْصٍ رأى حَيَّتَهُ نَمْلَةً، أنتَ فاسْتَفْسِرْ عَنْ نَفْسِكَ مِنْ صاحِبِ قَلْب؛
لا يعْرِفُ نحاسٌ النُّحاسَ ما لَمْ يَصِرْ ذَهَباً، أو قَلْبُ الإفلاسَ ما لَمْ يصِرْ مَلِكاً؛
فاطْلُبْ مِثْلَ النُّحاسِ خِدْمَةَ إكسيرِك، وَتَحَمَّلِ الجَوْرَ أيْ قَلْبُ مِنْ مَحْبوبِك؛
وَمَنِ المَحبوبُ إنَّهُمْ أهْلُ القُلوب، كاللَّيْلِ والنَّهارِ طائفونَ بالدُّنيا؛
فلا تَقُلِ العَيْبِ بِعَبْدِ الله ، لا تَتَّهِمْ بالسَّرِقَةِ الشَّاه؛

كراماتُ ذلِكَ الدَّرويشِ المُتَّهَمْ في السَّفينَة

كانَ دَرويشٌ مُسافِراً في سَفينَةٍ، اتَّخَذَ مِنْ مَتاعِ شَخْصٍ مُتَّكَأً؛
كانَ نائماً وفُقِدَ هَميانٌ مِنَ الذَّهَب، وَقَدْ فَتَّشوا الجَميعَ وَظَهَرَ هُوَ لَهُم؛
قالوا فَلْنُفَتِّشْ أيضاً هذا الفَقيرَ النَّائمَ، فأيقَظَهُ مِنَ الغَمِّ صاحِبِ النُّقود؛

أنْ فُقِدَ كيسُ نُقودٍ في هذِهِ السَفِينَةِ، وَفَتَّشنا الجَميعَ ولا بُدَّ مِنْ تَفْتيشِك؛
فاخْلَعْ هذا الثَّوبَ الخَلَقَ وَتَعَرَّ مِنْهُ، حتَّى تَصيرَ أوهامُ الخَلْقِ فارِغَةً مِنْك؛
قالَ يا ربِّ إنَّ الأخِسَّاءَ، اتَّهَموا غُلامَكَ فَأنْفِذْ أمْرَك؛
لَمَّا تَأَلَّمَ قَلْبُ الدَّرويشِ مِنْ ذاك، في الحالِ أخْرَجَتِ الرُّؤوسَ مِنْ كُلِّ صَوبٍ؛
مِئاتُ آلافِ الأسْماكِ مِنْ بَحْرٍ عَميق، في فَمِ كُلِّ واحِدَةٍ مِنْها دُرَّةٌ عَجيبَة؛
مِئاتُ آلافِ الأسماكِ مِنْ بَحْرٍ مائرٍ، في فَمِ كُلِّ واحِدَةٍ دُرَّةٌ وأيَّةُ دُرَّة؛
وكُلُّ دُرَّةٍ واحِدَةٍ خِراجُ مَمْلَكَة، فَهِيَ مِنَ الإلٰهِ وَلَيسَ فيها شَرِكَة؛
ألقى بَعْضَ الدُّرِّ في السَّفينَةِ وعلا، اتَّخَذَ كُرْسِيَّاً في الهَواءِ وَجَلَسَ عَلَيْه؛
مَتَرَبِّعاً حَسَناً كالمَلِكِ مِنْ فَوقِ تَخْتِه، هُوَ في أعلى الأوجِ والسَّفينَةُ مِنْ أمامِه؛
قالَ اذْهَبوا لكُمُ السَّفينَةُ ولي الحَقّ، لِئَلَّا يكونَ مَعَكُمْ لِصٌّ شَحَّاذ؛
لِمَنْ تكونُ الخَسارَةُ مِنْ هذا الفِراق، أنا سَعيدٌ مَعَ الحَقِّ مُنْفَصِلٌ عَنِ الخَلْق؛
لا يَضَعُ عَلَيَّ تُهْمَةَ السَّرِقَة، ولا يُسْلِمُ زِمامي إلى غَمَّاز؛
فَصَرَخَ أهْلُ السَّفينَةِ أنْ أيْ هُمام، مِمَّ أُعطيْتَ مِثْلَ هذا المُقامِ العالي؛
قالَ مِنْ وَضْعِ التُّهْمَةِ على الفقير، ومِنْ أذى الخَلْقِ لِأجْلِ شَيْءٍ حَقير؛
حاشَ للهِ بلْ مِنْ تَعْظيمِ المُلوكِ، أنَّني لَمْ أكُنْ في الفُقَراءِ سَيِّئَ الظَّنّ؛
في الفُقَراءِ اللِّطافِ عِذابِ النَّفَس، الَّذينَ جاءَتْ لِأجْلِ تَعْظيمِهِمْ عَبَسَ؛
ذلِكَ الفَقْرُ الَّذي لا يكونُ لأجْلِ الاِعْوِجاج، بَلْ لِئَلَّا يكونَ شَيءٌ سِوى الحَقّ؛
كَيْفَ أكونُ مُتَّهِماً أولئكَ والحَقُّ، جَعَلَهُمْ الأُمَناءَ على مَخْزَنِ السَّماءِ السَّابِعَة؛
المُتَّهَمُ النَّفْسُ لا العَقْلُ الشَّريف، المُتَّهَمُ الحِسُّ لا النُّورُ اللَّطيف؛
النَّفْسُ سُفسطائيَّةٌ فاقْمَعْها، فهيَ تَنْتَفِعُ بالقَتْلِ لا بِقَولِ الحُجَّةِ لَها؛
رأتِ المُعْجِزَةَ فأضاءَتْ ذلِكَ الزَّمان، وبَعْدَ ذلِكَ قالَتْ لَقَدْ كانَ ذاكَ خيالاً؛
ولو كانَتْ تِلْكَ الرُّؤيَةُ العَجَبُ حَقيقَةً، كيفَ لا تُقيمُ في العَينِ النَّهارَ واللَّيْلَ؛

تِلْكَ كانَتْ مُقيمَةً بِعَيْنِ الطَّاهِرين، لَيْسَتْ لِعَيْنِ الحَيوانِ بالقَرين؛
عَجَباً تِلْكَ بها مِنْ هذا الحِسِّ عارٌ وَعَيب، متى كانَ الطَّاووسُ في جُبٍّ ضَيِّقٍ؛
وكَيْ لا تَقولَ عَنِّي أنّي كَثيرُ الكلام، قُلْتُ واحِداً مِنْ مِئَةٍ وكانَ ذاكَ كالشَّعْرَة؛

تَشْنيعُ الصُّوفِيّينَ على ذلِكَ الصُّوفيّ
الَّذي كانَ يَتَكَلَّمُ كثيراً أمامَ شَيْخِه

صُوفِيُّونَ شَنَّعوا على صُوفِيّ، جاؤوا إلى أمامِ شَيْخِ الخانِقاه؛
قالوا للشَّيخِ خُذْ لأرواحِنا، مِنْ هذا الصُّوفِيِّ الإنْصافَ فَأنْتَ مُقَدَّمٌ؛
قالَ أيْ صُوفِيُّون ما تَشتكونَ أخيراً، قالوا هذا الصُّوفِيُّ لَهُ ثلاثَةُ طِباعٍ ثَقيلَة؛
في الحَديثِ كثيرُ الكلامِ كَجَرَسٍ، في الأكْلِ يَأكُلُ أكْثَرَ مِنْ عِشْرينَ شَخْصاً؛
وإذا نامَ فَهُوَ كأصْحابِ الكَهْف، جاءَ الصُّوفِيُّونَ زحْفاً للشَّيْخِ هكذا؛
الشَيْخُ تَوَجَّهَ إلى ذلِكَ الفَقيرِ وقالَ، مِنْ أيَّةِ حالَةٍ كُنْتَ خُذْ بالوَسَط؛
ففي الخَبَرِ خَيْرُ الأُمورِ أوساطُها، النَّفْعُ يأتي مِنْ اعْتِدالِ أخْلاطِها؛
إذا خَلْطٌ صارَ زائداً مِنَ العَرَض، في أبْدانِ النَّاسِ يَظْهَرُ المَرَض؛
على قَرينِ نَفْسِكَ لا تَكُنْ زائِدَ صِفَة، فذاكَ يجيءُ بالفِراقِ يقيناً في العاقِبَة؛
نُطْقُ موسى كانَ على القياسِ لكِنَّهُ، كانَ زائداً على قَولِ الحبيبِ الجميل؛
تِلْكَ الزِّيادَةُ مَعَ الخِضْرِ هِيَ شِقاق، قالَ اذهَبْ أنتَ مُكْثِرٌ هذا فِراق؛
مُوْسَيَا تكَلَّمْتَ كثيراً فابتَعِدْ، أو كُنْ مَعي أبْكَمَ وأعْمى؛
وإنْ أنتَ لَمْ تَذْهَبْ وَوَقَعْتَ في العِناد، رُحْتَ مَقْطوعَ الصِّلَةِ بالمَعْنى؛
إذا أحْدَثْتَ فَجْأَةً في الصَّلاةِ، قيلَ لَكَ اذْهَبْ إلى الطَّهارَةِ مِنْ جَديد؛
وإنْ لَمْ تَذْهَبْ صِرْتَ يابِسَ الحراك، صلاتُكَ نَفْسُها ذَهَبَتْ أي غَوِيٌّ فاجْلِسْ؛
اِذْهَبْ إلى أولئكَ الَّذينَ هُمْ قُرَناؤك، وهُمْ عاشِقونَ وظامِئونَ لِحَديثِك؛

الحارِسُ للنّائمينَ كانَ مُفيداً، الأسماكُ لا حاجَةَ بِها للحارِس؛
لابِسو الثِّيابِ نَظَرُهُمْ على الغَسّال، التَّجَلّي للرُّوحِ العارِيَةِ حِلْيَةٌ لَها؛
فإمّا أنْ تَتَنَحّى عَنِ العُراةِ كامِلاً، أو أنْ تكونَ مِثْلَهُمْ فارِغاً مِنْ ثيابِ البَدَن؛
وإنْ كُنْتَ لا تَقْدِرُ أنْ تكونَ عُرياناً كُلّيّاً ، أقِلَّ الثِّيابَ لِتَذْهَبَ وَسَطَ الطَّريقِ؛

اعتِذارُ الفقيرِ لِلشَّيْخ

ثُمَّ عَرَضَ الفَقيرُ الأحوالَ لِذلِكَ الشَّيْخ، جَعَلَ العُذْرَ شَفيعاً لِتِلْكَ الغرامَة؛
لِسُؤالِ الشَّيْخِ أعطى الجَواب، كَجواباتِ الخِضْرِ في الحُسْنِ والصَّواب؛
تِلْكَ الجواباتِ على سُؤالاتِ الكليم، الَّتي أظْهَرَ الخِضْرُ مِنَ الرَّبِّ العَليم؛
فصارَتِ المُشْكِلاتُ لهُ حَلّاً وَزادَهُ، لِكُلِّ مُشْكِلَةٍ مِنْ مشاكِلِهِ مِفتاحاً عطاءً؛
الدَّرويشُ أيضاً لَهُ ميراثٌ مِنَ الخِضْرِ، في جوابِ الشَّيْخِ استَخْدَمَ كُلَّ هِمَّتِه؛
قالَ الطَّريقُ الأوسَطُ رَغْمَ أنَّهُ حِكْمَةٌ، إلّا أنَّ الأوسَطَ كَذَلِكَ نِسْبِيٌّ؛
ماءُ النَّهْرِ كانَ قليلاً نِسْبَةً إلى الجَمَلِ، لكِنَّهُ نِسْبَةً إلى الفَأْرِ كانَ مِثْلَ اليَمّ؛
كُلُّ مَنْ كانَتْ وَظيفَتُهُ أرْبَعَةَ أرْغِفَةٍ، أكْلُ رَغيفَيْنِ أو ثلاثَةٍ لَهُ وَسَط؛
وإنْ أكَلَ الأرْبَعَةَ كُلَّها فَهُوَ عَنِ الوَسَطِ بَعيدٌ، أو هُوَ أسيرٌ للحِرْصِ كَالبَطّ؛
كُلُّ مَنْ كانَ يَشْتَهي أَكْلَ عَشْرَةِ أرْغِفَةٍ، إذا أكَلَ سِتَّةً اعْلَمْ كانَ أوسَطاً؛
وحينَ يكونُ لي اشْتِهاءُ خَمسينَ رَغيفاً، ولكَ اشتِهاءُ سِتَّةٍ، هَلْ نَحَنُ سَواءٌ، لا؛
أنتَ مِنْ عَشْرِ رَكَعاتِ صَلاةٍ مَلول، أنا مِنْ خَمسِمائةٍ لا أدْخُلُ في التُّحول؛
ذاكَ واحِدٌ سارَ حافِياً حتّى الكَعْبَة، وواحِدٌ سارَ إلى المَسْجِدِ فَغابَ عَنِ النَّفْس؛
ذاكَ واحِدٌ بِقِمارِ الطُّهْرِ دَفَعَ الرُّوحَ، وذاكَ واحِدٌ دَفَعَ الرُّوحَ في رَغيفٍ واحِدٍ؛
هذا الوَسَطُ يَجْري على ما كانَ لَهُ نِهايَةٌ، وعلى ذاكَ الَّذي كانَ لَهُ أوَّلٌ وآخِرٌ؛
الأوَّلُ والآخِرُ واجِبانَ حَتّى يكونَ، واقِعاً في التَّصَوُّرِ الأوسَطُ أوِ الوَسَط؛

ما لا نِهايَةَ لَهُ لا يَمْلِكُ طَرَفاً، فمتى كانَ الوَسَطُ عَلَيْهِ مُنْصَرِفاً؛
لا شَخْصَ أعْطى لَهُ علامَةَ أوَّلٍ وآخِرٍ، *قالَ لو كانَ لَهُ البَحْرُ مِداداً*؛
لو سَبْعَةُ الأبْحُرِ كانَتْ جَميعُها مَدَداً، ما كانَ هُناكَ أيُّ أمَلٍ بالوصولِ للنِّهايَة؛
ولو كانَ كُلُّ بُستانٍ وغابَةٍ أقلاماً، ما كانَ هُناكَ نُقْصانٌ مِنْ هذا الحديثِ أبَداً؛
ولكانَ كُلُّ حِبْرٍ وكُلُّ قَلَمٍ فانيا، ولكانَ هذا الحَديثُ الَّذي لا يُعَدُّ باقِيا؛
حالَتي حيناً تُشابِهُ النَّومَ، وضالُّ الطَّريقِ ظَنَّ ذاكَ نَوماً؛
عيني نائِمَةٌ اعْلَمْ وقلبي واعٍ، شَكْلَ العَطالَةِ مِنّي اعْلَمْهُ في العَمَل؛
قالَ النَّبِيُّ إنَّ عَيْني تنام، ولا *ينامُ قلبي عَنْ رَبِّ الأنام*؛
عَيْنُكَ في وَعْيٍ وَقَلْبُكَ في النَّوم، عينيَ نائِمَةٌ وَقَلبي في فَتْحِ باب؛
وَلِقَلْبي خَمْسَةٌ مِنَ الحواسِّ أُخرى، كِلا العالَمَيْنِ مَنْظَرٌ لِحِسِّ قَلْبي؛
أنتَ لا تَنْظُرْ إلَيّ مِنْ ضَعْفِ النَّفْسِ، لَكَ لَيْلٌ وَعَينُ هذا اللَّيْلِ لي ضُحىً؛
لَكَ سِجْنٌ وذلِكَ السِّجْنُ لي كالرَّوض، الفَراغُ عَيْنُهُ صارَ لي عَيْنَ الشُّغْل؛
قَدَمُكَ في الطِّيْنِ والطِّيْنُ لي وَرْدٌ، هُوَ لَكَ مَأتَمٌ ولي حَفْلٌ وَطَبْل؛
أنا مَعَكَ في الأرْضِ ساكِنٌ في المَحَلّ، وأنا في الفَلَكِ السَّابِعِ جارٍ كَزُحَل؛
لَسْتُ أنا جَليسَكَ ذاكَ هُوَ ظِلِّي، ولي دَرَجَةٌ تَعلو على الأفْكار؛
ذلِكَ لأنِّي عَبَرْتُ مِنَ الأفكارِ، وصِرْتُ سائراً خارِجَ الأفكار؛
حاكِمٌ لِفِكْري ولَسْتُ مَحكوماً، لأنَّ البَنَّاءَ حاكِمٌ على البِناء؛
جُمْلَةُ الخَلْقِ مُسَخَّرونَ للتَّفكير، مِنْ ذاكَ هُمْ مُتْعَبو القُلوبِ وَحِرْفَتُهُمْ الغَمّ؛
قاصِداً أُعْطي النَّفْسَ للفِكْر، وحينَ أُريدُ أفِرُّ مِنْ بَيْنِهِم؛
الفِكْرُ ذُبابَةٌ وأنا مِثْلَ طائِرِ الأوْجِ؛ مِنْ أينَ للذُّبابَةِ أنْ تَصِلَ إلَيّ؛
قاصِداً أهْبِطُ مِنَ الأوْجِ العالي، حتَّى يَجْتَمِعَ حَولي مَكسورو الدَّرَجات؛
حينَ أَلَمَّ بي المَلَلُ مِنْ سُفْلِيِّ الصِّفات، حَلَّقْتُ طائراً مِثْلَ طُيورِ الصَّافَّات؛

جناحي أيضاً نابتٌ مِنْ ذاتي، لَمْ أُلْصِقْ جَناحَيَّ عَلَيَّ بالصَّمْغ؛
عِنْدَ مَنْ لَمْ يَذُقْ هذهِ دَعْوى، عِنْدَ سُكَّانِ الأُفُقِ هذا مَعْنى؛
هذا غُرورٌ وَدَعْوى عِنْدَ الغُراب، الوِعاءُ المَملوءُ والفارِغُ واحِدٌ عِنْدَ الذُّباب؛
عِنْدَما تَسْتَحيلُ فيكَ اللُّقْمَةُ جَوْهَراً، ما اسْتَطَعْتَ كُلْ ولا تَقِفْ عَنِ الأكْل؛
الشَّيْخُ يَوماً مِنْ أجْلِ دَفْعِ سوءِ الظَّنّ، تَقَيَّأَ في الطَّسْتِ فامْتَلأَ الطَّسْتُ بالدُّرّ؛
جَعَلَ الجَوْهَرَ المَعْقولَ مَحسوساً، الشَّيْخُ البَصيرُ مِنْ أجْلِ رَجُلٍ قَليلِ العَقْل؛
إذا في المَعِدَةِ صارَ طاهِرُكَ نَجِساً، اِجْعَلِ القِفْلَ على الحَلْقِ وأخْفِ المِفتاح؛
كُلُّ مَنْ صارَتْ اللُّقْمَةُ فيهِ نورَ جلال ، كُلَّ ما طَلَبَ لِيَأكُلَ فَهُوَ لَهُ حلال؛

بيانُ دَعوى وعَيْنُ تِلْكَ الدَّعوى شاهِدٌ على صِدْقِها

إذا كُنْتَ أنتَ عالِماً بِروحي، فقَولُ المَعنى العَميقِ مِنِّي لَيْسَ دَعْوى؛
إذا قَلْتُ مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ أنا قُرْبَكَ، ها لا تَخَفْ مِنَ اللَّيْلِ فَأنا قَريبُك؛
كلتا هاتينِ الدَّعْوَيينِ كانَتْ عِنْدَكَ مَعْنى، ما دُمْتَ تَعْرِفُ صَوتَ قرابَتِك؛
القُرْبُ والقَرابَةُ دَعْوَيانِ لكِنْ، لِكُلٍّ مِنْهُما مَعْنىً أمامَ الفَهْمِ الحَسَن؛
قُرْبُ صَوتِهِ يَقومُ بالشَّهادَةِ، أنْ هذا النَّفَسَ يَخْرُجُ مِنْ صَديقٍ قَريبٍ؛
لَذَّةُ صَوْتِ قَريبِهِ أيضاً، كانَتْ شاهِدَ صِدْقِ ذاكَ القَريبِ العَزيز؛
فاقِدُ الإلْهامِ الأحْمَقُ هُوَ الَّذي مِنَ الجَهْل، لا يُفَرِّقُ صَوتَ الغريبِ عَنِ الأهْل؛
عِنْدَهُ كانَ مَقالُهُ دعوى، جَهْلُهُ صارَ أساسَ إنكارِهِ؛
عِنْدَ الذَكِيِّ الَّذي في داخِلِهِ أنوار، هذا الصَّوتُ بِعَيْنِهِ كانَ المَعْنى الصَّحيح؛
أو كما لَو قالَ عَرَبِيٌّ اللِّسانِ، بالعَرَبِيَّةِ أنا عالِمٌ بِلِسانِ العَرَب؛
تَكَلُّمُهُ بالعَرَبِيَّةِ عَيْنُ المَعنى، رَغْمَ أنَّ تَكَلُّمَهُ بالعَرَبِيَّةِ كانَ دَعْوى؛
أو كما لَو كَتَبَ كاتِبٌ على الوَرَق، أنا كاتِبٌ وَقارِئُ خَطٍّ وأنا أبْجَدِيّ؛

هذا المَكتوبُ رَغْمَ أنَّهُ كانَ مِنْهُ دَعْوى، المَكْتوبُ أيضاً كانَ شاهِدَ المَعْنى؛
لو قالَ صُوفِيٌّ أنتَ رأيْتَ بالأمْسِ، وسَطَ النَّومِ حامِلَ سَجَّادَةٍ على الكَتِف؛
أنا كُنْتُ ذاكَ وذاكَ الَّذي قُلْتُ في النَّوم، كانَ لأجلِكَ في النَّومِ في شَرْحِ نَظَر؛
أعْطِهِ الأُذُنَ واجْعَلْهُ حَلْقَةً في الأُذُن، واجْعَلْ ذاكَ الكلامَ لِعَقْلِكَ مُرْشِداً؛
عِنْدَما تَذْكُرُ ذاكَ المَنامَ وذاكَ الحَديث، يكونُ ذاكَ لَكَ مُعْجِزاً وَذَهَباً قَديماً؛
رَغْمَ أنَّ هذا الوَلِيَّ أظْهَرَ دَعْوى، رُوحُ صاحِبِ الواقِعَةِ قالَ بلى؛
فبِما أنَّ الحِكْمَةَ كانَتْ ضالَّةَ المُؤمِن، مِنْ أيِّ شَخْصٍ سَمِعَ ذاكَ كانَ بِهِ مُوقِناً؛
عِنْدَما وَجَدَ ذاكَ أمامَهُ فَقَط، كيفَ كانَ الشَّكُّ كَيْفَ فَعَلَ الغَلَط؛
عِنْدَما تَقولُ لِظامِئٍ أسْرِعْ، في القَدَحِ ماءٌ خُذِ الماءَ مُسْرِعاً؛
لا يقولُ الظَّامِئُ هذِهِ دَعوى اذْهَبْ، امْضِ عَنِّي أيُّها المُدَّعي وكُنْ مَهْجوراً؛
أو أظْهِرِ الشَّاهِدَ والحُجَّةَ أنَّ هذا، مِنْ جِنْسِ الماءِ ومِنْ ذاكَ الماءِ المَعين؛
أو بِطِفْلٍ رَضيعٍ نادَتْهُ أُمٌّ، إنَّني أُمُّكَ هَيَّا تَعالَ أيْ وَلَد؛
فقالَ الطِّفْلُ أمَّاهُ هاتِ الحُجَّةَ، حتّى يكونَ لي قَرارٌ مَعَ لَبَنِكِ؛
لِكُلِّ أُمَّةٍ في القَلْبِ مَذاقٌ مِنَ الحَقّ، وَجْهُ وَصَوتُ النَّبِيِّ لها مُعْجِزَة؛
حينَ النَّبِيُّ مِنَ الخارِجِ يُنادي، رُوحُ الأُمَّةِ في الدَّاخِلِ تَسْجُد؛
ذلِكَ لأنَّ جِنْسَ نِدائِهِ في العالَمِ، أُذُنُ الرُّوحِ لَمْ تسْمَعْهُ مِنْ شَخْصٍ؛
ذاكَ الغَريبُ مِنْ لَذَّةِ صَوْتِ الغَريب، مِنْ لِسانِ الحَقِّ سَمِعَ *إنِّي قَريب*؛

سُجودُ يَحيى عَلَيْهِ السَّلامُ في بَطْنِ الأُمِّ للمَسيحِ عَلَيْهِ السَّلام

أُمُّ يَحيى لِمَرْيَمَ في السِّرّ، قَبْلَ وَضْعِ حَمْلِها قالَتْ؛
إنِّي رأيْتُ يقيناً فيكِ مَلِكاً، مِنْ أولي العَزْمِ ورَسولاً عليماً؛
حينَ قابَلْتُكِ وَجْهاً لِوَجْهٍ، قامَ حَملي بالسُّجودِ في اللَّحْظَة؛

هذا الجَنينُ سَجَدَ لِذاكَ الجَنينِ، حتَّى أصابني مِنْ سُجودِهِ الأَلَمُ في بَدَني؛
قالَتْ مَرْيَمُ وأنا في داخِلي أيضاً، رأيْتُ سَجْدَةً مِنْ هذا الطِّفْلِ في البَطْن؛

إيرادُ إشكالٍ على هذِهِ القِصَّة

البُلَهاءُ قالوا هذِهِ خُرافَةٌ، أُشْطُبِ الخَطَّ لأنَّ هذا كَذِبٌ وَخَطَأٌ؛
لأنَّ مَرْيَمَ وَقْتَ وَضْعِ حَمْلِها، كانَتْ بَعيدةً عَنِ الغُرَباءِ وَعَنْ أهْلِها؛
ولَمْ تَعُدْ ذاتُ القِصَّةِ الجَميلَةِ تِلْكَ، مِنْ خارِجِ المَدينَةِ إلّا بَعْدَ وَضْعِ حَمْلِها؛
حينَ وَضَعَتْهُ أخَذَتْهُ مِنْ جانِبِها، جَعَلَتْهُ في حِضْنِها وَحَمَلَتْهُ إلى أهْلِها؛
فأيْنَ رَأَتْها أُمُّ يحيى لِكَي، تَقولَ لها هذا الحَديثَ في ما جَرى؛

جوابُ الإشكال

اِعْلَمْ هذا إنَّ أهْلَ الخاطِر، غائبُ الآفاقِ عِنْدَهُمْ حاضِر؛
أُمُّ يَحيى الَّتي كانَتْ غائبَةً عَنِ البَصَر، جاءَتْ حاضِرَةً أمامَ مَرْيَمَ في النَّظَر؛
ترى الصَّدِيقَةَ والعَينُ مُغْمَضَةٌ، الجِلْدُ يصيرُ كالشِّباكِ المُشَبَّكَة؛
وَلَو لَمْ تَكُنْ رَأَتْها ظَاهِراً ولا باطِناً، خُذِ المَعْنى مِنَ الحِكايَةِ أي ضئيل؛
لَيْسَ كمِثْلِ مَنْ كانَ سَمِعَ قِصَصاً، فالتَصَقَ بالصُّورَةِ كالشِّيْنِ في النَّقْش؛
مِنْ أينَ لِكليلَةَ قَوْلُ ذاكَ بلا لِسان، كيفَ شَرِبَ الحَديثَ مِنْ دِمْنَةَ بلا بيان؛
وإنْ كانَ كُلُّ واحِدٍ عارِفاً بِلَحْنِ الآخَرِ، كيفَ فَهِمَ البَشَرُ ذاكَ مِنْ دُونِ نُطْقٍ؛
وكيفَ دِمْنَةُ ذاكَ بَيْنَ الأسَدِ والثَّور، صارَ رَسولاً وقامَ بِخِداعِ كلا الاِثْنَين؛
كيفَ صارَ وَزيراً للأسَدِ الثَّورُ النَّبيل، كيفَ مِنْ انعِكاسِ القَمَرِ ارْتَعَد الفيل؛
كَليلَةُ وَدِمْنَةُ هذا كُلُّهُ افتِراء، متى كانَ للَّقْلَقِ مَعَ الغُرابِ مِراء؛
أي أخي القِصَّةُ على مِثالِ المِكيال، المَعْنى فيها على مِثالِ الحَبّ؛

حُبوبَ المَعنى أَخَذَ رَجُلُ العَقْل، ولَمْ يَنْظُرْ إلى المِكيالِ الَّذي هُوَ النَّقْل؛
فاستَمِعْ إلى قَصَّةِ البُلْبُلِ والوَرْدِ، رَغْمَ أنَّ المَقالَ هُناكَ ليسَ ظاهِراً عِياناً؛

قَوْلُ الكلامِ بِلِسانِ الحال وإفْهامُ ذلِك

قِصَّةَ الشَّمْعِ والفَراشَةِ أيضاً، اِسْمَعْ واخْتَرِ المَعنى أيْ عَزيز؛
رَغْمَ أنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَولٌ، هُناكَ سِرّاً قَولٌ، ألا فَطِرْ عالياً لا تَطِرْ للأسفَلِ كالبوم؛
قالَ قائلٌ في الشَّطْرَنْجِ هذِهِ خانَةُ الرَّخ، قِيلَ مِنْ أيْنَ صارَتْ لَهُ هذِهِ الخانَة؛
أشترى هذِهِ الخانَةَ أمْ نالَها بالميراث، سَعِدَ شَخْصٌ أسرَعَ إلى جِهَةِ المَعْنى؛
قالَ نَحْويٌّ *زَيْدُ عَمْراً قَدْ ضَرَب*، قالَ كَيْفَ قامَ بِتَأديبِهِ بلا جُرْم؛
ما كانَ جُرْمُ عَمْروٍ لِيَقومَ زَيْدُ الخام، بِضَرْبِهِ دونَ ذَنْبٍ كأنَّهُ الغُلام؛
قالَ هذا كانَ مِكيالاً للمَعنى، خُذِ القَمْحَ مِنْهُ فالمِكيالُ مَردود؛
زَيْدٌ وَعَمْرو لِأجْلِ البِناء والإعْراب، وإنْ كانَ ذاكَ كَذِباً تَعامَلْ مَعَ الإعْراب؛
قالَ لا أنا لا أعْرِفُ ذاكَ فَكَيْفَ، ضَرَبَ عَمْراً زَيْدٌ بلا ذَنْبٍ ولا خَطَأ؛
قالَ النَّحْوِيُّ اضْطِراراً وَسُخْرِيَّةً، عَمْرو سارَقٌ سَرَقَ واواً زِيادَةً؛
فصارَ زَيْدُ واقِفاً على سَرِقَتِهِ ، فَضَرَبَهُ جَزاءٌ لَهُ الحَدُّ، بِما أنَّهُ جاوَزَ الحَدّ؛

قَبولُ الكلامِ الباطِلِ في قُلوبِ البَطَّالين

قالَ هذا صَحيحٌ قَبِلْتُهُ بالرُّوح، المائلُ ظَهَرَ للمائلينَ مُسْتَقيماً؛
لَوْ قُلْتَ لِأَحْوَلٍ إنَّ القَمَرَ واحِدٌ، لقالَ لَكَ أرى اثْنَيْنِ وفي الوَحْدَةِ شَكّ؛
ولو سَخِرَ مِنْهُ شَخْصٌ وقالَ هُوَ اثنان، كانَ هذا جَزاءَ سَيِّئِ الطَّبْعِ ذاك حَقّاً؛
الكَذِبُ مَجْموعٌ للكاذِبين، ضاءَ مَعْنى *الخَبيثاتُ للخَبيثين*؛
كانَتْ لِواسِعي القُلوبِ يَداً واسِعَة، ولِعُمْيِ العُيونِ العِثارُ في أرْضِ الصَّخْر؛

البَحْثُ عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الَّتي كُلُّ مَنْ أكَلَ مِنْ ثِمارِها لا يموت

قالَ عالِمٌ مِنْ أجْلِ الرِّوايَة، إنَّ هُناكَ شَجَرَةً في بِلادِ الهِنْد؛
كُلُّ شَخْصٍ أكَلَ مِنْ ثِمارِها، لا يَشيخُ أبَداً ولا يَموتُ أبَداً؛
سَمِعَ مَلِكٌ هذا وَمِنَ الصِّدْق، صارَ للشَّجَرَةِ وَثِمارِها في عِشْق؛
أرْسَلَ نَحْوَ بِلادِ الهِنْدِ في الطَّلَب، رسولاً عالِماً مِنْ دِيوانِ الأدَب؛
سِنينَ يَدورُ ذلِكَ الرَّسولُ، يجولُ باحِثاً مُتَحَرِّياً في بِلادِ الهِنْد؛
طافَ لِأجْلِ هذا المَطلوب مَدينَةً مَدينَةً، لَمْ يَبْقَ جَبَلٌ ولا صَحْراءُ ولا جَزيرَة؛
وكُلَّ مَنْ سَأَلَ ضَحِكَ عَلَيْهِ ساخِراً، أنْ هذا الَّذي يَبْحَثُ مَجْنونٌ يَسْتَحِقُّ القَيْد؛
وَكَمْ مِنْ شَخْصٍ صَفَعَهُ بالمُزاح، وَكَمْ مِنْ شَخْصٍ قالَ لَهُ أيْ صاحِبَ الفَلاح؛
بَحْثُ وتَحَرّي ذكِيٍّ مِثْلِكَ صافِيَ الصَّدْر، متى كانَ فارِغاً وأنّى يكونُ جُزافاً؛
وهذِهِ المُراعاةُ لَهُ هِيَ صَفْعٌ آخَرٌ، وهذا مِنَ الصَّفْعِ الظّاهِرِ أقسى وأمَرّ؛
يُثنونَ عَلَيْهِ في سُخْرٍ أنْ أيْ عَظيم، إنَّها في الإقليمِ الفُلانِيِّ المَهُولِ الواسِع؛
شَجِرَةٌ خَضْراءُ في الغابَةِ الفُلانِيَّةِ، عالِيَةٌ جِدّاً وَعَريضَةٌ وَثَخينَةُ الأغصان؛
ورَسولُ الشّاهِ رابِطٌ الحِزامَ في البَحْثِ، يسْمَعُ مِنْ كُلِّ شَخْصٍ نَوعاً مِنْ خَبَر؛
ظَلَّ في السِّياحَةِ هُناكَ السِّنين، وكانَ المَلِكُ يُرسِلُ لَهُ الأموال؛
رأى الكَثيرَ مِنَ التَّعَب في تِلْكَ الغُرْبَةِ، وصارَ عاجِزاً آخِرَ الأمْرِ عَنِ الطَّلَب؛
لَمْ يَظْهَرْ مِنَ المَقْصودِ أيُّ أَثَر، لَمْ يَصِرْ ظاهِراً مِنْ ذلِكَ الغَرَضِ غَيْرُ الخَبَر؛
لَمْ يَحْصَلْ في العاقِبَة على ما يَبْحَثُ عَنْه، حَبْلُ أمَلِهِ صارَ مَقْطوعاً أخيراً؛
فَعَزَمَ على أنْ يَعودَ إلى الشّاه ، وصارَ يَسكُبُ الدَّمْعَ في المَسير؛

شَرْحُ الشَّيْخِ سِرَّ تِلْكَ الشَّجَرَةِ لِذلِكَ الطَّالِبِ المُقَلّد

كانَ هُناكَ شَيْخٌ عالِمٌ قُطْبٌ كريم، في ذلِكَ المَنْزِلِ الَّذي أيِسَ فيهِ النَّديم؛

قالَ وَقَدْ صِرْتُ يائساً سَأمضي إلَيْه، ثُمَّ مِنْ عَتَبَتِهِ أصيرُ في الطَّريق؛

حتَّى يكونَ دُعاؤهُ لي رفيقاً، بَعْدما صِرْتُ يائساً مِنْ مَطلوبِ قلبي؛

ذَهَبَ أمامَ الشَّيْخِ بِعَيْنٍ ملأى بالدَّمع، تُمْطِرُ الدَّمْعَ كَأَنَّها السَّحاب؛

قالَ شَيْخا هذا وَقْتُ رِقَّةٍ ورَحمَةٍ، أنا آيِسٌ وهذِهِ السَّاعَةُ وَقْتُ رَحْمَة؛

قالَ أعِدِ قَوْلَ ذاكَ الَّذي يَئِسْتَ مِنْهُ، ما مَطْلوبُكَ وأينَ كانَتْ وُجْهَتُك؛

قالَ إنَّ المَلِكَ جَعَلَني مُخْتارَهُ، لِلبَحْثِ عَنْ غُصْنٍ واحِدٍ مِنْ شَجَرَة؛

تِلْكَ شَجَرَةٌ نادِرَةٌ في الجِهات، ثِمارُها مَصْدَرُ ماءِ الحَياة؛

سِنينَ أبْحَثُ عَنها وَلَمْ أرَ إشارَةً، غَيْرَ التَّهَكُّمِ والسُّخْرِيَةِ مِنْ هؤلاءِ الهازِلين؛

ضَحِكَ الشَّيْخُ وَقالَ لَهُ أيْ سَليم، هَذِهِ شَجَرَةُ العِلْمِ عِنْدَ العَليم؛

عالِيَةٌ جِدّاً وَعَجيبَةٌ جِدّاً وَمُنْبَسِطَةٌ جَدّاً، وهِيَ ماءُ الحَياةِ مِنَ البَحْرِ المُحيط؛

أنتَ ذَهَبْتَ للصُّوْرَةِ أي بِلا خَبَر، لأنَّكَ مِنْ غُصْنِ المَعْنى بلا حَمْلٍ ولا ثَمَر؛

حيناً تُسَمَّى شَجَرَةً وَحيناً شَمْساً، وحِيناً يصيرُ اسمُها بَحْراً وَحيناً سَحاباً؛

تِلْكَ الشَّجَرَةُ لها مِئاتُ آلافِ الآثار، أقَلُّ أثَرٍ مِنْ آثارِها العُمْرُ الباقي؛

رَغْمَ أنَّها واحِدَةٌ تَمْلِكُ آلافَ الآثار، وهذِهِ الواحِدَةُ لها أسماءٌ لا تُعَدّ؛

فذاكَ الشَّخْصُ بالنِّسْبَةِ لَكَ أبٌ، وَهُوَ بالنِّسْبَةِ لِذاكَ الشَّخْصِ الآخَرِ وَلَدٌ؛

في حَقِّ آخَرٍ كانَ قَهْراً وَعَدُوّاً، وفي حَقِّ آخَرٍ كانَ لُطْفاً وخَيْراً؛

مئاتُ آلافِ الأسماءِ وَهُوَ فَرْدُ آدَمِيّ، كُلُّ واصِفٍ لَهُ عَنْ وَصْفٍ آخَرَ عَميّ؛

كُلُّ مَنْ طَلَبَ لَهُ الاِسْمَ وَهُوَ صاحِبُ ثِقَة، هُوَ مِثْلَكَ يائسٌ وواقِعٌ في التَّفْرِقَة؛

أنتَ كَيْفَ رَهَنْتَ نَفْسَكَ لاسْمِ الشَّجَرَة، فبَقيتَ مُرَّ المُرادِ ومُضْطَرِبَ البخْت؛

فاعْبُرْ مِنَ الاِسْمِ وانْظُرْ في الصِّفات، لِتُظْهِرَ لَكَ الصِّفاتُ الطَّريقَ إلى الذَّات؛
اختِلافُ الخَلْقِ وَقَعَ لَهُم مِنَ الاِسْم، لَمَّا ذَهَبوا إلى المَعْنى وَقَعَ لَهُم الاِطْمِئنان؛

تنازُعُ أرْبَعَةِ أشْخاصٍ في العِنَب لفَهْمِ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ ذاكَ باسْمٍ مُخْتَلِف

رَجُلٌ أعطى أرْبَعَةَ أشْخاصٍ دِرْهَماً، قالَ واحِدٌ نَشْتري بِهذا الأنكورَ؛
واحِدٌ آخَرُ كانَ عَرَبيّاً قالَ لا، أنا أُريدُ العِنَبَ أي مُخادِعُ لا الأنكورَ؛
وذاكَ واحِدٌ كانَ تُركيّاً قالَ أي عَيني، أنا لا أُريدُ العِنَبَ بَلْ أُريدُ الأُزُم؛
وذاكَ واحِدٌ روميٌّ قالَ، لا شَيءَ مِنْ هذا نَحْنُ نُريدُ الاستافيل؛
أولئكَ النَّفَرُ في التَّنازُعِ اقْتَتَلوا، فَقَدْ كانوا عَنْ سِرِّ الأسماءِ غافِلين؛
تبادَلوا اللَّكَماتِ بالأيدي مِنَ البلاهَة، كانوا مِنَ العِلْم خالينَ وبالجَهْلِ مَملوئينَ؛
لو كانَ صاحِبُ سِرٍّ عَزيزٌ بِمِئةِ لِسان، حاضِراً بينَهُم لأصْلَحَ بَيْنَهُم؛
كانَ قالَ أنا بِهذا الدِّرْهَمِ الواحِدِ، سَوفَ أشتري طَلَباتِكُمْ جَميعاً؛
عِنْدَما تُسْلِموني قَلْباً خالياً مِنَ الدَّغَل، كَمْ يَعْمَلُ دِرْهَمُكُمْ هذا الواحِدُ مِنْ عَمَل؛
دِرْهَمُكُمْ هذا يَصيرُ أرْبَعَةً في المُراد،الأربَعَةُ أعْداءَ يصيرونَ واحِداً بالاِتِّحاد؛
قَوْلُ كُلٍّ مِنْكُمْ جالِبٌ الحَرْبَ والفِراق، قَولي أنا جالِبٌ لَكُمُ الاِتِّفاق؛
فاصْمِتوا ثُمَّ أنْصِتوا، لأصيرَ لَكُمُ اللِّسانَ في الحَديث؛
وإنْ كانَ حَديثُكُمْ أظْهَرَ نَفْسَ النَّمَط، هُوَ في الأثَرِ مَصْدَرُ نِزاعٍ وَسَخَط؛
الحَرارَةُ الَّتي هِيَ عارِيَةٌ لا أثَرَ لها، الحَرارَةُ الَّتي هِيَ خاصِّيَّةٌ لها الفَضْل؛
إذا جَعَلْتَ الخَلَّ ذاكَ حارّاً مِنَ النَّار، حينَ تَأكُلُهُ يزيدُ البُرودَةَ بلا شَكٍّ؛
ذاكَ لأنَّ الحَرارَةَ عِنْدَهُ لَقيطَةٌ، طَبْعُهُ الأصْلِيُّ البُرودَةُ والحِدَّة؛
ولو أنَّ عَصيرَ العِنَبِ صارَ مُنْعَقِداً كالثَّلْج، إذا أكَلْتَهُ زادَ الحَرارَةَ في الكَبِد؛

فَرِياءُ الشَّيْخِ أفْضَلُ مِنْ إخلاصِنا، ذاكَ كانَ عَنْ بَصيْرَةٍ وهذا مِنَ العمى؛
فَمِنْ حَديثِ الشَّيْخِ يَحْصَلُ الجَمْعُ، وكلامُ أهْلِ الجَسَدِ يجيءُ بالتَّفْرِقَة؛
مِثْلَ سُلَيمانَ الَّذي أسْرَعَ جِهَةَ الحَضْرَة، فقَدْ كانَ بِلِسانِ جُمْلَةِ الطُّيورِ عارِف؛
في زَمانِ عَدْلِهِ الغَزالُ والنَّمِر، صارا أنيسَينِ وانْتَهَتْ بينَهُما الحَرْب؛
وصارَتِ الحَمامَةُ آمِنَةً مِنْ مَخْلَبِ الباز، وَلَمْ يَعُدْ للشَّاةِ مِنَ الذِّئبِ احتِراز؛
لَقَدْ صارَ وسيطاً ما بَيْنَ الأعْداء، وصارَ اتِّحادٌ بينَ كُلِّ ما يَرِفُّ بِجَناحَين؛
وأنتَ تَسْعى مِنْ أجْلِ حَبَّةٍ كالنَّمْلَةِ، هيَّا ابْحَثْ عَنْ سُلَيمانَ كم تَظَلُّ غوِيَّاً؛
الباحِثُ عَنِ الحَبَّةِ تَصيرُ حَبَّتُهُ شَبَكَةً، والباحِثُ عَنْ سُلَيمانَ فازَ بِهِما كِلَيْهِما؛
طُيورُ الأرواحِ في آخِرِ الزَّمان، ما لِبَعْضِها لَحْظَةً مِنْ بَعْضٍ أمان؛
وإنَّ سُلَيمانَ أيضاً في دَورِنا، قامَ بالصُّلْحِ فَلَمْ يَدُمْ جَورُنا؛
قَولَ *إنْ مِنْ أُمَّةٍ* ألا فَتَذَكَّرْ، حَتَّى *إلَّا وَخلا فيها نَذير*؛
قالَ لَمْ تَكُنْ أُمَّةٌ بِخالِيَةٍ، مِنْ خَليفَةٍ للحَقِّ وصاحِبِ هِمَّةٍ؛
جَعَلَ طُيورَ الأرواحِ على قَلْبٍ واحِدٍ، جَعَلَها مِنَ الصَّفاءِ بلا غِشٍّ ولا غِلّ؛
المُشفِقونَ يَصيرونَ مِثْلَ الوالِدَة، قالَ عَنِ المُسْلِمينَ نَفْسٌ واحِدَة؛
نَفْساً واحِدَةً صاروا مِنَ الرَّسولِ حَقَّاً، لولاهُ كانَ كُلُّ واحِدٍ لِلآخَرِ عَدُوَّاً مُطْلَقاً؛

ارتِفاعُ المُخالَفَةِ والعَداوَةِ مِنْ بَيْنِ الأنْصار بِبَرَكاتِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه

كانتْ قَبيلَتانِ باسْمِ الأوسِ والخَزْرَج، رُوحُ كُلٍّ مِنْهُما سَفَّاكَةٌ لِدَمِ الأُخْرى؛
العَداواتُ القَديمَةُ مِنْهُما بالمُصْطَفى، امَّحَتْ في نورِ الإسلامِ والصَّفا؛
أوَّلاً صارَ أولئكَ الأعْداءُ كالإخوان، مِثْلَ أعْدادِ العِنَبِ في البُستان؛
مِنْ نَفَسِ *المُؤمِنونَ إخْوَةٌ* في النُّصْح، اجْتَمَعوا وصاروا بَدَناً واحِداً؛

صاروا إخواناً على صُورَةِ الأعناب، عِنْدَما عُصِرَتْ صارَ عَصيرُها واحِداً؛
الحِصْرَمُ والعِنَبُ ضِدَّانِ لكِنْ، لَمَّا نَضَجَ الحِصْرَمُ صارَ رَفيقاً حَسَناً؛
الحِصْرَمُ الَّذي ظَلَّ فَجّاً كالصَّخْرِ، دَعاهُ الحَقُّ في الأزَلِ كافِراً أصْلِيَّاً؛
لا أخاً ولا مِنْ نَفْسٍ واحِدَة، في شَقاوَةِ النَّحْسِ نَفْسُهُ مُلْحِدَة؛
لَو أقولُ كُلَّ الَّذي لَدَيْهِ مَخْفِيَّاً، لَقامَتْ فِتْنَةُ الأَفْهامِ في العالَم؛
عَدَمُ ذِكْرِ سِرِّ المَجوسِيّ الأعْمى خَيْرٌ، دُخانُ جَهَنَّمَ مِنْ أرَمَ في الهَجْرِ خَيْرٌ؛
الحِصْرَمُ الجَميلُ الَّذي كانَ قابِلاً، مِنْ نَفَسِ أهْلِ القَلْبِ صارَ أخيراً قَلباً واحِداً؛
ظَلَّ يسيرُ مُسْرِعاً نَحْوَ العِنَبِ حتَّى، ارْتَفَعَتِ الاثنَيْنِيَّةُ والحِقْدُ والعِناد؛
ثُمَّ إنَّهُمْ يُمَزِّقونَ قُشورَ العِنَبِ حَتَّى، يَصيرَ واحِداً وَتَصيرَ الوَحْدَةُ وَصْفَاً لَهُ؛
الصَّديقُ صارَ عَدُوَّاً للصَّديقِ إذْ هُما اثنانِ، ولم يَقُمْ واحِدٌ أَبَداً بِقِتالِ نَفْسِه؛
كُلُّ الثَّناءِ لِلْعِشْقِ الكُلِّيِّ للأُستاذ، فقد وَهَبَ الاِتِّحادَ لِمِئاتِ ألوفِ الذَّرَّات؛
مِثْلَ الغُبارِ الَّذي كانَ مُفْتَرِقاً في المَمَرّ، جَعَلَتْ مِنْهُ يَدُ صانِعِ الجِرارِ جَرَّةً؛
فاتِّحادُ الأجْسامِ مِنَ الماءِ والطِّين، اتِّحادٌ ناقِصٌ ولا تبقى بِهِ الرُّوحُ؛
لو ذَكَرْتُ النَّظائِرَ هُنا في المِثال، أخافُ على فَهْمِكَ يُصيبَهُ اختِلال؛
فسُلَيمانُ الآنَ موجودٌ بيننا ولكِنَّنا، مِنْ النَّشاطِ مِنْ رُؤيَةِ البَعيدِ في عَمى؛
رُؤيَةُ البَعيدِ جَعَلَتْ الرَّجُلَ أعْمى، كالنَّائِمِ في القَصْرِ هُوَ عَنِ القَصْرِ أعْمى؛
نَحْنُ بِكُلِّ حَديثٍ دَقيقٍ مُولَعونَ، نَحْنُ لِفَتْحِ عُرى العُقَدِ عاشِقون؛
ما دُمْنا نَعْقِدُ العُقَدَ وَنَحُلُّ العُقَدَ، في الإشكالِ والجوابِ أسلوبٌ للاِزْدياد؛
مِثْلَ طائِرٍ بَعْدَ أنْ يَحِلَّ عُقْدَةَ الشِّباك، يَقومُ بِعَقْدِها لِيَصيرَ تامَّاً في الفَنّ؛
فَيَكونَ مَحْروماً مِنَ الصَّحْراءِ والمَرْج، وَيَدْفَعُ عُمْرَهُ خَرْجاً في شُغْلِ العُقَد؛
هُوَ ليسَ بِهِ مِنْ هَوْنٍ مِنْ أيَّةِ شِبَاكٍ، لكِنَّ جَناحَهُ انكَسَرَ فَهُوَ يَقَعُ على الدَّوام؛
فَدَعْ شُغْلَ العُقَدِ كَيْ لا يَنْقَطِعَ ريشَةً ريشَةً، جَناحُكَ ورِيْشُكَ مِنْ كَرِّكَ وَفَرِّك؛

مِئاتُ أُلوفِ الطُّيورِ تَكَسَرَتْ أجْنِحَتُها، ولمْ تُغْلِقْ مَكانَ كمينِ العوارِضِ ذاك؛
وحالَها اقْرَأْ مِنْ نَبِيّ أيْ حَريص   نَقِّبوا فيها انظُروا هَلْ مِنْ مَحيص
مِنْ نِزاعِ التُّرْكِيّ والرُّومِيّ والعَرَبِيّ، لَمْ يُحَلَّ إشْكالُ الأنگورِ والعِنَب؛
وسَوفَ لَنْ يَرتَفِعَ هذا الدَّويّ، إلى مَجيءِ سُلَيمانِ لُسَيْنٍ مَعْنَويّ؛
أيْ جُمْلَةَ الطُّيورِ المُتنازِعَةِ كالبُزاة، اسْتمِعوا إلى طَبْلِ بازِ المَلْك؛
مِنْ اخْتِلافِ أنْفُسِكُمْ صَوْبَ الاتِّحاد، هيَّا مِنْ كُلِّ جانِبٍ أسْرِعوا سُعَداء؛
حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وَجْهَكُمْ   نَحْوَهُ هذا الَّذي لَمْ يَنْهَكُمْ
نَحْنُ طُيورٌ عمياءُ مَتنافِرَة، لَمْ نَعْرِفْ سُلَيمانَ ذاكَ لَحْظَةً؛
نَحْنُ صِرنا كالبُومِ أعْداءَ البُزاة، لا جَرَمَ أنْ بَقينا في الخَرابات؛
ونقومُ مِنْ غايَةِ الجَهْلِ والعَمى، بِقَصْدِ أعِزَّةِ اللهِ بالأذى؛
جَمْعُ الطُّيورِ الَّذي استنارَ مِنْ سُلَيمان، مَتى يَقْتَلِعُ ريشَ وَجَناحَ بريء؛
بَلْ تِلْكَ الطُّيورُ بلا خِلافٍ وَحِقْدٍ سَعيدَةً، تَحْمِلُ للعاجِزينَ ما التَقَطَتْ مِنْ حَبٍّ؛
وَهُدْهُدُهُمْ مِنْ أجْلِ التَّقْديس، يَفْتَحُ الطَّريقَ لِمئةِ بَلْقيس؛
زاغُهُم وَلَو كانَ بِصُورَةِ زاغ، جاءَ بازَ هِمَّةٍ وما زاغ؛
لَقْلَقُهُمُ بِلَقْلَقَتِهِ تِلْك، يُشْعِلُ نارَ التَّوحيدِ في الشّ ّ َكّ؛
حَمامَتُهُمْ تِلْكَ لا تَشْتكي الباز، والبازُ لِحَمامَتِهِم تِلْك يَضَعُ الرَّأسَ؛
بُلْبُلُهُمْ الَّذي جاءَ بالحالةِ، عِنْدَهُ داخِلَ النَّفْسِ رَوْضَةُ وَرْد؛
بَبَّغاؤُهُمْ فارِغٌ مِنَ القَنْد، قَنْدُ الأبَدِ مِنَ الدَّاخِلِ كَشَفَ لَهُ الوَجْهَ؛
أقْدامُ طواويسِهِمْ في النَّظَر، أفْضَلُ مِنَ الطَّواويسِ الطَّيَّارَةِ الأُخَر؛
ومِئةٌ مِنْ مَنْطِقِ الطَّيَرانِ الخاقانِيّ، أيْنَ هُوَ مَنْطِقُ الطَّيْرِ السُّلَيْمانِيّ؛
أنتَ ما عِلْمُكَ بِصَوْتِ الطُّيور، ما دُمْتَ لَمْ تَرَ سُلَيْمانَ لَحْظَةً؛
جَناحُ ذلِكَ الطَّائرِ الَّذي صَوتُهُ يُطْرِب، خارِجٌ عَنِ المَشْرِقِ وعَنِ المَغْرِب؛

كُلُّ لَحْنٍ مِنْهُ مِنَ الكُرْسِيّ إلى الثَّرى، ومِنَ الثَّرى إلى العَرْشِ في كَرٍّ وَفَرٍّ؛
طائرٌ يَذْهَبَ مِنْ دونِ سُلَيمانَ هذا، عاشِقُ ظُلْمَةٍ يكونُ كَأَنَّهُ الخَفَّاش؛
كُنْ سُلَيمانِيَّ الطَّبْعِ أيْ خَفَّاشَّ الرَّد، حتَّى لا تَبْقى في الظُّلْمَةِ إلى الأبَد؛
بِذراعٍ واحِدٍ تَقْطَعُ في ذلِكَ الاِتِّجاه، تَصيرُ مِثْلَ ذِراعِ قُطْبِ المَساحَة؛
إذا عَدَوْتَ لِتِلْكَ الجِهَةِ في عَرَجٍ وَشَلَل ، نَجَوْت مِنْ كُلِّ عَرَجٍ وَمْنْ كُلِّ شَلَل؛

قِصَّةُ فِراخِ البَطِّ الَّتي رَبَّاها طائرٌ أهْلِيّ

أنتَ بَيْضَةُ بَطٍّ رَغْمَ أنَّ طائراً أهْلِيَّاً، قامَ بِتَرْبِيَتِها تَحْتَ الجَناحِ كالحاضِنَة؛
أُمُّكَ كانَتْ بَطَّةً مِنْ ذلِكَ البَحْر، وحاضِنَتُكَ أرْضِيَّةٌ وعابِدَةُ اليابِسَة؛
مَيْلُ البَحْرِ عِنْدَكَ في قَلْبِكَ، ذاكَ طَبيعَةُ روحِكَ مِنْ أُمِّك؛
مَيْلُ اليابِسَةِ عِنْدَكَ مِنَ الحاضِنَة، دَعِ الحاضِنَةَ فَهِيَ سَيِّئَةُ الرَّأي؛
وإنْ خَوَّفَتْكَ أُمُّكَ مِنَ الماء، لا تَخَفْ واجْرِ مُسْرِعاً إلى البَحْر؛
أنتَ بَطٌّ تَعيشُ في البَرِّ وفي البَحْر، لَسْتَ كالطَّائرِ الأهْلِيّ تتَعَفَّنُ في المَنْزِل؛
أنتَ مِنْ *كَرَّمْنا بَنِـي آدَمَ مَلِك*، ضَعِ القَدَمَ على اليابِسَةِ وَضَعِ القَدَمَ في البَحْر؛
فإنَّ *حَمَلْناهُمْ على البَحْرِ* للرُّوح، فابْدَأِ السَّيْرَ مِنْ *حَمَلْناهُمْ على البَرِّ*؛
فالملائكَةُ لا طَريقَ لَهُمْ إلى البَرّ، وجِنْسُ الحَيوانِ لا عِلْمَ لَهُ بالبَحْر؛
أنتَ بِبَدَنِ حَيوانٍ وَبِروحِ مَلَك، لِتَسيرَ أيضاً على الأرْضِ وأيْضاً على الفَلَك؛
حتَّى بالظَّاهِرِ *مِثْلُكُمْ* يكونُ بَشَراً، مَعَ قَلْبٍ يُوحى إلَيْهِ كإنسانِ العَيْن؛
القالَبُ التُّرابِيُّ وَقَعَ على الأرْض، ورُوحُهُ صارَتْ أعلى الفَلَكِ الأعلى؛
نَحْنُ طُيورُ بَطٍّ جَميعاً أيْ غُلام، البَحْرُ عارِفٌ بِلِسانِنا على التَّمام؛
فَسُلَيمانُ هُوَ البَحْرُ وَنَحْنُ طَيْر، إلى الأبَدِ لنا مَعَ سُلَيمانَ سَيْر؛
مَعَ سُلَيمانَ ضَعِ القَدَمَ في البَحْر، لِيَصْنَعَ لَكَ البَحْرُ مِئَةَ دِرْعٍ كداؤود؛

سُلَيمانُ ذاكَ أمامَ الجَميعِ حاضِر، لكِنِ الغَيْرَةُ رِباطٌ على العَيْنِ وساحِر؛
حتَّى مِنَ الجَهْلِ والنَّومِ والفُضول، هُوَ أمامَنا ونَحْنُ مِنْهُ مَلول؛
صَوتُ الرَّعْد جَلَبَ الصُّداعَ للظَّامِئ، لِأنَّهُ لَمِ يَعْلَمْ أنَّهُ يجُرُّ غَيْمَ السَّعْد؛
عَيْنُهُ ظَلَّتْ على الجَدْوَلِ الجاري، بلا خَبَرٍ عَنْ ذَوْقِ ماءِ السَّماء؛
ساقَ مَرْكَبَ الهِمَّةِ جِهَةَ الأسباب، وَعَنِ المُسَبِّبِ لا جَرَمَ بَقِيَ في حِجاب؛
ذلِكَ الَّذي رأى المَسَبِّبَ عِياناً ، مَتى رَبَطَ القَلْبَ بِأسْبابِ الدُّنيا؛

حَيْرَةُ الحُجَّاجِ في كراماتِ ذلِكَ الزَّاهِدِ الَّذي وَجَدُوهُ في البادِيَةِ وَحيداً

زاهِدٌ كانَ في وَسَطِ البادِيَة، غارِقٌ في العِبادَةِ كالعُبَّادِيَة؛
وَصَلَ الحُجَّاجُ هُنالِكَ مِنَ البِلاد، وَقَعَتْ عُيونُهُمْ على الزَّاهِدِ الفقير؛
مَوْضِعُ الزَّاهِدِ يابِسٌ وَهُوَ رَطْبُ المِزاج، كانَ لَهُ مِنْ سَمومِ البادِيَةِ عِلاج؛
صارَ الحُجَّاجُ حائرينَ مِنْ وَحْدَتِه، ومِنْ سلامَتِهِ تِلْكَ وَسَطَ الآفات؛
كانَ واقِفاً على وَجْهِ الرَّمْل للصَّلاة، رَمْلٍ يَغْلي الماءُ في القِدْر مِنْ حرارَتِه؛
تَخالُهُ السَّكْرانَ في خُضْرَةٍ وَوَرْد، أوِ الرَّاكِبَ على دُلْدُلٍ وَبُراق؛
أو أنَّ أقْدامَهُ في الحَريرِ والحُلَل، كأنَّ السَّمومَ أطْيَبُ مِنْ ريحِ الصَّبا عِنْدَهُ؛
فَتَوَقَّفَتْ تِلْكَ الجَماعَةُ بافْتِقارٍ، حتَّى يفْرَغَ الدَّرويشُ مِنَ الصَّلاة؛
لَمَّا رَجَعَ مِنَ الإسْتِغْراقِ الفَقير، مِنَ الجَماعَةِ حَيٌّ ومُستَنيرُ ضَمير؛
رأى الماءَ يَقْطِرُ مِنْ يَدِهِ وَوَجْهِهِ، وثَوبَهُ مُبَلَّلاً مِنْ آثارِ الوُضوء؛
فَسَأَلَهُ مِنْ أيْنَ ماؤكَ، فَرَفَعَ اليَدَ جِهَةَ السَّماء؛
قالَ أفي كُلِّ حينٍ تَطْلُبُهُ يَصِلُكَ، مِنْ دونِ بِئرٍ ولا *حَبْلٍ مِنْ مَسَد*؛
حُلَّ لَنا المُشكِلَ أيْ سُلطانَ الدِّين، حتَّى تَهَبَ لَنا حالُكَ اليَقين؛
أظْهِرْ لنا مِنْكَ سِرَّاً مِنْ الأسرار، لِنُمَزِّقَ عَنْ أوساطِنا الزِّنَّار؛

فَفَتَحَ العَيْنَ إلى جِهَةِ السَّماء، أنِ اسْتَجِبْ مِنَ الحُجَّاجِ الدُّعاءَ؛
عادَتي أنْ أطْلُبَ الرِّزْقِ مِنْ أعْلى، أنتَ فَتَحْتَ لي البابَ مِنْ أعلى؛
أي مَنْ مِنَ اللّامَكان أظْهَرَ مَكاناً، *في السَّماءِ رِزْقُكُمْ* اجْعَلْ عِياناً؛
غَيْمٌ جَميلٌ أثناءَ هذِهِ المُناجاةِ، ظَهَرَ مُسْرِعاً كَنَواضِحِ الماءِ؛
راحَ يُمْطِرُ المَطَرَ كالماءِ مِنَ القِرَب، واسْتَقَرَّ المَطَرُ في الحُفَرِ والأغْوار؛
الغَيْمُ يُمْطِرُ الدُّموعَ كالمِسْك، والحُجَّاجُ جُمْلَةً فَتَحوا القُرَب؛
تِلْكَ الجَماعَةُ مِنْ تِلْكَ الأعاجيب، شَقَّتِ الزُّنَّارَ عَنْ الأوساط؛
قَوْمٌ آخَرونَ صارَ يَقينُهُم في ازْدياد، مِنْ هذا العَجَبِ *واللهُ أعْلَمُ بالرَّشاد*؛
وَقَومٌ آخَرونَ رافِضونَ حامِضو فُؤادٍ، وفِجاجٌ ذوي نَقْصٍ سَرْمَدِيٍّ ***تَمَّ الكلام***

تَمَّ المُجَلَّدُ الثَّاني مِنَ المَثْنَوِيِّ المَعْنَوِيّ